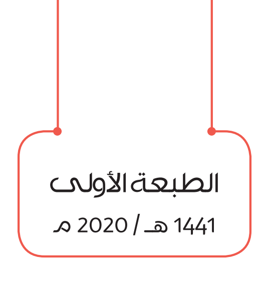
سلسلة
شريك حياتي

5

رحلتنا من التّعاسة إلى السّعادة



اسم الكتـــــاب: رحلتنا من التّعاسة إلى السّعادة
المــــؤلــــــف: أ.د. أسامة يحيى أبو سلامة
موضوع الكتاب: تنمية أسرية
المراجعة اللغوية: عبدالقادر أمين
عدد الصفحات: 336 صفحة
عدد المـــلازم: 21 ملزمة
مقاس الكتـاب: 14 x 21
عدد الطبعـات: الطبعة الأولى
رقــم الإيــــداع: 25120 / 2019
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 278 - 783 - 8 ISBN:

التوزيع والنشر:



القاهرة - جمهورية مصر العربية
هاتف: 01012355714 - 01152806533
E-mail: elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com



سلسلة
شريك حياتي
5

رحلتنا من التّعاسة إلى السّعادة

مهاراتُ التّعامل مع منغّصات الحياة الزوجيّة

أ.د. أسامة يحيى أبو سلامة







مقدّمة

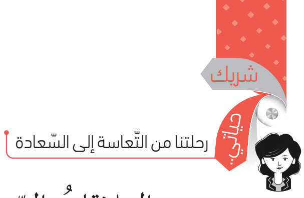
حمدًا لله على نعمِه التي لا تعدّ ولا تُحصى، وصلاةً وسلامًا على المصطفى الهادي البشير، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد.

لا تخلو أيّ حياةٍ زوجية من أن تنتابها- أو تعتصرها- الخلافاتُ والمشاكل وسوءُ التّفاهم وسائرُ المنغّصات والضغوط الأخرى، فذاكَ من المسلّمات الحتميّة. ولو أنّ بيوتًا خلتْ منها لكانت بيوتُ الرّسول- صلى الله عليه وسلم- أوْلى بذلك، ولكن هذا لم يحدث حتّى نتعلّم منه- صلى الله عليه وسلم- كيفيّةَ إدارتها على النّحو الذي يقلّص- أو يمحو- آثارها السلبية، ويحوّلها من منغّصات مؤلمةٍ موجعة هادمةٍ إلى مسبّباتِ تماسكٍ وترابط بانية.

تحدثُ هذه المنغّصات والضّغوط بالحياة الزوجية- في الغالب - بحُسن نيّة، أو بجهل، أو دونَ قصد، فليس هناك زوجان سويّان يضْمران خلْقَ الخلافات وصناعةَ المشاكل وتعمّدَ سوء التفاهم مع سبق الإصرار والترصّد.

تنشأ أغلبُ هذه المنغّصات والضّغوط نتيجة سببٍ أو أكثر مِن الأسباب التالية:

- عدم فهْم الجنس الآخر، والجهل بفنون التّعامل مع الجنس الآخر.
- سوءُ توزيع الأدْوار والمهامّ داخل الأسرة.



- العلاقاتُ السّيئة بأهل الزّوجين.
- سوء تدبير المال كسبًا وإنفاقًا.
- سوء المعاشرة الجنسيّة كمًّا أو كيفًا أو كلاهما.
- وجودُ حوارٍ زوجي سيّئ لا يعرف احترامًا ولا يعرفُه تقدير، أو لا وجودَ له.
- انهيارُ سيول الإهانات والانتقادات والتّوبيخات التي لا تنتهي.
- ممارسةُ سلوكيّات قادحة، أو سيطرة عاداتٍ هدّامة، أو تبنّي ثقافات مدمّرة، أو هيمنة مشاكل نفسيّة على حياة أحد الزّوجين أو كلاهما.

حاولتُ جاهدًا أن أسلّط الضّوءَ في هذا الكتاب على أهمّ نقاطِ الخلافات ومباعثِ المشاكل ومسبّبات سوء التفاهم الشائعة بين الزّوجين لنستنقذَ الحياةِ الزّوجية، ونحملها على ذاتِ ألواح ودُسُر وسط هذا الطّوفان الجارف من المنغصات والضغوط حملًا يقي الأُسرةَ الغرقَ، ويعيد للبيت سكونَه وهدوءه، وللحياة الزوجية رونقَها وبهاءها، وللزوجين السعادة والهناء.

واللهَ أسأل أن يوفقني لما يحبّ ويرضى، إنّه على ذلك لقدير، وبالإجابة جدير.

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المؤلف
د. أسامة يحيى أبو سلامة
نوفمبر ٢٠١٧



تمهيد

اقتضتْ حكمةُ الله تعالى أن تزخرَ الحياةُ الدنيا بصنوفٍ وأشكالٍ وألوانٍ من المنغّصات والضّغوط، ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: 4)، وإنّ مِن أقسى أنواع هذه المنغّصات والضغوط التي تواجه أيّ إنسان هي تلك التي تأتيه من أهل بيته، حيث مقرّ سكنه وراحتِه، فقد يتحمّل الإنسانُ ضغطًا يهبّ عليه من الخارج ومن الأغراب، ولكنّه لن يتحمل ضغطًا يعصف به من داخل بيته ومن الأحباب.

إنّ الحياة التي جمعتْ بين الزوجين يومًا ما على الحبّ والودّ والرّحمة والقرب قد لا تصمدُ طويلًا أمام سيولٍ من المنغّصات والضغوط التي يبثّها شريكُ الحياة من تجاهلٍ وازدراء وإهانةٍ وتحقير وإذلالٍ وإهدار حقوق وإيقاع ظلم..، إلخ، بل سيخبو بريقُها، وينطفئ رونقها.

قد يرضخُ الإنسانُ لضغوطٍ يصنعها شريكُ حياته لبعض الوقت، ولكنّه لن يقوى على أنْ يرضخ له طوال الوقت، وقد يرضخُ شريك الحياة في وجود شريكه، ولكنّه لن يرضخ له حين غيابه، وقد يكسب الإنسان موقفًا أو أكثر بإرضاخ شريك حياته، ولكنه لن يحدث به التّغيير المنشود، قد تحقّق



الضغوط مكاسبَ سريعة، ولكنّها في واقعها خسائر فادحة سيلوح أثرها المدمّر في الأفق إنْ عاجلًا أو آجلًا.

المكاسبُ السّريعة تحت الضّغوط
هي خسائرُ على الأمد القريب أو البعيد

وستمرّ الأيّام والسنوات، وسيختار هذا الشريكُ المضغوط أحدَ ثلاثةِ طرق:

- العيش تحت نيْر شريك حياته، والاستسلام لقَدَره بعد انكسار نفسه.
- الاستمرار في مقاومته بشتّى أشكال المقاومة المعكِّرة للحياة الزوجية.
- الابتعاد والنّجاة بما بقي له من عُمْر.

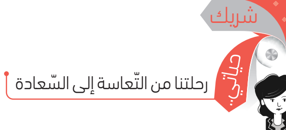
قد يستجيبُ الرّجل للضغوطِ الواقعة عليه من زوجتِه في بادئ الأمر، ثمّ يقاوم هذه الضغوط، ثمّ تزداد مقاومته، ثمّ يدبّ فيه اليأس من زوالها أو حتّى التّخفيف منها؛ فتنهار مقاومته، ثمّ يديرُ ظهرَه لزوجته، ويبدي ميلًا إلى البقاء بعيدًا عنها، ثمّ يحرصُ على المكث خارجَ بيته أكثرَ من حرصه على البقاء فيه، حتّى إذا تملّكه اليأس واستبدّ به فقَدَ الأملَ من تحسّن الأوضاع فرّ من بيته فرارًا لا رجعةَ بعده، وحينما يفرّ الرّجل من بيته سيلجأ إلى واحدةٍ من الخيارات التالية:

- الرّجوع إلى بيت أبيه وأمّه، أو أخيه أو أخته.
- الانعزال ببيتٍ مستقل.
- الزّواج بأخرى ليكمل معها مشوارَ حياته، أملًا في أن يجدَ عندها ما كان يبحث عنه في زوجته الأولى وبيته الأوّل ولم يجده.

وعلى العكسِ من الرّجل كانت المرأة، فكلّما ازدادتِ الضّغوط على المرأة من قِبَل زوجها ازدادت اجتهادًا لتجنّبها، حتى إذا عجزتْ عن حلّها، أو نزحها عن صدرها، أو التّخفيف من حدّتها مالتْ إلى دفن أنوثتها وإهمالها والتّقوقع حول صغارها متشبّثة بأمومتها، وبذلك ينهار نصفُها الأنثويّ ويتضاءل، بينما يتنامى نصفُها الأموميّ ويتضخّم عساها تعيش به وله، أو تثور فيها الأنوثةُ فترفض هذه الحياةَ جُملة وتفصيلًا، وتسعى للانفصال متحمّلة عواقبه، فكفاها ما ضاعَ من عمرها، وأمسى لا استعدادَ لديها لفقْد ما بقي منه.

عند تفاقم المنغّصات والضّغوط الزوجية والأسرية واليأس من التخلّص منها،
هي تتقوقع، وهو يفرنقع
هي تقرّ، وهو يفرّ

والمنغّصات التي تزلزلُ الأسرة وتقوّض استقرارها إمّا أن تكون نتاجًا لسوء الفهْم وعدم الإدراك وقلّة الوعي لركائز الحياة بصفةٍ عامّة، والحياة الزوجية بصفة خاصّة، أو تكون نتاجًا اجتماعيًّا بسبب خللٍ في المعاملات الزوجية والأسرية والعائلية، أو تكون نتاجًا لعدم تحلّي الإنسان ـ ذكرًا أو أنثى ـ ببعض المهارات الحياتية والقيم التربوية الهامّة اللازمة لقيام حياة أسريّة سويّة، أو تكون نتاجًا نفسيًّا ينبعُ من خللٍ في نفسية الإنسان وحيودها عن الفطرة أو الاستواء.



وسنستعرض ـ إنْ شاء الله تعالى ـ أشهرَ هذه المنغّصات والضّغوط النّاتجة عن الجهل وعدم الوعي وسوء الفهم بالباب الأوّل، وتلك ذات البعدِ الاجتماعي بالباب الثّاني، وتلك ذات الأبعاد التّربوية والمهارية بالباب الثّالث، وختامًا تلك التي لها بُعد نفسيّ بالباب الرابع، وفي سياق الاسْتعراض سيتمّ طرح بعض الحلول المناسبة التي قد تسهمُ في رأب الصّدوع وتحويل المنغّصات التي تهدّ وتشقي إلى دعاماتٍ تبني وتقوّي، فتتحوّل مسبّبات التعاسة إلى مسببات سعادة.

الباب الأوّل

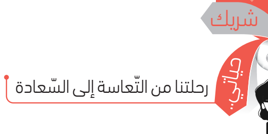
منغّصاتٌ ناشئةٌ من الجهل وعدمِ الوعي وسوء الفهم

هي المنغّصات التي نجمتْ عنِ الجهل وعدم الوعي وسوء الفهْم بنفسيّة الجنس الآخر، وبسائر ركائز استقرار الحياة الزّوجية، ومنها ما يلي:

١- سوءُ فهْم الخصائص النفسيّة للجنس الآخر

يندمجُ الإنسانُ بعد زواجه بفردٍ من الجنْس الآخر اندماجًا انصهاريًّا؛ ولذا ينبغي على الشّاب قبل زواجه أن يعلم عن نفسيّة النساء وطبائع النّساء الشيءَ الكثير. وكذلك الفتاة أيضًا قبل زواجها يجب أنْ تعلم عنَ نفسيّة الرجال وطبائع الرجال الشيءَ الوفير، وذلك حتّى يُحْسنا - حين زواجهما - التعاملَ مع شريك الحياة المنتمي إلى الجنس الآخر.

يختلف الرجلُ عن المرأة في العديدِ من الصّفات تشتمل - من ضمن ما تشتمل - على التّركيب العضوي والبناء الفسيولوجي للجسم بصفةٍ عامّة والمخّ بصفة خاصّة، وانعكاسُ هذه الاختلافات العضوية والفسيولوجية على وجود كمٍّ لا يحصى من الاختلافات النفسية بينهما.



لقد جاءت هذه الاختلافاتُ لتحقيق إعمار الأرض كأحد المهامّ المُلقاة على عاتق الإنسان بشطريْه الذّكر والأنثى، فأحدُهما- وهو الرجل- كلّف أساسًا بالإعمارِ خارج البيت بالعمل والتكسّب والدفاع عن العرض والأرض، والمرأة أساسًا هُيّئت للإعمار داخل البيت بالاهتمام بالزّوج ورعاية الأطفال والقيام على شئون البيت.

وتتجلّى هذه الاختلافاتُ بين الرّجل والمرأة في وجود صفاتٍ إنسانية يغلب وجودُها في الرّجال، وصفات إنسانية أخرى يغلبُ وجودها في النساء، بمعنى إنّها صفاتٌ غالبة لأحد الجنسين وليست صفاتٍ فارقةً بين الجنسين، فلا بأس مطلقًا من أن يتحلّى بعض الرّجال ببعض الصّفات التي يغلب وجودُها في النساء، فهناك الرّجل العاطفي، ولا ضير من أن تتحلّى بعض النّساء ببعض الصفات التي يغلب وجودها في الرجال، فهناك المرأة المنطقية.

⏮ ومِن هذه الصّفات الغالبة (التي يغلب وجودُها في ذات الجنس، ولا يقتصر وجودها عليه) ما يلي:

- التفكير: إنّه يفكّر ثمّ يتحدّث، وإنها تتحدّث حتى تستطيع أن تفكّر.
- النظر إلى الأمور: هو ينظر بطريقةٍ منطقية إجمالية، هي تنظر بطريقة عاطفية تفصيلية.
- عند الحوار من حيث:

دواعيه: هو ينقلُ الأفكار ويعرض المشاكل وحلولها، هي تنقل مشاعرها وتفضفض وتفكر.

جوهره ومظهره: هو يركّز على جوهر الحوار، هي تهتمّ بمظهر الحوار.

موضوعاته: هو يركّز في موضوع واحد، هي تتشارك في موضوعات



عدّة متشابكة في نفس الوقت.

أساليبه: إنّه بالإلحاح يرفض دومًا، وإنّها بالإلحاح تستجيب تمامًا.

كلامه مباشر، وكلامُها غير مباشر.

- عند الإنصات والتّعبير بلغة الجسد: المرأة أحذق من الرّجل في الإنصات واستخدام لغة الجسد.

- الأولويّات: هو أولويّاته عملُه، هي أولوياتها بيتُها.

- القدرة على العطاء المادي: الرجل أقدرُ من المرأة على العطاء المادي.

- القدرة على العطاء النفسي: المرأة أقدرُ من الرجل على العطاء النفسي.

- التّحفيز على البذل والعطاء: يحفّزه الاحتياج إليه، يحفّزها الإعجاب بها والثناء عليها.

- عناصر القوّة: قوّته في شدّة بأسه والتحكّم في عواطفه ورباطة جأشه، هي قوّتها في ضعفها واستكانتها ودموعها.

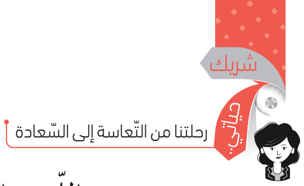
- التّعبير عن العداوة: هو يعبّر عن العداوة بالاشْتباك والالتحام، هي تعبّر عنها بالابتعاد والخصام.

- طلب المساعدة: يصعب عليه طلبُ المساعدة، يسهُل عليها طلب المساعدة.

- تحمّل المشاكل: إنه يتحمّل المشاكل الثقيلة قصيرة المدّة، هي تتحمّل المشاكل الخفيفة طويلة المدّة.

- التّعبير عند مواجهة الضّغوط والمشاكل: هو يصمتُ ليفكّر ليجد حلًّا، وهي تفضفض لتزيح همًّا.

- آليّةُ تقديم المساعدة: إنّه يساعدها بالطّريقة التي تصلح معه هو، ولكنّها لا تصلح معها بأيّ حال من الأحوال، وإنها تساعده بالطريقة التي تصلح معها هي، ولكنّها لا تفيده من قريب أو بعيد.



- توجيه اللّوم والاعتراف بالخطأ: هو يلوم غيره، هي تلوم نفسها.
- تشكيل الرّأي واتخاذ القرار: إنه يفكّر وحده، ثمّ يكوّن رأيًا، ثمّ يتشاور مع الآخرين، ثمّ يتّخذ قرارًا نهائيًا، وإنها تتشاورُ مع مَن تحبّهم وتثق فيهم، ثمّ تفكّر بعواطفها، ثمّ تتخذ رأيًا قابلًا للتّغير والتبدل تبعًا لتغير وتبدّل عواطفها.
- الجسارة وخوض الأخطار: هو أكثرُ جسارةً وجرأة عى خوض الأخطار منها.
- لنيل الرّاحة: إنّه لا يقوى على سماع كلمة، وإنّها لا تستطيع أن تصمت لحظة.
- التّطوير والتغيير: إنه يتغيّر عندما يكون مقبولًا، هي تتغير عندما تكون مرفوضة.
- سرعة الاستجابة للمؤثّرات والتغير من حالة إلى أخرى: هو أبطأ منها في سرعة الاستجابة.
- استقبالُ العطف وإظهار الضعف: يصعب عليه إظهار ضعفه، يسهل عليها إظهار ضعفها.
- عند النجاح: إذا نجح في أمر غَيّره، إذا نجحت في أمر كرّرته.
- الاحتياجات العاطفية: هو يريد منها أن تقبله وتثق به وتقدّره، وهي تريد منه أن يتفهّمها ويرعاها ويهتمّ بها ويحترمها، وكلاهما يريد أن يُحِب ويُحَب.
- بدءُ الانجذاب العاطفي: هو ينجذبُ إليها بالنّظر، وهي تنجذب إليه بالسمع.
- التّعبير عن الحبّ: هو يعبّر بالأفعال، هي تعبّر بالأقوال.
- الغيرةُ الزّوجية: غيرتُه قليلة ولكنّها عميقة، غيرتُها كثيرة ولكنّها سطحية.



حينما يغير يفقدُ القدرة على حُسن التصرّف،
حينما تغير تفقدُ القدرة على التفكير.

- الاحتياج للعلاقة الجنسيّة: احتياجه للعلاقة الجنسية جسديّ مادي بحت، احتياجها للعلاقة الجنسية عاطفي نفسي في المقام الأوّل.

وغيرُ ذلك الكثيرُ من هذه الصفات التي يغلب وجودُها في كلّ جنس (راجع الكتاب الأوّل من هذه السلسلة «شريك حياتي، من فضلك، افهمني»).

لقد جعل اللهُ هذه الاختلافات بين الذّكر والأنثى لتتكامل أدوارُهما في الأسرة والمجتمع، لذا كان جهلُ الزّوجين وعدم تفهّمها لحكمةِ وجود هذه الاختلافات سيتسبّب - ولا شكّ - في اندلاع الخلافات والمشاجرات والمنازعات. وينسب إلى الجهل بحكمة هذه الاختلافات وضرورة وجودها ارتفاعُ نسبة الطلاق، خاصّة في السنوات الأولى للزواج أو بعد قرابة العقدين منه.

٢- سوءُ أو غيابُ الحوار الزّوجي (الخرس الزوجي)

ينصتُ الرّجل في أوّل العلاقة لَمن أحبّها؛ لأنّه يشغف بسماع صوتها ويأنسُ بكلامها، كما يميل - أيضًا - لإسماعها ما تحبّ لتنمو العلاقة بينهما نموًّا صحيًّا صحيحًا، وحينما تصبح في حوْزته كزوجةٍ لا يحتاج الرّجل إلى مزيد صياغةِ جُمَل وعباراتٍ لإنماء العلاقة، فعليه ألّا يعلّق بقضيّة الحوارات الكثيرة والعبارات الجميلة أكثر من ذلك، فالزّواج تمّ وأغلق ملفّه وأصبحت الزّوجة الحبيبة معه بـ «المنطقة الآمنة»، وعليه الآنَ التّركيزُ في البحث عن مصادر رزق لأسرته، وأن يجتهد ليرتقي بعمله. لقد نجحَ في الزّواج بها،



وعليه أن يلتفتَ إلى ما بعدها من أمورٍ أخرى لينجزَها، هذه هي طبيعة الرجل التي تتسبّب في إصابة زوجتِه بالقلَق والتّوتر والألم.

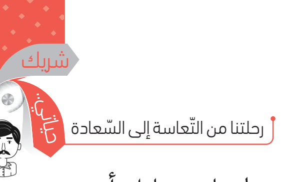
تتوقّف السّعادة الزوجية ـ إلى حدّ كبير ـ على جوْدة الحوار الزّوجي واستمراريّته، فللْحوار الزّوجي الصحيح أهميّة قصوى في التّفاهم والتوافق والوئام والانسجام والاستقرار بين الزّوجين، وحتّى يظلّ الحوار الزوجي بنّاءً يجب أن يراعى فيه تجسيدُ التالي:

١- الألفة والسّيطرة:

تنزع المرأةُ بطبيعتها الأنثويّة إلى الألفة، بينما يميل الرّجل بطبيعته الذكورية إلى السّيطرة، ولذا كان الحوار الناجح بين الزّوجين هو الذي يشبعُ في المرأة نزوعَها إلى الألفة، وفي الرجل ميلَه للسيطرة.

يبثّ الرجل الألفةَ بينه وبين زوجته بالكلمات الرّقيقة، وبتفهّم المشاعر، وحُسن الإنصات، وعدم الاهتمام بألّا يكون للحوارش عنوانٌ أو موضوع ذو بال، فالمرأة قد يكون هدفُها من الحوار أن يكون هناك تواصلٌ بينها وبين زوجها، وأن يستمرّ هذا التواصل بذاك الحوار.

وتمنحُ المرأة زوجَها الشّعور بالسيطرة إذا تحدّثت معه بنعومة الأنثى ورقّة الأنثى ودلال الأنثى وخضوع الأنثى، وليس في هذا عيبٌ أو خطأ أو خدشُ حياء أو إنقاصُ قدْر، بل على العكس تمامًا، ستعلو وتغلو في عين زوجها، فالأنوثة هي أكثر ما يؤثّر في الرجل ويجعله طيّعًا هينًا ليّنًا، ثمّ تعرض عليه ما تريدُ منه بصيغة الطّلب وليس الأمر، ثمّ ترجع الأمر إليه ليتصرف فيه حسبَ رؤيته وطريقته، كأنْ تقول له: «أنا أريدُ كذا وكذا، لكن الرأي رأيك والشّورى شورتك واللي انتَ شايفة حيكون»، فتسهل عليه ـ في الغالب ـ



الاستجابة لطلبها، وإنْ لم يلبّه لها فسيترفّق بها ويحنو عليها بوسائل أخرى، وسيستجيب لها في مناسبات لاحقة.

أثناءَ الحوار، أشْعِرها بالألفة، وأشْعِريه بالسّيطرة

٢- المشاركة والاستقلال:

تميل المرأةُ إلى المشاركة، بينما يحبّ الرّجل الشّعورَ بالاستقلال، من أجل ذلك كان الحوارُ الزّوجي الإيجابي هو الذي يترجم رغبة الزوج في الشعور بالاستقلال وميل الزوجة للمشاركة.

إنّ الرّجلَ الحكيم هو الذي يتشارك مع زوجته في أمورٍ شتّى، يتشارك معها في مشاعرها وفكْرها ورأيها وحواراتها وأحلامِها وطموحاتِها وبعض اهتماماتها، ولا ينعزل عنها كثيرًا أو طويلًا طلبًا للراحة والاسترخاء.

والمرأةُ الحكيمة هي التي تشعِرُ زوجَها بالاستقلال، بينما هي ـ في الحقيقة ـ تكبّله بالأغلال، تشعره بالاستقلال لأنّ «الرّأي رأيك، والشّورى شورتك، واللي انتَ شايفة حيكون»، تُشْعره بالاستقلال بالحوار الخالي من الأسئلة الكثيرة والاستفسارات الغزيرة، وكأنّه في جلسةِ تحقيق، تُشْعره بالاستقلال بعدم محاصرته في غدواته ورَوْحاته ومطاردته أينما حلّ وارْتَحل، وتكبّله بالأغلال بأنوثتها بما فيها من رقّة ودلال ونعومة واستسلام، تلك الأنوثة التي تجعله مُنقادًا إلى إراحتها، متّخذًا قرارتها منفّذًا إرادتها ملبّيًا احتياجاتها، وهو في غاية السعادة والحبور.

أثناءَ الحوار، أشْعِرها بالمشاركةِ والتّلاحم، وأشْعِريه بالحريّة والاستقلال

٣- الاختصار والتكرار:

تريد المرأةُ في حواراتها الإسهاب والاستفاضة والتّكرار والإلحاح، بينما يميل الرجلُ إلى الإيجاز والاختصار وعدم التّكرار، فإذا جمع الحوارُ بين الإيجاز والاخْتصار وعدم التّكرار من ناحية وبين بقائه قائمًا بين الزّوجين ولو كان بجرعة قليلة؛ سيستريح كلّ من الزوجين.

لقد اقتضتْ حكمةُ الله تعالى أن تتّخذ الأنثى الإلحاحَ والتّكرار وسيلةً لإقناع طفلها الصّغير بما تريد، وكذلك لإقناع ابنتها حتّى بالأمور المصيريّة كالقبول بمَن يتقدّم لخطبتها، ولكنّ هذه الموهبة إذا استخدمتها مع زوجها أتعبتْه للغاية؛ فالإلحاح صفة ركّبها الله في المرأة لتؤدّي دوْرها مع صغارها وبناتها وليس مع زوجها وأبنائها الذّكور البالغين، إنّها وسيلتها الفاعلة لتعليم صغارها ولإقناع بناتِ جنسها بما تريد، ولكنها وسيلة مدمّرة إذا ما استخدمتْها مع زوجها وأبنائها من الذّكور البالغين.

ولذا يجب على الزّوجة حين إقامةِ حوارٍ مع زوجها أن تراعي ما يلي:

أ- التّوقيت المناسب للزّوج: فليس للرجل استعدادٌ ـ في الغالب ـ على إقامة حوارٍ بينه وبين زوجته في أيّ وقت، بل يجب برمجتُه مسبقًا بالحصول منه على ميعادٍ معيّن للحوار في توقيت يحدّده. إنّ للرجل في بيته وقتًا يقضيه

وهو في حالة «الفَصَلان»، إنّه الوقت الذي يفعل فيه الـ«لاشيء»، ولذا كانت برمجتُه مسبقًا لقضاء وقتٍ جدّيّ معه لمناقشة بعض المهامّ والمسئوليّات من الضرورة بمكان.

ب- الجَرْعة المناسبة: لأنّ الرجل ـ في الغالب ـ يميلُ إلى الاختصار وعدم التّكرار، ويكره الإسهابَ والإلحاح، فينبغي على زوجته مراعاةُ ذلك حين الحوار معه، فالإسهابُ يعتبر جَرْعة زائدة (أوفر دوز) تقتل الحوارَ معه، وربما تنهيه بطريقة دراماتيكيّة، والإلحاح يولّد الضّجر، ويمثّل ضغطًا عليه، وقد يستجيب لهذا الضّغط ويلبّي ما تريده منه زوجته وهو متألّم كاره.

جـ- انتقاءُ الأسلوب المناسب الذي يليقُ بزوجة محترمةٍ تحادث زوجها الكريم، مع الوضع في الاعتبار أنّ الرجل تصلح معه المصارحةُ والمكاشفة بأسلوبٍ مباشر ليّن هيّن، ولا تصلح معه الأساليبُ غير المباشرة، والتي بها الموارِبة والتورية والتّلميح، وهي الأساليب التي اعتادتْ أن تلجأ إليها المرأة أثناءَ الحوار مراعاةً لمشاعر مَن تحادثهم وكسبًا لودّهم، إنّ أساليب الموارَبةِ والتّورية والتّلميح لا تصلحُ مع الرجل بأيّ حال من الأحوال، فهو لن يفهم مقاصدَ زوجته كما تريد أو يؤوّلها بالخطأ أو كأنّها لم تقل شيئًا.

كما يجبُ على الزّوج- حين الحوار مع زوجته- أنْ يراعي بعضَ النقاط منها ما يلي:

أ- تلبيةُ احتياج زوجتِه إلى الحوار في الوقت الذي تريده هي قدرَ الإمكان، فلربّما أدّى تأجيل الحوار معها إلى حدوث أزمة. وإذا كان من الهامّ لديه تأجيل الحوار لوقتٍ آخر فيجبُ عليه أن يتلطّف في عرض التأجيل.

ب- يلزم المرأة ـ في الغالب ـ لكي ترتوي من زوْجها حوارًا يستنفد وقتًا أطول ممّا يستطيع أن يمنحه لها الرجل، فجَرْعتها المناسبة تفوق قدراته. وعوضًا عن هذا فيجب أن يعوّض الرجل هذا النقصَ بجوْدة النّص، فبقدر الجهد كلّما مكث الرّجل وقتًا ـ ليس طويلًا بقدر ما هو ممتع ـ في حوار مع زوجته؛ كلّما كان هذا أفضل لها.

جـ- ينبغي على الزّوج أن يحاور زوجتَه برقّة وعذوبة ومراعاة للمشاعر، فذاك الأسلوب هو الأكثر ملائمة لها.

٤- بين مظهر الحوار وجوهره:

إنّ الحوار بالنّسبة لكثير من الرجال يكون نافعًا إذا تحلّى بهدفٍ عمليّ منطقي أو يكون تافهًا إذا لم يكنْ له هدف عملي منطقي، ولذا كان المهمّ عند الرّجل هو محتوى الحوار وجوهره، فهو ليس لديْه استعدادٌ لإضاعة وقته في حوارات ليست ذات أهدافٍ منطقيّة، فإذا لم تكنْ بالحوار مواضيع هامّة بالنسبة له فالصّمتُ عنده أفضل وأولى.

أمّا بالنّسبة للنساء فيمثّل الحوار وسيلةَ ألفةٍ وترابط وتواصل وتشارك، وبذلك لن يكون بأيّ حال بالنسبة لهنّ تافهًا مهْما كان موضوع الحوار سطحيًّا، فالمهمّ عندهنّ ليس مُحْتوى الحوار وجوهره قدْرَ ما يحْدِثه هذا الحوارُ من ألفة وترابط وتواصل.

وبناءً على ذلك ستكون للصّيغة التى ينتهجها الزّوج في الحوار التي تتّسم بجَمال مظهره ورونقه أهميةٌ خاصّة وتأثيرٌ كبير على قدْرَة المرأة على الإصغاء والإنْصات إلى محتواه، وبالتالي العمل به.



يمكنُ لمظهرِ الحوار وجَماله أن ينشئ قنواتِ تواصل،
وإذا انصبّ اهتمامُ الرّجل على جوهر الحوار فقط فسيشيّد بينه وبين زوجته جدرانًا فواصل.

٥- بين المنطق والمشاعر:

إنّ الرجلَ يميل إلى صبْغ كلماتِه بالمنطق، بينما المرأة تحبّ أن تكون الحواراتُ معها ملأى بالمشاعر والأحاسيس، ففي حديث النّبي- صلى الله عليه وسلم- بأنّ النساء يكْفرن العشيرَ نابعٌ من أنّ المرأة عندما ترى من زوجها ما تكرَه تقول له: «ما رأيتُ منك خيرًا قط»، إنّ «قط» تعني عنده ـ كما في اللغة العربية ـ «أبدًا»، وهذا بالمنطق، أمّا عندها فكلمة «قط» تعني ـ كما في لغة النساء ـ «الآن»، وهذا بالمَشاعر، أي «قط» عندها تعني: «أنا الآن حزينةٌ بسببك»، «أنا الآن غاضبةٌ منك»، إنها تتعاملُ مع «قط» بالمشاعر والتي تعني «الآن»، فتتعجّب لغضبه وضيقِ صدره لقوْلها «قط» لأنّه بالفعل أحزنها الآن وأغضبها الآن، وهو يتعاملُ مع «قط» بالمنطق والتي تعني أبدًا، فيشعر بكفْرانها للنّعم وجحودِها للفضل ونسيانِها إحسانَه إليها، لقولها «قط» لأنّه كثيرًا ما أكرمَها بالإنفاق والرعاية والاهتمام.

وعلى ما يبدو أنّ هناك فارقًا واضحًا بين معاني مفردات «اللغة العربية» وبين معاني مفردات «اللغة النسائية»، فاللغة العربية شيء ولغةُ النّساء شيء آخر، الأمر الذي يجهله الرجلُ جهلًا مُدقعًا يستحقّ عليه الشّفقة، والدّعاء له بالصبر وحسن الفهْم، وحضّه على تعلّم لغة النساء.



«قط» عنده بالمنْطق تعني «أبدًا»
«قط» عندها بالمشاعر تعني «الآن»

إنّ الاختلافَ بين الموجات هي التي تضعُ الحوار الزّوجي في مأزق، هو على موجة المنطق، وهي على موجة المشاعر.

إنّ الحوارات التي تُدار داخل البيت يجبُ أن تزدانَ بالمشاعر أكثرَ من اقتصارها على المنْطق، فداخل البيت يجب أن تسودَ به المشاعرُ الناعمة التي تحبّها النساء من رقّة ولطفٍ وحنان واحتواء، أمّا خارج البيت فيسود منطق الرجال الخشن من منافساتٍ ومغالبات وصراعات.

٦- بين التّبرير والاعتذار:

سيتخلّل الحياة الزّوجية ـ بلا جدال ـ ارتكابُ العديد من صنوف الأخْطاء الصغيرة أو الكبيرة من كلّ مِن الطرفين في حقّ الطرف الآخر، وكلّ ابنِ آدم خطّاء، كما قال النبي – صلّى الله عليه وسلم –، وكما أثبته واقعُ حياة البشر.

ارتكابُ الأخطاءِ حتميّةٌ بشريةٌ

فليستِ المشكلة إذًا في ارتكاب خطأ ما، ولكنّ المشكلة تكمنُ في عدم الشّعور بارتكاب هذا الخطأ، وعدم الاعتذار عن اقترافِ هذا الخطأ، وتجاهل تدارك توابعِ هذا الخطأ، وعدم محاولة محْو آثاره السّلبية، وتكرار ذات الخطأ بالمستقبل.

فقد تعصي المرأةُ زوجها ولا تطيعه، وقد تهدرُ أوامره وتوجيهاته، وقد تستهينُ بما يقول ويفعل، وقد تتجاهل طلباته، وقد تمنعُه بعضًا من حقوقه الشرعية، وقد تحقّر من شأنه، وقد تنالُ من رجولته، وقد..، وقد..، راغبةً أو راغمة، مدركة أو جاهلة، متعمّدة أو بغير قصد.

وفي معظم هذه الأحوال تجدها ـ عندما تدركُ أنّها أخطأت ـ تسارع بتقديم الاعتذار الواضِح الصّريح عن أخطائها بحقّ زوْجها، كأنْ تقول: «أنا آسفة»، «متزعلش منّي»، «مكُنتش واخده بالي»، وغالبًا ما تقدّم مع هذا الاعتذار تبريراتِ ما قالت أو ما فعلت، وتسوق الحجج والأسبابَ لتثبت أنّها معذورة، أو أنّ ما يطلبه منها كان غيرَ معقول أو غيرَ مناسب أو غيرَ متاح أو غيرَ مُستطاع، أو أنّها كانت تعتقد أنّ ما قالته أو ما صنعتْه كان هو الأصحّ والأصوب.

إنّ تبريراتِ الزّوجة التي تقدّمها لزوجها حينما ترتكب خطأ قد تزيدُ من آلام الزّوج أضعافًا مضاعفة، ويصيبه الإحباط واليأس من تغْيير الأوضاع إلى الأفضل، فلا خطأ ترتكبه إلّا وله تبريرٌ أو عذر أو سبب، ويبقى ارتكابُ ذات الخطأ ما بقيت التّبريرات والأعذار والأسباب.

إنّ أفضل ما تفعله المرأة حينما تشعر أنّ زوجها منها ضَجِر أو غاضبٌ أو حزين أو متألّم هو أن تعتذر له، وأن تحاول جاهدةً ألّا تكرّر بالمستقبل ما يغضبه ويؤلمه، تعتذر له بكلّ دلال الأنثى ورقّة الأنثى وعذوبة الأنثى، في جوٍّ من الصدق والودّ، أو تأخذ رأيَه وتصدق عليه على غير العادة، كما قد تقوم بإعداد الطّعام المحبّب للزّوج، أو تهيئ نفسَها للقاء جنسي، فتستميل رجولته بأنوثتها، فتستخرج منه أروعَ ما فيه.

إنّ روْعة الأنثى تتجلّى في الاعتذار ربّما عن أخطاءَ لا تشعر أنّها ارتكبتها، أو حتى عن أخطاء لم ترتكبها بالفعل، وذلك تقرّبًا إلى قلب زوجها وكسبًا لودّه.



والرّجلُ الحصيف هو مَن يتقبّل هذه العبارات أو الأداءات الاعتذارية الأنثوية بكلّ حب، يتقبّلها متسامحًا سليم الصدر صافِ الودّ، متناسيًا ما فات لخيرٍ وفير آت.

ولكنّ الرجل لا يرغب في تكرار زوجته ارتكابَ ذات الخطأ مرارًا مع تقديم الاعتذار تكرارًا، فتبدو زوجته في نظره وكأنّها تفتقد إلى المصداقية، فيشعرُ باليأس في تغيير الأوضاع للأفضل.

كما قد يؤلم الرّجلُ زوجتَه برفض طلباتِها ورغباتِها وتجاهل احتياجاتها، وقد يجرح مشاعرها، ولا يمنحها الرعاية والاهتمام الكافييْن، ولا يدغدغها برومانسيّة تحبّها، وقد يهدر أنوثتها بشتّى الوسائل، وقد..، وقد...، بعلم أو جهل، بقصد أو بغير قصد.

وفي بعض هذه الأحوال يقدّم الرجل اعتذارًا عمّا بدر منه من أخطاء، ولكنّه قد لا يعتذر الاعتذار الذي يصلح مع زوجته كأنثى، فغالبًا ما يقدّم الرجل الاعتذارَ في صورة كلمات قليلة جدًّا، «أنا آسف»، «ما تزعليش»، أو يفعل أمرًا غير معهود عليه أو على وجهٍ غير ما تعوّدت منه، ومن هذه الأفعال مدّ يد العون دون أن تطلب منه، فقد يغسل بدلًا منها الأطباق والأواني على غيرِ ما ألِفَتْ منه، أو قد تسمعه يسألها أسئلةً بسيطة تافهة ليفتح معها حوارًا يستجلب به صلحًا وودًّا، وقد يلبّي لها طلبًا سبق وأنْ رفضه من قبل، وقد يعلّق تعليقًا إيجابيًّا على برنامج فضائي أو مشهد سينمائي يثير قضيّة تهمّ زوجته أو موقفًا تربويًّا ذا صلةٍ بتربية الأبناء كحضّهم على طاعة أمّهم وتوضيح كمْ هي تتعب من أجلهم، وقد يجري معها اتصالًا تليفونيًّا رقيقًا على غيرِ العادة..، إلخ، كلّ ذلك وكأنّه يطلب منها أن تسامحه وتنسى إساءته.

ولكنّ المرأة ـ غالبًا ـ لا يشبعها الاعتذار فقط ولا هذه الطريقة في الاعتذار، إنّها تريد من زوجها تبريرًا لما يفعل وليس اعتذارًا عمّا يفعل. إنّها تريد معرفة أسباب تأخّره في العودة إلى المنزل، أسباب سفره لبضع أيام، أسباب مكثه عند والدته طوالَ النّهار، إنّها تريد تبريرات مُصاغة بأسلوب عاطفي يراعي المشاعر، تبريرات تروي بها أنوثتها وتبثّ منها ما يطمئنها ويريحها ويُشْعرها بالأمان، تبريرات لا تعرف المنطقَ وحججَه وبراهينه قدْرَ ما تعرف الأحاسيسَ ورقّتها ورونقها، تبريرات صادقة متوّجة بالحبّ، هكذا المرأة، وهذا ما يريحها.

وفي كلّ الأحوال ينبغي على المرأة اللّبيبة انتهاز هذه الفرص السانحة، وتتقبّل اعتذار زوجها بأيّ من هذه الرسائل الاعتذارية التي يقدّمها، وغفران ما سبق، ولا تأخذها عزّةٌ بإثم من أجل عودة الهدوء إلى الأسرة.

وربّما كان السبب في أنّ التبريرات عند المرأة أربى من الاعتذارات هو أنّها تعطي فرصة لحديث أطول بينها وبين زوْجها أكثر من الاعتذارات، الأمرُ الذي يريحها ويروي ظمأها لحوارٍ طويل نوعًا ما، أمّا الاعتذار الذي لا يستغرق سوى بضع ثوانٍ تقال أثناءها بضعُ كلمات قليلة فأمرٌ لا يريح المرأة، وإنّما يستريح له الرجلُ لأنّه يزيح عن كاهله إطالة الحوار.

لا تبرّري أخطاءك، هو يريدُ اعتذارك..
قدْ لا تحتاج إلى اعتذاراتك قدْرَ حاجتها إلى تبريراتك.

مِن الأخطاء التي تُفشلُ الحوارَ الزوجي ما يلي:

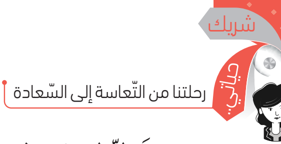
- المقاطعة:

من أدبِ الحوار الزّوجي الاستماعُ والإنصاتُ لشريك الحياة، وعدم مقاطعته حتّى يفرغ من حديثه، إنّ المقاطعات تنهي الحوار نهاية مأساوية.

مَن أراد حوارًا بنّاءً فعليه بإتقانِ فنون الإنْصات والاستماع.

هكذا تعلّمنا من النبي - صلّى الله عليه وسلم - عندما عرض عليه عدوّ الله «عتبة بن ربيعة» عددًا من العروض ليكفّ عن أداء رسالته ودعوته، فقد قال «عتبة بن ربيعة» - وكان سيّدًا في قومه - وهو جالس في نادي قريش ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - جالسٌ في المسجد وحدَه: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمّد فأكلّمه وأعرض عليه أمورًا لعلّه يقبل بعضها، فنعطيه أيّها شاء ويكفّ عنا؟ وذلك حين أسلم «حمزة»، ورأوا أصحابَ رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قمْ إليه فكلّمه. فقام إليه «عتبة» حتى جلس إلى رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - فقال: يا ابن أخي، إنك منّا حيث قد علمتَ من السّلطة في العشيرة والمكانِ في النسب، وإنّك قد أتيت قومَك بأمر عظيم، فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعِبْت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به مَن مضى مِن آبائهم، فاسمعْ منّي أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها. فقال له رسول الله - صلّى الله عليه وسلم -: قلْ يا أبا الوليد، أسمع. قال: يا ابنَ أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمَعْنا لك من أموالنا حتّى تكون

أكثَرَنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سوّدناك علينا حتّى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملّكْناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ وبذلنا فيه أموالَنا حتى نبرئك منه، فإنّه ربما غلب التّابع على الرجل حتّى يداوى منه... أو كما قال له، حتّى إذا فرغ «عتبة» ورسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- يستمعُ منه، قال: أفرغتَ يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال صلى الله عليه وسلم: «فاسمع منّي»، قال: أفعل. قَالَ صلى الله عليه وسلم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾ (فُصّلَتْ: ١-٥)، ثمّ مضى رسولُ الله- صلّى الله عليه وسلم- فيها يقرؤها عليه، فلمّا سمعها منه «عتبة» أنصتَ لها، وألقى يديْه خلف ظهره معتمدًا عليهما، يسمعُ منه، ثمّ انتهى رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- إلى السّجدة منها، فسجدَ ثمّ قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك. فقام «عتبة» إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغيْر الوجْه الذي ذهبَ به. فلمّا جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنّي قد سمعت قولًا والله ما سمعتُ مثله قط، والله ما هو بالشّعْر ولا بالسّحر ولا بالكهانة، يا معشرَ قريش أطيعوني واجْعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرّجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعتُ منه نبأ عظيم، فإنْ تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإنْ يظهر على العرب، فملكُه ملككم وعزّه عزّكُم وكنتم أسعدَ الناس به. قالوا: سحَرَك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه فاصْنعوا ما بدا لكم.



عندَ النّظر إلى هذا الحوار النّبوي الكريم نلحظُ به الكثيرَ من الآداب التي يجبُ على المتحاورين ـ خاصّة الزّوجين ـ التحلّي بها عند إجراء حوارٍ بينهما، منها:

« حُسن الإصغاء وعدمُ مقاطعة المتحدّث حتّى يفرغ من كلامه نهائيًّا، فلربّما أجمل المتحدّث كلامه في بدايته وسوف يفصّله في نهايته، أو ربّما لم يصرّح بمراده في بداية الكلام وسيكون ذلك في آخره، فحُسن الإنصات والاستماع يسهل كثيرًا من تقْريب وجهاتِ النّظر وفهْم المراد. وهذا واضحٌ في إنصات النبي – صلّى الله عليه وسلم – لـ«عتبة» حتى فرغ، ثمّ قال له صلّى الله عليه وسلم: «أفرغت يا أبا الوليد؟» وهذا دلالةٌ على عدم مقاطعة النبي – صلى الله عليه وسلم – لـ«عتبة» في حديثه.

« حُسن التأدّب في الحوار، وحُسن انتقاء الكلمات والاحترام، ولذلك قال النبي – صلّى الله عليه وسلّم – لـ«عتبة»: «قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعُ». وخاطبه بكنيته «أبا الوليد» وذلك علامة على الرفق به ولين الجانب له. وكانت العرب تحب المناداة بالكنية كنوع من الاحترام والتوقير، كما بدأ «عتبة بن ربيعة» حديثه مع النبي – صلى الله عليه وسلم – بما يبيّن القرب وما بينهما من صلةِ رحم بقوله: «يا ابنَ أخي...» وهي بداية ترقّق القلب للاستماع والإصغاء.

« الإيجازُ والبلوغُ إلى الهدف بقراءة كلماتِ الله الموجزة البليغة في آياتٍ مُحْكمات من سورة «فصلت»، وهذا الحوار الموجزُ البليغ يصلحُ مع الرّجال وبينهم، ولكنّه قد لا يصلح مع أغلب النساء وبينهن.

دارَ هذا حوار بين خير خلقِ الله – صلى الله عليه وسلم – وبين عدوّ الله، إنّه حوار فُرقاء، ولكنّه امتلأ بالآداب كحسن الاستماع والإنصات وعدم المقاطعة، وازدانَ بالتّأدب وحسن انتقاء الكلمات والإيجاز، فما بال يكون الحوارُ بين زوجين حبيبين شريكين كريمين؟



- **الافتقادُ إلى الاحترام والتقدير المتبادلين:**

يوغرُ الحوارُ الزوجي الصّدور ويزيل الاحترام والتقدير ـ أو ما بقي منهما ـ إذا ما تلوّث بالتطاول والاستهانة والسباب والشّتم والإهانة والتّحقير والاستفزاز والمعايرة والتهكّم والسّخرية والعدوان اللفظي أو غير اللفظي، وقد يجعل كلّ ذلك الزواج ذا عمرٍ قصيرٍ مبتورٍ أو طويل مرير، رغم أنّ مَن يفعل ذلك ـ في الغالب ـ لا يودّ مفارقة شريك حياته ولا يستطيع الاستغناء عنه، وهذا أمرٌ عجيب، لا يودّ مفارقته ولا يجيد احترامه وتقديره.

- **الخوفُ مِن تجدّد الألم بتجدّد الحوار:**

حينما يتعرّض الإنسانُ للتجريح المتواصل والإيذاء المستمرّ من شريك الحياة، فإنّه يتردّد في مجرّد التحدّث إليه مرّة أخرى خشيةً من تكرار الجرح أو الأذى ثانية.

- **عدمُ التماس الأعذار:**

قدْ يسارع أحدُ الزّوجين في لوْم الطّرف الآخر على أمرٍ فعله أو خطأ ارتكبه قبل أن يعرفَ منه سبب هذا الفعل أو ذاك الخطأ، يسارع في إصدار حكم أو إلقاء تهمةٍ قبل أن يسمع أعذاره. لا بدّ من معرفة العذر قبل الشروع في اللّوم، فلربما كان العذرُ وجيهًا مقبولًا، ولكمْ وقعَ ظلم لعدم سماع الأعذار، وحتّى ولو لم يكنْ هناك عذرٌ ذو بال فالتماسُ الأعذار بين الزوجين الحبيبين أولى وأوجب.

- **استخدامُ الأسلوب الغاضب العنيف:**

لا يعرف الشّخصُ الغاضب العنيف الحوارَ الهادئ، ولا يكفّ عن إثارة الضوضاء والجدال مع شريك الحياة، إنها شخصيةٌ دائمة التّعنيف واللوم

والانفعال، ولا تستطيع الإمساكَ بزمام نفسها، ولا تتمالك ردود أفعالها، فهي كثيرًا ما تثور ثائرتُها عند التعرّض للمواقف البسيطة، فتجعل من ثورتها متنفّسًا لما يضيق به صدرها. إنّ التعنيف وشدة الانفعال لا يصلحان من أمرِ إنسان، ولكنّهما يحفّزان لديه العنادَ والثّبات على ما هو عليه، أو الانزواء والانسحاب.

- استخدامُ الأسلوب الهجوميّ وإلقاء التّهم:

الحوارُ الممتلئ بالهُجوم على شريك الحياة وقذفه بتُهمٍ قد يكون منها بريئًا سيحوّله إلى اقتتالٍ بين فرد يهاجم وآخر يدافع.

هو: «انتِ ليه أخذتِ فلوس من محفظتي؟ هي: «أنا ماخدتش حاجة، اسأل الأولاد» هو: «انتِ اللّي دايمًا تاخدي الفلوس من محفظتي دون أن تخبريني».

هي: «انتَ دايمًا حاطط كوبّاية الشاي الفاضية على الأرض كده جنب الكرسي؟ هو: «مش أنا اللّي عملت كده» هي: «هذا طبعك».. هو: «عمرك ما عملت اللّي أنا عايزه»

- انْتهاجُ الأسلوب الدّفاعي:

أثناء الحوار قد يبادر أحدُ الزّوجين بالدّفاع عن نفسه دون توجيه اتّهام له..

هي: «الولد درجاتُه سيئة في اختبار هذا الشهر» هو: «أنا عملت كلّ اللّي أقدر عليه علشان يبقى كويس، ألحقته بمدرسة متميّزة ووفّرت له مدرّسين خصوصيّين، أعمل إيه تاني؟» إنّها لم تتّهمه بالتقصير، ومع ذلك انبرى مدافعًا عن نفسه..

هو: «البنت خرجتْ بملابس ضيقة ليه؟» هي: «والله أنا قلت لها ألف



مرّة متخرجيش كده» هو لم يتّهمها هي بشيء، فلماذا تنبري مدافعة عن نفسها؟.

- **فتحُ الحوار في عدّة مواضيع في نفس الوقت:**

يبدأ الحوار بموضوع معيّن ثمّ لا يلبث أن يُفتحَ موضوعٌ آخر فثالثٌ فرابع، فيتيه الأمرُ ولا يحصل الزّوجان على نتائج محدّدة إلّا إرهاق الأعصاب واشتعال الخلافات.

- **استدعاءُ آلام الماضي:**

تدأبُ أغلب النساء وبعضٌ من الرجال حينما يتألّمون ويعانون من شريك الحياة استدعاءَ أحداث الماضي الأليم واجترار مواقفه المحزنة، فيتعكّر مناخ الحوار، ويتمّ الابتعاد عن الموضوع الأصلي الذي بدأ به الحوار، وتُفتح عددٌ من المواضيع السّاخنة المؤلمة، فلا صَفَا بينهما الحوار ولا أدركا الهدف منه.

- **رفضُ الاعتراف بالخطأ:**

كلّ ابن آدم خطّاء، والاعترافُ بالخطأ يلينُ الأجواء، ويهدّئ النفوس، ويبعث الأمل في مواصلة الحياة بشيء من الثقة.

- **رفضُ الحوار والاستهانة بقيمته:**

قد يتوهّم البعض أنّ العشرة الطّويلة وحدها هي التي تجلبُ التّفاهم بين الزّوجين، فلا داعي للحوار لفهم الآخر، فكلّ واحد «عاجن الآخر وخَبْزه»، لا داعي للحوار لأنّه «لازم يفهم لوحده»، «لأنّني قلت لها الموضوع ده ألف مرّة»، إنه لن يفهم وحده، وإنّها لن تفهم وحدها، بل ستترك نفسها لأفكارها وتخميناتها، أو تستشير مَن لا تصلح استشارتها، فيزداد الوضع تفاقمًا.



- المقارناتُ السّلبية:

الحوارُ الذي يتناول مقارنةً بالآخرين والمبنيّ على أنّ الآخرين هُم الأفضل في كذا وكذا؛ حوارٌ نهايتُه معروفة، تعكير صفوٍ وتكدير مزاجٍ وجلب إحباطٍ، ومن جهة أخرى عنادٌ وإصرار على عدم التغير.

- الانسحابُ السلبي:

يتمّ الانسحاب من الحوار حينما لا يأتي إلّا بمزيدٍ من ألم وحسرة، حينما يحلّ اليأس من تحسّن الحوار، ويصير ألم الصّمت أقلّ وطأة من ألم الحوار.

- استخدامُ نبراتِ وكلماتِ وإيحاءاتِ التهديد:

لنْ يكون هناك حوارٌ في بيت تصدح في أرجائه عباراتُ التّهديد بعدم الإنفاق أو بالهجر والفرار إلى بيت الوالدين أو بالطّلاق أو بتعدد الزوجات، وغير ذلك.

- الانشغالُ عن المتكلم:

الانشغالُ عن الحوار مع شريك الحياة بالموبايل أو مشاهدة ما تعرضه الفضائيات أو تصفّح النّت أو قراءة جريدة أو بطهي طعام أو رعاية صغار؛ تدلّ على عدم الاهتمام به والانشغال عنه، الأمرُ الذي سيدفعه للتوقّف عن الاستمرار في الكلام حانقًا غاضبًا أسيفًا.

- تحوّلُ الحوار إلى جدال:

يبدو الحوارُ كمعركة حينما يصرّ كلّ من الزوجين على الانتصار لرأيه أو فرضِه والتشبّث به، حوارٌ فيه ندّيّة وسعي للغلبة، فيطول الحوار ويتحوّل إلى جدلٍ عقيم سقيم يتلفُ الأعصاب ويثير النفوس ويجلب النفور.



- قصْرُ الحوارات على طرح المشكلات والخلافات المزمنة:

أكثرُ الحوارات السّلبية بين الزوجين حواراتٌ مكرّرة لا تنتهي، فلا هي حُلّت ولا هي ارتحلت، بل مكثت فأتعبت، وأطالت فأجهدت، «أمك بتقول....»، «أبوكِ بيعمل....»، «إنتِ تخينة كده ليه»، «إنتَ مبهدل في نفسك دايمًا».

- خلوّ الحوار من الرومانسية والترفيه واللعب:

حينما يخلو الحوارُ الزوجي من الابتسامة والضّحكة والطرفة والرّومانسية سيصير حوارًا رسميًّا جافًّا عقيمًا، وهو حوارٌ يصلحُ مع الأغراب ولكنّه لا يصلح بأيّ حالٍ من الأحوال مع الزوجين.

- عدمُ الاستمتاع بالعلاقة الجنسية:

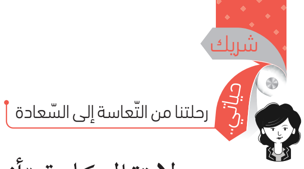
إذا لم تشبعِ العلاقة الجنسية الزّوجين- أو أحدهما- سينقلب الحوارُ إلى أمرٍ غاية في السّوء، فالكلام بين الزوجين حينما تفشل العلاقة الجنسية سيقلّ، ثمّ يصيبه الجفاء ويسودُ فيه الاحتقار والازدراء والتوتّر والغضب، وتفرّ منه المودة والحنان والتقدير والاحترام.

- استخدامُ ضمائر المخاطبة في غير موضعها:

هناك كلماتٌ تقال في مواضع، ولا تقال في أخرى، كالتالي:

استخدام كلمة «أنا» عند التّعبير عن المشاعر والأحاسيس الإيجابية، «أنا بحبّ طريقتك في تربية الأولاد»، أنا متأكدة من حبّك لي».

ولا تستخدم كلمة «أنا» عند التّعبير عن المشاعر والأحاسيس السلبية، «أنا مللت الحديث معك في هذا الموضوع»، «أنا غلطان أنّي تكلّمت مع واحدة لا تقدّر تعبي».



لا تقال كلمة «أنت» عند التّعبير عن المشاعر والأحاسيس السلبية، كما لا تقال بالعبارات التي يملؤها اللوم والتأنيب والنقد. ولذا، قل...، ولا تقل......

- هو: «أنا أحبّ أن تقدّري جهدي»، بدلًا من، «أنت لا تتفهمي كم أتعب علشانك أنت والأولاد».

- هي: «أنا أشعرُ بالقلق عندما تتأخّر»، بدلًا من، «أنت دائمًا تتأخّر ولا تهتمّ بما تسببه لي من قلق».

- هي: «أنا أحبّ أن تشعرني بمكانتي عندك»، بدلًا من، «أنت لا تشعرني أني حبيبتك».

- هي: «أنا منزعجة لأنّك دائمًا ما تنسي ما أطلبه منك»، بدلًا من، «أنت لا تشعر بأهمية احتياجاتي ولا تهتمّ بطلباتي».

- هو: «أنا حاسس أنّك بعيدة عني»، بدلًا من، «أنت في وادي وأنا في وادي».

- هو: «أنا كنت أنتظر منك عملًا أفضل من ذلك»، بدلًا من، «أنتِ تصرّفت بغباء».

- التحدّثُ في الأمور المشتركة بصيغة الفرد وليس الجمع:

- هي: «لا تضرب ابني بالطّريقة دي»، إنها نسيتْ أنه ابنه أيضًا.

- هو: «مش عايز طقم الكراسي ده في بيتي»، إنه نسي أنه بيتها أيضًا.

- هي: «ليس لك شأن بمطبخي»، صحيح أنّ المطبخ مكانٌ أساسي في عملها بالبيت ولكنه مطبخه أيضًا.

- **عدمُ التّأكد من قصد شريك الحياة بكلامه:**

سوءُ فهْم القصد من الكلام يؤدّي دومًا إلى الخلافِ والشّجار وتكدير الصّفو، ولذا يجب إيجاز ما قاله شريك الحياة وما تمّ فهْمه من المشاعر الكامنة

وراءَ كلماته بعدما يتوقّف عن الكلام، وعلى شريك الحياة أن يعقّب بقوله: «هذا ما أردت إيصاله لك»، «نعم هذا صحيح»..«لا ليس هذا ما قصدته». وعلى الزّوجين تصديق كلّ منهما الآخر بلا مداراة أو تخمين أو قراءة أفكارٍ أو سوء ظنّ.

٣- سوءُ توزيع الأدْوار والمهامّ والمسئوليات والصلاحيات

يتطلّب لصلاح أمرِ أيّ أسرة الاتفاقُ على توزيع الأدوار والمهامّ والمسئوليات والصلاحات التي تزخم بها الحياة الأسريّة على أفرادها، كما يستلزم الأمرُ رسمَ الحدود وتحديد المساحات، بغير تعدٍّ وتجاوز أو انسحاب وتقلّص. يقع عبء توزيع هذه الأدوار والمهامّ والمسئوليات والصلاحيات أساسًا على عاتق الرّجل منذ بداية الزواج، فالرجل عليه أن يحدّد لزوجته ومعها عملياتِ التوزيع ورسم الحدود وتحديد المساحات في ظلال من الأدراك العميق للتالي:

- طبيعة كلّ جنس ونفسيته، فلا تكلّف المرأةُ بأدوار الرجال، ولا يكلّف الرجل بأدوارِ النّساء، إلّا لضرورة قاهرة.
- يجبُ مراعاة حالة الفرد الصحّية وإمكانياته وملكاته واهتماماته ومواهبه وميوله وقناعاته وقدراته الذهنية وأنماطه الشّخصية وخصائص مرحلته العمرية.
- توافر قدْرٍ مناسب من المُرونة والتّفاهم وبعض القيم والخصال الحميدة كالودّ والحبّ والحنان والتفهّم والاحترام والتّقدير والسعي للتطوير والتغيير إلى الأفضل.

وللأسف، كثيرًا ما يشيعُ ارتكاب بعض الأخطاء أثناءَ عملية توزيع الأدوار والمهامّ والمسئوليات والصّلاحيات، والتي منها ما يلي:

أ- تداخلُ الأدوار: هو تأدية الزّوجين دورًا واحدًا ووظيفة واحدة، وكلّ طرف ـ بالطبع ـ سيؤدي هذا الدور بطريقته هو وبأسلوبه هو، وطبقًا لوجهةِ نظره هو وقناعاتِه هو المختلفة عن طريقة وأسلوب ووجهة نظر وقناعات شريك حياته، ممّا قد يفضي إلى تضاربٍ في الأداء الذي قد يصيبه الخلل، ويستجلب الخلاف والشجار بين الزوجين.

هو له رأيٌ في ملابس ابنته البالغة أو ملابس ابنه البالغ، وهي لها رأيٌ آخر
هو له رأيٌ في صديقات ابنته أو أصدقاء ابنه، وهي لها رأيٌ آخر

فإذا الابنة تتخيّر من آراء والديها ما يريحُها، فمرّة تطيع والدها، ومرّة أخرى تطيع والدتها، إنها ليست طائعة لأحدهما، وإنّما هي تستثمرُ اختلاف آراء الوالدين لتفعل ما يتّفق مع هواها، وكذلك الابن أيضًا.

فكانَ من الضّروري التّفريق بين تحديد أدوار كلّ من الزّوج والزوجة حتّى لا يكون هناك تداخل مُخِل.

ب- إقصاءٌ واستيلاء: هو قيام أحدِ الزوجين بإزاحة شريكِ حياته عن أداء دوره وإقصائه عنه تحت أيّ دعوى، والقيام به بدلًا منه، إنّ الإقصاء سيؤدّي مع الوقت إلى تهميش دور الطّرف الآخر وإشعاره بالاستغناء عنه، ومن ثمّ انسحاب هذا الآخر تدريجيًّا من أداء أدواره تباعًا.

إنّ الإقصاء والاستيلاء أمرٌ تحترفه النّساء أكثرَ من الرجال، فكثيرًا ما ترفض المرأة طريقةَ زوجها وآراءه وأساليبه في معالجة العديد من الأمور مثل تربية وتعليم الأولاد وأداء بعض الواجبات والمهامّ المنزلية وبعض الأنشطة



الخدمية والاجتماعية، فتندفعُ إلى إقصائه عن فعْل هذه الأمور، وتقوم هي بها بدلًا منه بغرض أن تتمّ على خير وجه.

كما قد لا يستسيغُ الرجلُ أساليبَ زوجته في إدارة وتنفيذ بعض- أو كلّ- شئون البيت من ترتيب ونظام ونظافة وشراء المشتروات، وبعد سلسلةٍ مريرة من التوجيهات والتوبيخات والانتقادات التي لم تفلح، بل زادت الطّين بلة، بدأ يتصرّف بطريقته، فصار ينظّف ويرتّب ويشتري ما يراه مناسبًا لبيته بنفسه أو مفوّضًا غيره مقصيًا إيّاها عن أدوارها بالبيت.

أمثلة:

- هي ترى أنّ قدر معاونة زوجها لأبنائهما في استذكار دروسهم غير كاف، أو أنّها تتمّ على غير الوجه الذي ترتضيه لما به من قسوةٍ وغلظة أو تدليل وتهاون، فتقوم هي «بتدارك الموقف» حتّى لا «يضيع الأبناءُ» وتحلّ محلّه في معاونة الأبناء في دراستهم، وتقوم بهذا العمل بدلًا منه، فيترك لها الأمرَ تقوده بطريقتها، إنّها ـ في الحقيقة ـ هي التي أزاحته عن أداء دوره في الاستذكار مع أولاده، لأنّ طريقته ـ كما ترى هي ـ غيرُ كافية، وتتمّ على غير الوجه الذي ترتضيه، ثمّ لا تلبث بعد أن تتعبَ وتلهث أن تتّهمه بأنّه سلبيّ وانسحابي وتاركٌ لأعبائه ملقيًا مسئولية استذكار الأبناء عليها، والأمرُ على غير ذلك، إنها هي التي لم تقنعْ بأدائه، ولم ترضَ بطريقته فأزاحته واحتلّت أدواره.

- هي ترى أنّ طريقته في غسل الأواني والأطباق لا تأتي بالنّظافة المنشودة، أو أنّه يتسبب في تحطيم بعضها أثناء القيام بتنظيفها، فطلبتْ منه ألّا يغسلها مرّة أخرى، وأنّها ستقوم بهذه المهمة، فأقصته عن غسل الأواني والأطباق..

- هي ترى أنه لا يشتري من السّوق الجيدَ من اللحم والدّجاج والأسماك والخضراوات والفواكه، فتولّت هي عملية الشراء لتأتي بما هو أفضل، فأقصته عن الشراء..



وكانت النتيجة، أنْ ترك الزوج كثيرًا من مهامّه وانسلخ تدريجيًّا عن أداء وجباته الزّوجية والأبوية والمنزلية، فاستبدّ بالزّوجة شعورٌ بأنّها تقف وحدها في الميدان لتؤدّي هذه المهامّ والواجبات التي لا تنتهي، وتملكها الاعتقادُ بأنّ زوجها قد تخلى عنها وعن مساعدتها، فأجهدت إجهادًا فاقَ طاقتها، ممّا قد ينعكس سلبًا على صحتها ونفسيتها..

إنّ الحقيقة الواضحة جدًّا ولكنّها غائبة عنها تمامًا أنّها هي التي أقصته عن أداء هذه المهام.

إنّه خللٌ جسيم لأنّه حمّلها أدوارًا ومهامَّ ليست من طبيعتِها وفطرتها وفوق قدراتها وطاقاتها، وستقصر رغمًا عنها في أداء بعض من أدوارها الهامّة كأنثى نحو نفسها وزوجها، وكأمّ نحْو أطفالها، وكإنسانةٍ نحو أقاربها ومعارفها، وستوصم ـ رغم كلّ ذلك الجهد الجهيد ـ بالتقصير.

وإنّه خللٌ جسيم لن يحتمّله الرجل أيضًا، لأنّ نتائجه على الأمدِ البعيد لن ترضيه، وحصاده بعد عقود سيكون مريرًا، فقيامُ زوجته بما يجب عليه هو القيامُ به لن يرقى فيه الأداء ـ غالبًا ـ إلى المستوى المطلوب، ولن يحقّق النتائج المرجوة، كما أنّها ستقصر ـ رغمًا عنها ـ في العديد من واجباتها تجاهه كزوجة.

إنّ المرأة التي تريد أن يتمّ كلّ شيء بطريقتها هي، وتصبّ على زوجها اللوم والعتاب والتوجيه والنقد لو أنّه لم يؤدّ ما عليه بالطّريقة التي تريدها هي، فإنْ لم يذعن لها قامتْ عنه بأدواره هو بطريقتها هي، وتوجّهت إلى إدارة كلّ شيء من حولها وحاولتْ عملَ كلّ شيء لَمن حولها، فلن تتحمّل هي هذا الوضع المختلّ كثيرًا. إنّها أخطأت خطأ جسيمًا عندما عملت طبقًا للعبارة «إن لم يؤدّها على الوجه الذي أريده بالطريقة التي أريدها فلا حاجة لي في أنْ يفعل شيئًا».

إنّ عدمَ رضا الزوجة ببذل زوْجها القليلَ المبتسر المَعيب سيؤدّي ـ مع الوقت ـ إلى حرمانها من هذا البذل، قليله وكثيره، مبتسره وكامله، مَعيبه وسليمِه، فتفقدُ الزوجة بذلك عونَ زوجها ورأيَ زوجها وساعِدَ زوجها في إدارةِ بيتها وسياسة أبنائها.

إنّ مِن كَياسة الزوجة أنْ ترضى بما يبذله زوجُها لها ولأبنائها حتّى لو كان هذا البذل في نظرها قليلًا مبتسرًا معيبًا، ثمّ تشجّعه دون نقد أو لوم أو توبيخ، حتّى يستمرّ في البذل ويطوّره. إنّه مع الوقت وفي ظلٍّ التّشجيع وعدم الأقصاء سيبذل أكثر وأكثر، ويتفنّن في إتقان ما يصنع ويقدّم. وأنّه كلّما منحت المرأة زوجَها مساحةً من الحرية في فعْل ما يريد بطريقته كلّما زاد انتماؤه وعطاؤه وحسن أدائه.

كما يجب ألّا تلعب المرأة دورَ الرجل أبدًا حتّى لو قصّر هو فيه أو تكاسل أو أهمل، وإلّا سيكتب عليها أداء أدواره ما دامت حيّة، وهي صغيرة ستكون نشطة وستتحمّل، ولكنها عندما تكبر ستضعف وتعجز، وحينئذ ستقصّر رغمًا عنها في أداء واجباتها هي، وسيصبّ عليها زوجُها ـ وبلا رحمة ـ اللّومَ والتّأنيب والنقد والتّجريح لتقصيرها، ولن تدور عجلة الزمان للخلف أبدًا لتصويب الوضع، إنّ دور الرجلِ للرّجل، ودورَ المرأة للمرأة.

وبالمثل تمامًا، بالنّسبة للزّوج مع زوجته، فرضى الزّوج بما تبذله زوجته ـ ولو قلّ ـ والتشجيع المتواصل لها ولعطائها ـ ولو شابته العلل ـ ولفت نظرها لما يحبّ ويكره بمنتهى الرقّة واللّطف؛ هي أجنحةُ الوصول إلى ما يريد من ارتقاء بأداء زوجته، وبالتالي الحصول على استقرار عيش وراحة بال.

وعلى الرّجلِ عدمُ التّنازل عن أدواره كزوج وأبٍ وقوّام في بيته، فذلك صمامُ أمان لحياته الزوجية والوالدية، وعليه تنظيم حياة زوجته ومراجعة توزيع الأدوار معها بما لا يرهقها، ويشاركها ولا يتركها.

جـ- انتفاشُ الأدوار: المرأةُ بفطرتها ترقبُ وتلحظ وتختبر ما يتنازلُ عنه أو يتقاعس فيه أو يتركه أو ينساه أو يهمله زوجُها من أدوار ومهامّ لتقوم هي بها، وبذلك تتنامى أدوارها ومهامّها بالبيت ومع الأولاد على حساب تراجع أدوار ومهامّ زوجها في بيته ومع أولاده.

إنّ المرأة ـ غالبًا وليس دائمًا ـ إذا وجدتْ أمامها مساحات مفتوحةً بلا حدود فإنها تتحرّك فيها بنوع من الانطلاق، وتوغلُ شيئًا فشيئًا في الحركة، فهي ـ غالبًا وليس دائمًا ـ لا تعرف حدودًا تقف عندها بسبب أجمل وأرْوع ما فيها وهي عاطفتها الجياشة.

إنّها لن تطيق رؤيةَ أحدٍ من صغارها مريضًا، فتسارع به إلى الطبيب إنْ رأت من زوجها تأخّرًا..

إنّها لن تصبر على عدم تحصيل ولدها لدروسه وخوْضه اختبارات لم يستعدّ لها، فتمكث معه الليل قبل النهار حتى ولو لم يشاركها زوجها هذا العبء.

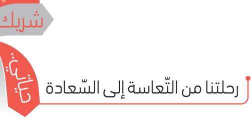
إنّها تهبّ إلى السوق لتبتاع لأسرتها ما يأكلون، وتحمل أثقال مشترياتها إلى بيتها لأنّ زوجها منشغل بأعماله.

إنّها تنهض لتوصيل ابنتها إلى النّادي لتمارس رياضتها المفضلة حتى لو نسي زوجها هذه المهمّة.

إنّها تنهي بعض الإجراءات الحكوميّة لزوجها ولها ولصغارها لأنّ زوجها انشغل عن ذلك.

إنّها تهبّ لزيارة والدتها المريضة رغم أنّها مثقلة هي الأخرى بالأمراض، حتّى ولو لم يذهب معها زوجها لإيصالها...

كلّ ذلك بسبب عاطفتها الجياشة.



إنّ التي ينتفش دورُها لا تمتلك القدرةَ على تفويض غيرها للقيام ببعض ما تقوم به من أعمال، فكثيرٌ منها يستطيع غيرها القيام به ولو بدرجة من الإتقان أقل.

فمساعدةُ الأولاد في تحصيل الدّروس يمكن تفويض مدرس خاصّ للقيام بذلك.

وشراء المشتريات يمكن أن تساعِدَ فيه زوجةُ حارس العمارة أو أحد الأبناء الكبار، أو الاستفادة بخدمة التوصيل للمنازل «ديليفري».

وإيصالُ الابنة إلى النّادي يمكن تفويض سائق سيارة أجرة أو أخيها الأكبر للقيام بذلك.

وإنهاء الإجراءات الحكومية يمكن توكيل آخرين لإتمامها.

إنّ قيامها بكلّ الأدوار خللٌ جسيم في تنظيمها لحياتها، من المُمكن أن تتحمّل هذا الخلل وهي صغيرة ذات صحّة أجود وحركةٍ أسْلس ووقتٍ أطول ونشاطٍ أوفر، ولكنّها لن تقوى على تحمّله وهي كبيرة ذاتُ علل مُقعدة وحركةٍ عسرة ووقتٍ مشحون ونشاطٍ محدود، من المُمكن تحمّله بعض الوقت ولكن يصعب للغاية تحمله طوال العمر.

فيتحوّل المشهدُ إلى زوجة مُجهدة مستهْلَكة، وهي في ذاتِ الوقت مقصّرة مضيّعة، وآلَ الأمرُ في النهاية إلى أن جنى الجميع الثمارَ الوخيمة والنتائجَ الوبيلة، فولدُه المراهق أتعب أمّه ولم يتولّاه أبوه كما يجب فصارت أخلاقُ الولد على غير ما يحبّ الوالد، وقصّرت الزوجة في الاعتناء بإعداد الطعام الشّهي الصحّي بسبب كثرة المهامّ المُلقاة على عاتقها من عمل خارج البيت ومراعاة زوج وصغار، والقيام بأدوار ليست لها ومهامّ فاقت قدراتها، فصار ابنُها نحيفًا عليلًا، وابنتها بدينة مترهّلة، إنه لم يقمْ بمتابعة أبنائه في الاسْتذكار

وترك الحمْل كلّه على زوجته، فأتتْ نتائج اختباراتِهم على غير ما يشتهي.

د- تركُ الأدْوار: قد يترك أحدُ الزّوجين تأديةَ بعضٍ مِن أدواره التي تمّ الاتفاق على قيامه بها من قبل، ممّا يتسبب في سقوط هذه الأدوارً من برامج الأسرة.

إنّ هذا الخللَ يحدُث بسبب عدم مراعاة ـ أثناء عملية توزيع الأدوار ـ ضيقَ وقتِ أحدِ الزّوجين أو كثرة انَشغاله أو عدم أهليّته أو عدم نضجه نضجًا كافيًا للقيام بالأدْوار المتّفق عليها، فمَن ضاق وقته أو كثرَ انشغاله أو غير المؤهّل أو غير النّاضج أنَّى له أن يؤدّي ما يلقى عليه من أدوار ومهام؟

ما يجبُ عمله هو أن يجري المقصّر في أو العاجز عن أداء أدواره عمليةَ تفويض لغيره الذين ليس منهم شريك حياته. فالمرأةُ العاملة التي ستعجز عن تنظيف بيتها بالطّريقة الكافية لضيق وقتِها يجب عليها الاستعانة بخادمة ـ على نفقتها الخاصّة ما أمْكن ـ لتقوم بدوْرها، وكذلك الأب الذي عليه استذكارُ مادة اللغة العربية لابنته ولكنّه قصّر في ذلك لانشغاله بأعمال أخرى عليه الاستعانة بمدرس خاصّ للغة العربية ـ على نفقته ـ ليؤدّي دوره، وهكذا.

أو..

تعاد عمليةُ توزيع الأدْوار مرّة أخرى على أنْ تراعي أوقات وإمكانيات وقدرات الزوجين، واستدراك ما حدث من خطأ في عملية التوزيع السابقة.

هـ- فرضُ الأدوار: قد يفرض أحدُ الزّوجين على شريك حياته أداءَ بعض الأدوار فرضًا، «هي كده»، وهذا أمر يحترفه الرجال..

فقد يلزم الزّوجُ زوجته بالاضطلاع بالعديدِ من الأدوار بدرجةٍ قد تفوق قدراتها وإمكانياتها وأوقاتها، بدعوى أنّ ذلك من أدوار حواء وواجباتها، فيكلّفها بخدمة الأولاد والعناية بهم وتعليمهم وتربيتهم والتردّد على مدارسهم ومتابعتهم في تحصيلهم الدّراسي واختباراتهم، ومساعدتهم في مزاولة أنشطتهم

الرياضية والاجتماعية المختلفة من ذهاب إلى النادي أو إلى الجد والجدّة وسائر الأقارب، وشراء ملابسهم وأغراضهم، بالإضافة إلى كافّة المهامّ والخدمات المنزلية التي لا تنتهي. والأدهي والأمرّ أنّه قد لا يقدّر ما تفعل، وقد يلقى عليها باللّوم حينما تعجز عن إتمام بعض من هذه المهام العديدة.

إنّ توزيعًا للأدوار يتمّ بهذا الشّكل الدكتاتوري الجبري القسري القهري لا يرجى من ورائه نفعٌ، فالأدوار المفروضة فرضًا هي نوعٌ من السّيطرة والقهر، كما لا تصفو طويلًا حياةٌ تحت نيْر الإجبار الذي هو أسوأ اختيار.

إنّ جَمال عملية توزيع الأدْوار في أنها تتمّ تحت ظلّ من الاتفاق والتراضي والتّفاهم والمراعاة لقدرات وإمكانيات وعافية الآخر.

إنّ كلمات «لا»، «لا أستطيع»، «لن أقدر»، كانت ـ في كثيرٍ من الأحيان ـ من أروع الكلمات التي يقولها الإنسان حينما ما يطلب منه ما يتعدّى قدراته وإمكانياته، وما يخرج عن إطار مبادئه وأخلاقه وقيمِ دينه، وإلّا فإنّ مشاعر الاستياء والغضب ـ أو على الأقلّ الإرهاق والتعب ـ ستسمّم حياته، فينبغي على مَن يفرض عليه من قِبَل شريك حياته دورٌ أو عمل لا يجيده أو لا يرغبه أو لا يجدُ له وقتًا ليؤديه ولا جهدًا لتنفيذه ولا طاقة لأدائه؛ أنْ يقول له «لا»، «لا أستطيع»، «لنْ أقدر»، بأسلوب لائق كريم، وفي الوقت المناسب السليم، فالأمرُ ليس في منْع قول كلمات «لا»، «لا أًستطيع»، «لن أقدر» لشريك الحياة، ولكن الأمر في كيفية قوْلها وطريقة قوْلها ونغمة قوْلها وتوقيت قوْلها، فقولُ الزوجة «لا»، «لا أستطيع»، «لن أقدر» بكيفية وطريقة ونغمة الأنثى، وفي التوقيت المناسب لزوجها سيكون لها وقعٌ مقبول على نفسه.

وكذلك قول الزوج: «لا»، «لا أستطيع»، «لن أقدر» لزوجته يجب أن تتّسم بمراعاة مشاعرها وتتشبّع باحترام أنوثتها وما بها من رقّة ولطف.

و ـ سقوطُ الأدوار: قد تسقط بعضُ الأدوار نتيجةً للسّهو والنسيان أو الإهمال أو عدم الوعي بأهمية هذه الأدوار أو أنها ليستْ من الأولويات. إنّ النظرة الشّاملة للحياة الزوجية ومتابعة تنفيذ الأدوار والمهامّ التي تمّ توزيعها تقلص كثيرًا من فرص سقوط بعض الأدوار وضياعها.

و- احتقارُ الأدْوار: في أحيانَ كثيرة يقلّل أحد الزوجين الجهود الذي يبذلها الطّرف الآخر، ويحتقر أدواره ويستخفّ بمهامّه، وفي هذا ظلم كبير، فالمرأةُ لا تمكث في البيت مسترخيةً لاهية حتى يقول لها زوجها: «هو انتِ بتعملي إيه يعني؟، ما انتِ قاعدة طول النّهار بالبيت»، إنه يظنّ أنّها تجلس بالبيت كما يفعل هو أمام الفضائيات مشاهدًا أو في غرفة النوم على السّرير مستلقيًا أو على الأريكة للجريدة قارئًا أو بمحموله عابثًا.

والرّجل الذي يعودُ من عمله متعبًا يبحثُ عن لقمةٍ تغذّيه ونومة تعيدُ له قواه، فتقابله زوجته بوابلٍ من الأوامر والتّكاليف: «شيل الولد شوية، أنا تعبتْ منّه طول النهار، ما انت مش قاعد في البيت ومش شايف قدّ إيه بيتعبني»، كأنه كان يتنزّه خارج البيت ويتريّض أو يتسوّق كما تفعل هي حينما تخرج من بيتها.

لا بدّ مِن أن يجلّ كلّ من الزّوجين دورَ الآخر لأنّ دوره بالفعل جليل.

٤- سوءُ تقديرِ المشكلة الزوجيّة وتشخيصها

دقّة تشخيص المشكلة هي الخطوةُ الأولى نحو تصْويب الأوضاع، ورغم أنّ الكثير من الناس يعانون في حياتهم الزوجية من الخلافاتِ والمشاكل معاناةً أليمة، ولكنْ إذا ما سئل أحدُهم عن ماهية مشكلته، وجدَ أنه قد:

١- لا يعرف لها سببًا واضحًا، ويبدو هذا في كلماته وكلماتها، «أنا مش عارف هي زعلانة من إيه»، «هو دايماً بيزعّق، على إيه؟ مش عارفه».

٢- يستهين بالمشكلة، فهي من وجهةِ نظره «تافهة»، فيقول أو يفعل أمرًا يراه بسيطًا، ولكنه عند الطرف الآخر أمر عظيم، أحدهما يستهينُ بما يقول أو يفعل، والآخر يستعظم ما يقال له وما يفعل به.

هي: «كلّ الهيصه دي علشان معملتلوش الأكل اللي هو طلبه».

هو: «رومانسية إيه اللّي انتِ عايزاها دي، هو أنا رايق وفاضي زيك».

في هذه الحالات أحدثَ أحدُ الزوجين مشكلة، ولكنّه قزّم تبعاتها وهوّن من أثرها، ولم يقدّر فداحةَ تركها بلا علاج. ونتيجة ذلك معروفة، ضيق وضجر، حنق وغضب، ثورة وانفجار.

- من الخطأ اعتقاد أنّ الحياة الزوجية تمرّ فقط بفترة جفاف «عادية»، رغم أنّ العلاقة الجنسية بين الزوجين سيئة أو متوقّفة منذ وقت طويل.

- من الخطأ اعتقادُ أنّ الحياة الزوجية يعمّها الرّضا، والزّوج يستهين بطلبات زوجته المتكرّرة والملحّة ليمكث معها يحادثها وتحادثه بعضَ الوقت، ويتعجّب من أنّها تشعر بالوحدة رغم أنه سيظلّ معها بالبيت مساء يوم الجمعة مرّتين بالشهر!!.

- من الخطأ اعتقادُ الزوجةِ أنّ كلّ شيء سيكون على ما يُرام لمجرّد أنها متزوجة، وأنّها مازالت في عصمة زوجها ورفقته، وما دام الحبّ مازال موجودًا بينهما.

- من الخطأ اعتقادُ أنّ الحياة الزوجية مستقرّة تمامًا، بينما الزوجان يتّسمان بالعصبية، وفي حالة دائمة الهياج دائبة الصّراخ.

٣- يشخّصها خطأ، فقد تُحصر المشكلة في سببٍ واحد أو سببٍ واهٍ أو

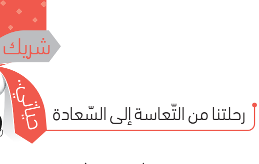
سبب غيرِ صحيح أو سبب ناتج من مجرّد ردّة فعل؛ فيختفي السببُ الرئيسي وراء رُكامَاتٍ من أسبابٍ فرعيّة صغيرة قد لا تمتّ لأصل المشكلة بصلة.

إنّ نشوب خلافاتٍ كثيرة طوالَ الوقت، وعلى أتفه الأمور، وانصباغ الحواراتِ بالسلبية، وانهمار الإساءات المهينة، وضياع الاحترام والتقدير؛ قدْ يكون سببُه الخفيّ سوء أداء المعاشرة الجنسية، وأنّها غير مشبعة ولا مريحة بالنسبة للزوجة.

هي: «والدي كان متساهلًا في الاتّفاق مع زوجي على قيمة المهر وثمن الشّبكة وكتابة قائمة المنقولات والعفش، لقد باعني رخيصة، وعلشان كده زوجي بيستهين بي ويهينني»، ليست المشكلة في تساهل أبيها في الاتّفاقات المادية مع زوجها، إنّما المشكلة في وجود خلافاتٍ كثيرة بين الزوجين تسبّبت في جلب الإهانة لها، ولوْلا وجود هذه الخلافات ما أُثير موضوع التّساهل المادي، إنّ التّساهل في الاتفاقيات المادية التي تسبق الزّواج هو الأصل، وفيه البركة، وليست هي أبدًا سببَ الرّخص والإهانة للمرأة.

هي: «تدخّلات حماتي في حياتي الزّوجية سبب مشاكلي مع زوجي»، قد تكون المشكلة الأساسية في غياب التفاهم المتبادل بينها وبين زوجها واندلاع الخلافات بينهما، ممّا ألجأه إلى أمّه ليستشيرها فتدخّلت بقول أو فعل، فليس الأصل في تدخّلات حماتها، ولكنّ الأصل في وجود خلافات استدعت استشارة زوجها لأمّه.

٤- لا يدركُ أنّ هناك مشكلة في الأصل، ففي بعض الأحيان قد يتألّم أحد الزوجين من الطرف الآخر ألمًا يمزقه، بينما هذا الآخر يغدو ويروح وكأنْ ليس في حياته الزّوجية مشكلة ذات بال. في بعض الأحيان قد يصنّف أحد الزوجين علاقته الزّوجية بأنها مرتفعةُ الجودة بينما يصنّفها الآخر بأنّها منخفضة الجودة، أحدُ الزّوجين يتألم، والآخر لا يحسّ بألمه، أحد الزّوجين



تأكله المشكلة، والآخر لا يشعر بأنّ هناك مشكلة، ويمسي طرفا العلاقة الزوجية أحدهما سعيد والآخر تعيس.

إنّ مشكلة أحدِ الزوجين يجبُ أن تكون مشكلة الآخر أيضًا، فمشكلة أحدهما هي مشكلة لكليهما، فكيف يعاني أحدهما من مشكلةٍ ما ويتألم، بينما الآخر ساكنًا لا يتحرّك أو مرتاحًا لا يعبأ ولا يهتم؟

٥- يجعلها أزمة، فقد تكونُ بين الزوجين مشكلة ـ في حقيقتها ـ صغيرة، ولكنّها اكتسبت قوّتها وضخامتها في استمرارها وتكرارها وبقائها وديمومتها، فتصيرُ المشكلة أزمةً لازمة مزمنةً تنغّص الحياة، تدور دومًا حولها الحوارات السلبية والمناقشات السيئة، وتتقاتل دأبًا خلالها وجهاتُ النّظر المتباينة، ممّا يؤدّي ـ مع الوقت ـ إلى اختلاف القلوب وسوء العشرة.

إنّ الخلافاتِ المزمنة ذاتُ مباعثَ عديدة، منها ضيق الأفق، وعدم المرونة، والعناد، والإصرار، والتشبّث بالرأي، ورداءة التّعامل المزمنة مع شريك الحياة أو أهل شريك الحياة، وعدم الرّضا العام عن الحياة المهنية أو الأسرية، والاعتقاد بأنّ الإنسان على صواب في كلّ حين وكلّ موقف.، إلخ.

ويكاد ينحصر التعاملُ الصائب مع أغلب المشاكل المزمنة التي لا حلّ لها في تقوية القدرة على تحمّلها أو تجاهلها أو تخطّيها وتجاوزها، والمضيّ في الحياة وكأنّها لا وجود لها..

هي: أمّك خنقاني، أمّك بتضايقني، أمّك ما بتحبّنيش، أمّك..، أمّك..، أمّك....

هو: ما تزعّقيش، ما تعلّيش صوتك، ما تصرخيش..

هي لا بدّ وأن تتجاهلَ ما تفعله أمّه بها أو تتحمّلها، وهو يتجاهل صراخَ زوجته ويتخطّى المواقف ويهدئ الأجواء.

وهناك قلةٌ قليلة من المشاكل المزمنة قد تتسبّب في توقّف الحياة الزوجية عند أحد الزوجين أو كلاهما، كسوء المعاشرة الجنسية الذي لا إعفاف يُرجى من ورائها، أو جثوم الضّوائق المالية القاهرة العاصرة المستمرّة على صدر الأسرة، فمن حقّ المتضرّر الذي لا يقوى على التحمّل أو التجاهل أن يفارق ويترك أو يطالب بالفراق والطلاق.

إنّ الذي يشخّص المشكلة خطأ سيتخيّر مِن أساليب التعامل معها ما يضرّ بحياته الزوجية ويزيد من اتساع الخلافات الزّوجية وعمقها. ومن هنا كان التّشخيصُ الصّائب للمشكلة هو أوّلَ درجةٍ يجب ارتقاؤها في سلّم الحل.

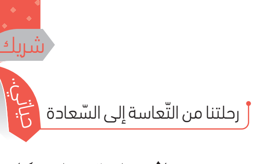
٥- غيابُ المفهوم الصّحيح للقَوامة

اقتضتْ حكمةُ الله تعالى ورحمتُه أن يكون لسفينةِ الأسرة ربّانٌ واحد، قوّام عليها، يمسك بدفتها لتتهادى على صفحة الحياة المائجة الهائجة بثقةٍ واقتدار، ربّان يرعى ركّابها ويحميهم وينفق عليهم ويتّخذ القرارات ويتحمّل التبعات.

أعدّ الله– عزّ وجلّ– الرّجلَ للاضطلاع بمسئولية هذه القوامة، كما هيّأ الله تعالى المرأة لتتقبّل قوامة الرجل عليها راضية محبورة.

إنّها قوامةٌ لا تعني الاستعلاءَ والإلغاء، قوامة لا تعني التجبّر والتسلط، بل هي قوامة مسئولةٌ ملتزمة، إذا ما انتفت قدرة الرّجل عليها، كأن يكون سفيهًا أو ضعيفًا ينتفي منه القيام بها.

إنّ قوامة الرّجلِ ليس تقليلًا من شأن المرأة، ولكنْ مراعاة لنفسيتها وتقديرًا لطبيعتها من ناحية، ولاتساقها تمامًا مع طبيعة الرجل ونفسيته أيضًا من ناحية أخرى. لقد جعل الله تعالى بحكمته التّركيبةَ النفسية



والعضوية المختلفة للجنسين تتواءم تمامًا مع مَن يقوم بالقوامة راضيًا مرحّبًا شاعرًا بأنّها واجب عليه، ومَن يرضى ويرحّب وينعم بأنْ تقام عليه القوامة، كما يتبيّن فيما يلي:

أوّلاً: التركيبةُ النفسية للجنسين:

غرزَ الله تعالى في الرّجل بعضَ المواصفات النفسية التي تؤهّله للقيام بالقوامة على خير وجه مثل:

» الميل إلى الشعور بالسيطرة.

» القدرة على اتخاذ القرارات وتحمل تبعاتها.

» القدرة على التكسب والإنفاق المادي.

» استخدام للمنطق أكثر من العاطفة.

» امتلاك الجرأة والجسارة.

» القدرة الكبيرة على تحمل المشاق والتصدي للمشاكل والعمل على حلّها.

كما أمدّ الله تعالى المرأة بما يؤهّلها بالترحيب بقوامة الرجل عليها مثل:

» رغبتها التي يصعب عليها التّنازل عنها في الزواج بمَن له شخصية قوية تقف هي في ظلّها وحماها مساندًا داعمًا حاميًا محتويًا مهْما كان وضعها الاجتماعي والمهني والمادي مرتفعًا.

» ضعفها في رقّة، ورقّتها في ضعف، وهذا أجمل ما فيها وأروع.

» طبيعتها المزاجية المتقلبة.

» عاطفتها الفياضة الجياشة.

» ميلها الفطري لتتبعَ زوجها الذي أحبّته وأحبّها مستمتعة بدفء هذا الحبّ وروْعته، وبهذه التبعية ونعومتها.

« احتياجها لَمن يساعدها في اتّخاذ القرارات الخاصّة بها، وهي لا تطيق ـ في الغالب ـ تحمّل نتائج وتبعات هذه القرارات التي تأخذها بمفردها.

هو مُعَدّ لتولّي مسئوليات القوامة بكفاءة،
وهي مهيّأة لتتقبّل قوامته عليها برضا وترحيب.

ومن أهمّ هذه الاختلافات النفسيّة التي تدعم القوامة للرجل ما يلي:

١- اتخاذ القرارات:

تستلزم قيادةُ البيت اتخاذَ القراراتِ في بعض الأمور التي يلزمها قدْرٌ كبير من الكِياسة وضبط العاطفة والحزم، وعدم التّردد، والتّخطيط، والنظرة العقلانية، وكلّها طبائع نفسيّة متوافرة في أغلب الرجال من دون أغلب النساء.

إنّ الرجل قادرٌ على اتّخاذ القرارات، وقادر على تحمّل تبعات ونتائج ما يتّخذه من قرارات. وهذا لا يمنع مطلقًا في أن تشاركَ المرأة زوجها برأيها دون أنْ تضغط عليه أو تلحّ في اتّخاذ قرار معين، إنّه الذي يقرّر، وإنّه الذي يقوى على أن يتحمّل نتائج هذه القرارات.

قد تكون قـراراتُ الرجل بها أخطاء تضرّ بصالح زوجته وأولاده وأسرته، ولكنْ طالما خرج القرار من الرجل فسيتحمّل النّتائج متألّمًا، بينما تظلّ علاقته مع زوجته سليمة لا تضار، بل وقد تصير أمتنَ وأقوى بسبب إحساس الرجل أنه جلب عليها بقراراته الخاطئة بعضَ المتاعب. والأهمّ في الحياة الأسرية ليس صحّة القرارات بقدر ما هي سلامة العلاقة بين الزوجين.

بينما صناعة القرار عند المرأة بها عسرةٌ وصعوبة لأنّ عاطفة المرأة الجيّاشة الرّائعة تؤثّر ـ غالبًا ـ تأثيرًا جليًّا في الحسْم والحزْم اللّازمين حين اتّخاذ القرار، إنّ القرارات في حاجةٍ إلى منطق الرجال أكثر من حاجتها إلى عواطف النساء لتكون قرارات أكثر استقرارًا.

فالعاطفةُ عند المرأة هي التي تقودها، ومِن طبيعة العاطفة أنّها في صعود وهبوط، هادرة تارة وهادئة تارة وخامدة تارة أخرى، وهي حين صعودها يكون لها رأي، وحين هبوطها يتبدّل هذا الرأي ربّما لنقيضه، وقديمًا قال المتنبي:

إذا غدرت حسناء وفّت بعهدها   فمِن عهدها ألّا يكون لها عهد

وإنْ عشقت كانت أشدّ صبابة   وإنْ فركت فاذهب، فما فركُها قصد

فركت بمعنى بغضت، فركُها بمعنى بُغضها.

المرأةُ في حاجةٍ ماسّة لَمن يعينها على اتّخاذ قراراتها التي تمسّها بصفةٍ شخصية، كما أنّها لا تمتلك المقدرة على تحمّل تبعات ونتائج قراراتها، فهي تسألُ زوجها دومًا: «ماذا تحبّ أن تأكل على الغذاء اليوم؟»، فهذا قرارٌ وفي صميم عملها، ولكنّها لا تستطيع أخذَه وحدها، وهي عندما تريد أن تشتري لنفسها ملابسَ جديدة تأخذ معها أثناءَ الشّراء من صديقاتها مَن تستشيرها وتسمعُ رأيها، وهي عندما كانت فتاة يتقدّم إليها العرسان كانت تهتمّ بأخذ رأي أهلها فيمَن يتقدّم إليها، وتريد منهم مساعدتها في اتّخاذ القرار المناسب لمستقبلها الزّواجي والأسري لا أن تترك وحدَها لتقرّر.

إنّ المرأة التي تتّخذ قرارات بمنأى عن زوجها أو على غير إرادته ورغبته أو حتى التي أخذت موافقته وهو كارهٌ بعدما مارستْ عليه ضغطًا ما؛ ستكبّد نفسها مشاقّ لا قِبَل لها بتحمّلها لأنّ زوجها سيتركها ـ في الغالب

ـ تتجرّع آلام تنفيذ هذا القرار وحدها دون أن يمدّ لها يدَ العون، ثمّ ينتظر ويرقب حتّى إذا وجد سلبيّة ولو طفيفة في تنفيذ هذا القرار أو بدت نتيجة غير مرجوّة من ورائه انقلبَ عليها بلا رحمة تعنيفًا وتقريعًا ولومًا وقدحًا وتأنيبًا، حتّى يستبدّ بها الندم على اللحظة النكدة التي قرّرت أو فعلت أمرًا على غير ما يريد زوجها.

إذا قرّرتْ دونَ رغبته قرارًا فستتحمّل وحدَها مشقّةَ تنفيذ هذا القرار، وتتجرّع وحدها تبعاته.

٢- الإنفاق:

تضمّ الحياة الزوجية الزّوج وهو ـ كرجل ـ الطّرف العطاء ماديًّا، وبين الزوجة وهي ـ كأنثى ـ الطّرف الأخّاذ ماديًّا. فقد جُبِلَ الرّجل على حبّ العطاء من ماله لأنّ ذلك يشعره بذاته وبقيمته، بكيانه وأهميته، وبالمقابل فهو يرى في الاقتراض تصغيرًا لشأنه وتحقيرًا لنفسه وتجريحًا لكرامته وانتقاصًا من رجولته.

أمّا المرأة فلا تجد أيّ غضاضة ـ بل ترى أنّه واجب ـ في أنْ ينفق عليها الرّجل طوالَ حياتها، سواءً أكان هذا الرجل أباها أو زوجها أو أخاها أو حتّى ابنها. وبالمقابل، فإنّ المرأة لا ترحّب ـ في الغالب ـ ببذْل زوجها ماله وممتلكاته لغير بيته وأولاده. وما المحاولات التي قد تقوم بها المرأة ـ في بعض الأحيان ـ لإبعاد زوجها عن أمّه وأبيه وأخته وأخيه وبقية أقربائه وحميم أصدقائه إلّا لأنّها تشعر أنّ هؤلاء يأخذون من وقتِه وماله، وهي الأحقّ منهم بذلك الوقت وذاك المال.

لهذا ينبغي على المرأة ألّا تحزن لطبيعة زوجها ـ كرجل ـ في العطاء المادي، والتي تحمله لبذل أمواله صدقات لذوي الحاجات لأنّها هي هي نفس الطبيعة التي تدفعه للإنفاق عليها وعلى أطفالها وبيتها. وأيضًا، ينبغي على الرجل الأريب ألّا يمنعه تقتير زوجته في العطاء الماديّ عن مساعدة الآخرين، وخاصّة مَن لهم به صلةُ رحم وقربى، حتّى لو اضطر أن يفعل ذلك دون علمها، لا احتقارًا لها أو استهانة بها، ولكنِ احترامًا لطبيعتها وحرصًا على مشاعرها.

كما ينبغي للمرأة أنْ تدرك أنّ الرجل ـ بفطرته ـ قد يشعر بالنّقص حينما يأخذ من زوجته ـ أو أيّ أحد ـ مالًا، إنّ الحكمة مِن وراء ذلك أنْ يندفع الرّجل للعمل، وألّا يستسهل أخذَ المال من أحد حتّى لو كانت زوجته الحبيبة، ولكنه قد يلجأ لفعل ذلك مضطرًّا، فأيّ شرخ هذا الذي تحدثه الزّوجة في نفسية زوجها إذا امتنّت عليه يومًا بوقوفها معه بمالها حينما اعترته ضائقة مالية؟

إنّ فترة حزنِ الزّوجة إنْ ضنّ عليها زوجها بشراء فستان طلبتْه منه قد لا تتعدّى بضع دقائق أو ساعة من زمن، ولكن حزنُ الزوج لرفْض زوجته ـ التي تنفق عليه تحت نيْر ظروف طارئة ـ شراءَ شيء طلبَه منها قد يمتدّ شهورًا وسنوات قد تصلُ إلى العمر كلّه. ولذلك كانت الأسرة التي تتولّى فيها المرأة دونَ الرجل أمرَ الإنفاق المادي على شفا جرفٍ هار.

ومِن هنا ندرك روْعة التّشريع الإسلامي في أنْ جعل للمرأة ذمّةً مالية منفصلة عن زوجها، ولها أنْ تتصرّف في مالها كما يحلو لها في نطاق الحلال والحرام، ولكن، يُحمد للمرأة إنْ كان عندها فضلُ مال من إرثٍ أو عمل مهني معاونة زوجها في حال ضعف موارده أو كثرة متطلّبات أسرته حتّى

تحقّق للأسرة السّعة وبحبوحة العيش. ويزداد ندب المرأة للإنفاق في حالةِ عجز الزّوج عن التكسّب، وهي بذلك تحقّق فضيلتين: فضيلة صلة القربى إلى جانب فضيلة البذل في سبيل الله.

إنّ مساعدة الزّوجة العاملة لزوجها بكاملِ طاقتها المادية ولا شكّ موقفٌ نبيل، ولكنّ هذه المساعدة ـ في بعض الأَحيان ـ سوف تتّخذ شكلًا واجبًا مفروضًا على الزّوجة ينبغي عليها القيام به حتى لو تحسّنت الأحوال الاقتصادية للزوج، وأي تراجع عن مساعدتها له بالمستقبل قد يولّد مشاكلَ بين الزوجين، لقد تمّت برمجة الزوج على نيْل هذه المساعدة، وإنّ أيّ اضطراب في هذه البرمجة سيزعجُه، ممّا سينعكس أثرُه السّلبي على علاقته بها.

كلّ ما سبق يتطابق مع فطرةِ الرّجل وفطرة المرأة،

ولكن،

الوضعُ الاقتصادي الجديد للمرأة المعاصرة بدل من هذه النّظرة الفطرية السوية، بدل من منظور الرجل لواجباته والتزاماته المادية تجاه زوجته، بعدما صارت المرأة حريصة على التسلّح بالقوة الاقتصادية على حساب استقرارها النفسي كأنثى، وألزمت نفسها بالقيام بأدوار لا تتّسق مع طبيعتها وفطرتها، وملأتها الرغبة في الشعور بالاستقلال، ولم تعدْ تتحمّل تعاملَ زوجها معها من منطلق أنّه هو مَن يحكم الأسرة، وأضحى سعيُها لمشاركته السّلطة أولى وأبقى عندها من سعيها لمشاركته الحياة، وكأنّ الحياة الزوجية أساسها نزاع على السلطات.

واسترسالًا من هذه النّغمة «العصرية» صار الشابّ يبحث عن زوجة تمتهنُ عملًا يدرّ دخلًا لتسهم معه في نفقات البيت، وأصبح هناك أزواجٌ ينتظرون من زوجاتِهم مشاركتهم أعباءَ الحياة المادية، ويغضبون ويستاءون

إن لم تتحمّل زوجاتهم جزءًا من نفقات البيت، لقد أضرّ هذا الفكْر بقوامة الرجل ضررًا بليغًا، فعندما يكون وضع المرأة الاقتصادي والمالي أفضل من وضع زوْجها نجدُ المرأة ـ في العديد من الحالات ـ قد انتفشت وتحوّلت إلى طاغية أسوأ من أيّ رجل مستبدّ من طغاة العصور البائدة أو المعاصرة.

فعلى مرّ التّاريخ كان أهمّ سببٍ وراء استمرارية الزواج وعدم تفكّكه هو تبعية المرأة الاقتصادية للرجل. وكنتيجةٍ للنفوذ الاقتصادي الذي أصبحت المرأة المعاصرة تتمتّع به الآن صارَ استعدادها للطّلاق أكبر. فالمرأة العاملة التي تستطيع كسب قوتِها صارت أقلّ صبرًا على الاستمرار في زواج تناوشته المشاكل والمشاقّ والآلام، فهي لم تعدْ خائفة من الفقر والحاجة، ولأنّها على يقين بأنّه عندما يفشل الإصلاح بينها وبين زوجها، ويقع الطلاقُ سيظلّ بإمكانها إعالةً نفسها وأطفالها، وهذا وضع لا بأسَ به مطلقًا، بل قد يكون مطلوبًا، ولكن.. ظلّ الوضعُ المادي للمرأة يرتقي ويتطوّر ويزداد علوًّا مع تعاقب الأعوام، وعلى التّوازي غزت سيولُ الثقافات المريبة والقناعات الفاسدة والفلسفات المدمّرة للحياة الزوجية العقول لتعشش فيها وتعمل كمعاولَ هادمةٍ في ثوب حضارة بانية، حتّى تدنّى الوضع الزواجي وخفتتْ قدسيّة الزواج، فأصبح ليس هناك داعٍ لمحاولات الإصلاح المتعدّدة بين الزوجين، وصار الطّلاق هو الحلّ الأكثر شيوعًا والأسهل طريقًا والأسرع وقوعًا.

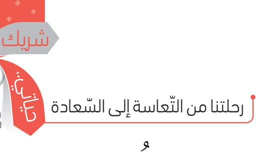
إنّ استغناءَ المرأة الجزئي ـ أو الكلّي ـ عن زوجها ماديًّا قد أثّر تأثيرًا سلبيًّا واضحًا على تركيب الأسرة وبنيانها، تردت على أثره قوامةُ الرّجل قليلًا أو كثيرًا، وتزعزعت العديدُ من الثوابت التي حافظتْ على الكيان الأسري قديمًا وصانته من التفكّك والتفسّخ، ممّا هدّد استقرار – وربما استمرار – العديد من الأسر المعاصرة، والشواهدُ من حولنا كثيرة.

ولكنّ الحقيقة التي لا يمكن إغفالُها أنّ عمل المرأة واستغناءها الجزئي ـ أو الكلّي ـ في الإنفاق عليها من قبل زوجها لا يعني أنّ المرأة قد استغنت عن الزّوج نهائيًّا، ذلك لأنّ احتياجاتها العاطفية المستمرّة التي لا تنقطع لا تستطيع أن تنالها إلّا منه، وأنّ أمومتها التي طالما حلمتْ بها منذ صغرها لن تحصل عليها إلّا معه وبه.

٣- القدرةُ على تنظيم نفسِه وتنظيم زوجته وأولاده:

أعطى الله تعالى الرجلَ القدرةَ على تنظيم وتأطير حياةِ زوجته، حتّى لا تندفع بسبب أجمل ما فيها- وهي عاطفتها الجياشة الرّائعة- إلى تكليف نفسِها بأعمالٍ وواجبات فوقَ طاقتها أو ليست من مهامّها ممّا قد يؤدّي إلى إخلالها بواجباتها الأساسية.

فعواطفُها الرّائعة كأمّ تحضّها على أن تفعل كلّ شيء لأطفالها بمستوى قد يفوقُ قدراتها وقدرات زوجها المادية والنفسية، فهي تريد أنْ تلحقهم بمدرسةٍ راقية ليتعلّموا أفضل تعليم، وتشركهم بلعبة في نادٍ محترم لتشغل أوقاتهم بما يفيد صحّتهم وأجسادهم، وتجلب لهم أفضل مدرّسين ليساعدوهم في الاستذكار حتّى يحصدوا أعلى الدرجات، وتذهب بهم في زياراتٍ لأقربائهم لتصل بها رحِمَهم، وتشتري لهم أفضل الملابس واللّعب لتدخل السعادة إلى قلوبهم، وتجلب لهم أفخر أنواع الأطعمة لتغذّي بها أجسادهم، وتعهد إلى معلّم قرآن يتولّى تحفيظهم كتاب الله أملًا في أنْ يكونوا من حاملي القرآن الكريم، وتطاردهم الليل والنهار ليستثمروا أوقاتهم بما ينفعهم، و...، و...، كما أنّها تندفع لرعاية والديها المسنّين المرضى رغم أنها مريضة أو مثقلة بمهامّ كثيرة، ولذلك فهي تجرّ على نفسها وزوجها وأولادها



سيولًا من التكاليف المجهدة التي غالبًا ما ينوء بها كاهلها وكاهلُ مَن حولها، كلّ ذلك ـ كما سبق الذّكر ـ بسبب عاطفتها الجياشة الرائعة.

هنا لزم تلجيمُ هذه العاطفة بشيء من المنطق والعقلانية وضبطها تبعًا للإمكانيات المادية والنفسية لها ولزوجها، فيبرز هنا دورُ الزوج كرجلٍ في تنظيم وتأطير حياةِ زوجته كأنثى، والتي يجب عليها حينئذٍ طاعة زوجها لتستريح وتريح. فإن لم تطعِ الزّوجة زوجها فستنتفش في كافّة الأعمال والاتجاهات والأنشطة ممّا يرهِقها إرهاقًا جسيمًا، تتعالى وتيرته كلّما ازداد عمرُها وضعفت قوتها ووهنتْ عظامها.

أمّا الرجل فقد وهبه الله تعالى القدرةَ على تنظيم وتأطير حياته هو، وكذا القدرة على تنظيم وتأطير حياة أولاده، وهذا هو أحدُ أهمّ أسباب تقرير قوامته ووجوب طاعته، والتي لا يعرفها الكثير من الناس.

يدفعه غلبةُ المنطق على تفكيره واستحواذ البعد الاستراتيجي على نظرته إلى النوم ليلًا ليأخذ منه قسطًا يعينه على استعادةِ نشاطه من أجل عملِ غدٍ لكوْنه منظمًا لنفسه، ولذا يثيره ويضايقه إيقاظ ابنه الرّضيع له ببكائه طالبًا رضعته، وهو قد يمنع زوجته من القيام ببعض الأنشطة حتّى لا تجهد نفسها بما هو فوق طاقتها ولتجد وقتًا لما هو أهمّ لكوْنه منظمًا لها، ويميل إلى دفْع ولده للاعتماد على نفسه مدرّبًا له على متاعب الحياة لكوْنه منظمًا له.

٤- النّزوعُ إلى السيطرة والسلطة:

ينزع الرجلُ- بطبيعته الذكورية- إلى أن يكون مسيطرًا وذا سلطة، هكذا طبيعته، فقد هُيئ في مهنته ليكون عنصرًا في تركيب هرمي، كلّ مكوناته تحاول الوصولَ إلى قمّته، فهو يكدّ ويتعب وينافس ويطاحن من

أجل أن يرتقي في عمله لينتزع التفوّق فيه لتزداد قدرته على السّيطرة بالرأي والأمر والقول والفعل على غيرِه من الناس، من أجل أن يصير رئيسًا يتبعه مرؤوسون، لأجلِ ذلك فهو ينافِسُ ويغالب حتّى يحتلّ قمّة الهرم الوظيفي والاجتماعي، فإنْ نازعه أحدٌ على السيطرة والسلطة رأى منه بأسًا وغلظة، حتّى لو كانت زوجته، أو.. خاصّة لو كانت زوجته.

ولكنّ أسلوبَ السّيطرة التي يجب أن يتبعه الرّجلُ خارج البيت يختلف تمامًا عن أسلوب السّيطرة داخل البيت، فالسيطرة على النّاس خارج البيت تأتي بنوعٍ من الحزم والشّدة عبر المنافسات والمغالبات وفرض رأي، واتخاذ قراراتٍ وإلقاء أوامر ونواهٍ، أمّا السيطرة على الزوجة والأولاد داخلَ البيت تكون عبر النّصف الناعم من الرّجولة الذي يشمل الرقّة والرأفة والرّحمة والمودّة والحنان والرّعاية والاهتمام والاحترام والمشاركة والتقارب والتّفاهم والألفة، وثمّ.. الحسم والحزم.

والرّجلُ بطبيعته يفضّل المرأة التى يمكنه ضبطها والسّيطرة عليها، ممّا يجعل المرأة التي تبدو ضعيفة بالنسبة إلى زوجها مرغوبةً أكثر. ولذا كانت النّساء ذوات النّفوذ والسلطة ـ في كثير من الأحيان ـ حظهنّ أضعف فى سوق الزواج، وفي استقراره، من قريناتهنّ الأقلّ نفوذًا وسلطة.

ولذا قد يتزايد الشّقاق بين الزوجين عند وجود تميّز للزوجة في أحد الجوانب سواء الاجتماعي أو المهني أو الثقافي، أو حينما تتعالى عليه بنسبِها أو بجَمالها أو بمالها أو بعلمها، خاصّة إذا شعر أنّها قد اعتلته بهذا التميز، فسيحاول حينئذ جاهدًا- وبكافّة الطّرق الدنيئة- التقليلَ من شأنها وإهانتها واتّباع سياسة «تكسير العظام»، ليبدو أنّه الأفضل وأنّها دونه، أو قد يحاول الفرارَ من بيته محاولًا الإبقاءَ على ما بقي من «رجولته» باتّخاذ قرار الفرار،

وكأنّه مازال مسيطرًا على قراراته، ونفسه تراودُه بسؤال «ما الذي يدفعني إلى مواصلة حياتي مع إنسانة تشعرني دومًا أنّها أفضل منّي، وأنّها تفهم عني؟».

إنّ السيطرة هي شغفُ الرجل وأمنيته، فإنْ نازعته زوجته عليها بدا منه أسوأ ما فيه.

إنّ منازعة الزّوجة زوجها على السّيطرة تتمّ في صورةِ فرض أمر أو عدم طاعة أو تجاهل أو تحقير أو عدم الشعور بأنّه كبيرها ووليّ أمرها، أو بالاشتباك الكلاميّ أو اليدوي، أو بأيّ وسيلة إرضاخ أخرى. وقد تفعل الزّوجة كلّ هذه الأمور بغرض التّنفيس عن الغضب أو سوء فهْم وإدراك، أو دفاعًا عن النفس أو كردّة فعل لضغوط، وقد لا يكون في بالها قضية فرضِ سيطرة، ولكنّ الرّسالة التي تصل إلى زوجها أنّها تنازعه في السيطرة.

ولذلك لا بدّ للمرأة المتميّزة عن زوجها في أيّ مجال من المجالات من التصرّف بحكمة، وذلك بأن تبين له دائمًا فضله فيما وصلت إليه، وأنّها لوْلاه ما تميّزت، وألّا تتباهى أمامه بإنجازاتها، وتتجنّب كلّ ما يشعره بأنها أفضل منه، وأن تظهر ضعفها وحاجتها الماسّة إليه وإلى رأيه، وهي كلّها أمور يسهل عليها أداؤها ـ إن كانت سويّة ـ لأنها تتواءم تمامًا مع طبيعتها الأنثوية.

إنّ التي تريد أنْ تسيطر على زوجها ـ إن صحّ التّعبير ـ ليس لها إلّا طريق واحد لا غير، طريق الأنوثة والأنوثة فقط، وهو طريق زاخرٌ باللّين والنّعومة والرقّة، إنّ التي تريد أنْ تسيطر على زوجها فعليْها بقول وفعل ما يظهر روْعة دلال الأنثى وقوّة استضعاف الأنثى وسيطرة خضوع الأنثى وفاعلية دموع الأنثى.

إنّ المرأة ـ في الغالب ـ هي التي تحفّز في زوجها نصفَه النّاعم بأنوثتها، وهي أيضًا ـ في الغالب ـ التي تثير فيه نصفه الخشن لو استخدمتْ معه طرقَ الرّجل وأساليب الرجل.



إنّ الأنوثة- والأنوثة فقط- هي المغناطيسُ الذي جذبه إليها أوّل مرّة، وجعله يسعى ـ أو يزحف ـ إلى بيتها ليخطبها ويطلبُ من ـ أو يلحّ على ـ وليّها بالزّواج منها، فكما كتب العالم السّوري الشيخ «علي الطنطاوي» رحمه الله: «مازالت المرأة غالبةً ما حاربت بأنوثتِها»، فأينَ هذه الأنوثة وسطَ رُكامات التّحدي والمغالبة؟ وماذا بقي من آثارها بعد صولاتٍ وجولات فرض أمر، واشتباك كلامي أو يدويّ، وعدم طاعة وتجاهل وتحقير، وعدم الشعور بأنّه كبيرها ووليّ أمرها؟

لقد كان لسيادةِ الفكر الذّكوري في هذا العصر أثرٌ بالغ في أنْ تترك المرأة أسلحةَ الأنوثة الباهرة القوّة التي وهبها الله- عزّ وجلّ- لها لتستبدلها بأسلحة الرّجل التي لا تعرفها ولا تُتقنها ولا تُحسن استخدامها، ولا ينفع أن تستعملها امرأةٌ مع رجل، فكان الخسرانُ والألم والتوتّر والندم.

لا تُغالبيه بخشونةِ الرّجال فتُشْقيه ويُتْعبك، ولكنِ اسْتدرجيه بنعومةِ الأنثى فتَمْلكيه ويُسْعدك.

حسمَ القرآنُ الكريم قضيةَ القوامة في قوله جلّ وعلا: «الرّجال قوّامون علي النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم...» (النساء ٣٤). والقرآنُ الكريم في هذه القضية لا يقدّم رأيًا ليؤخَذ به أو لا يؤخذ، بل يقرّر حكماً إنْ دان له النّاس استراحوا، وإنْ أنكروه فهمَ الخاسرون. ولا يمكنُ للحديث حول القوامة أنْ يحاط من مختلف جوانبه إلّا باختصار لما كتبه الشّهيد «سيد قطب» في الظّلال حول تفسير هذه الآية الكريمة، كالتالي:



«إنّ الأسرة هي المؤسّسةُ الأولى في الحياة الإنسانية، وإذا كانت المؤسّسات الأخرى الأقلّ شأنًا، والأرخص سعرًا: كالمؤسّسات المالية والصناعية والتجارية. وما إليها، لا يوكل أمرها - عادة - إلّا لأكفأ المرشحين لها، ممّن تخصّصوا في هذا الفرع علميًّا، ودرّبوا عليه عمليًّا، فوق ما وهبوا من استعداداتٍ طبيعية للإدارة والقوامة، فأولى أن تتبع هذه القاعدة في مؤسّسة الأسرة التي تنشئ أثمنَ عناصر الكون، العنصر الإنساني..

والمنهجُ الرّباني يراعي هذا، ويراعي به الفطرة، والاستعدادات الموهوبة لشطري النفس لأداء الوظائف المنوطة بكلٍّ منهما وفْقَ هذه الاسْتعدادات، كما يراعي به العدالة في توْزيع الأعباء على شطري النّفس الواحدة، والعدالة في اختصاص كلّ منهما بنوعِ الأعباء المهيّأ لها، المعان عليها من فطرته واستعداداته المتميزة المتفرّدة.

جعلَ الله تعالى من وظائفِ المرأة أن تحمل وتضع وترضع وتكفل ثمرة الاتصال بينها وبين الرجل، وهي وظائف ضخمة أولًا وخطيرة ثانيًا، وليست هيّنة ولا يسيرة، فجعل الله - عزّ وجلّ - في تكْوينها العضويّ والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينها على أداء وظيفتها تلك، فكان عدلًا أنْ ينوط بالرجل توفير الحاجات الضرورية، وتوفير الحماية كذلك للأنثى كي تتفرغ لوظيفتها الخطيرة، ولا يحمل عليها أنْ تحمل وتضع وترضع وتكفل، ثمّ تعمل وتكدّ وتسهر لحماية نفسها وطفلها في آنٍ واحد، فمنح الله تعالى الرّجل من الخصائص في تكْوينه العضويّ والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينه على أداء وظائفه هذه.

ولا يظلم ربك أحدًا..

لقد زوّدت المرأة - فيما زوّدت به من الخصائص - بالرقّة والعطف،

وسرعة الانفعال، والاستجابة العاجلة لمطالب الطّفولة- بغير وعْي ولا سابق تفكير- لأنّ الضروراتِ الإنسانية العميقة كلّها لم تترك لأرجحة الوعي والتفكير وبطئه، بل جعلتِ الاستجابة لها غير إرادية لتسهّل تلبيتها فورًا، وفيما يشبه أن يكون قسرًا، ولكنه قسر داخلي غير مفروض من الخارج، ولذيذ ومستحبّ في معظم الأحيان كذلك، لتكون الاستجابةُ سريعة من جهة ومريحة من جهةٍ أخرى، مهْما يكن فيها من المشقة والتّضحية.

صُنعَ الله الذي أتقن كلّ شيء.

وهذه الخصائصُ ليست سطحية، بل هي غائرةٌ في التكوين العضوي والعصبي والعقلي والنفسي للمرأة.

وكذلك زوّد الرجل - فيما زوّد به من الخصائص - بالخشونة والصّلابة، وبطء الانفعال والاستجابة، واستخدام الوعي والتّفكير قبل الحركة والاستجابة؛ لأنّ وظائفه كلّها من أوّل الصّيد الذي كان يمارسه في أوّل عهده بالحياة إلى القتال الذي يمارسه دائمًا لحماية الزّوج والأطفال إلى تدبير المعاش، إلى سائر تكاليفه في الحياة، لأنّ وظائفه كلّها تحتاج إلى قدر من التروّي قبل الإقدام، وإعمال الفكْر، والبطء في الاستجابة بوجهٍ عام، وكلّها عميقة في تكوينه عمق خصائص المرأة في تكوينها.

وهذه الخصائصُ تجعله أقدرَ على القوامة، وأفضل في مجالها، كما أنّ تكليفه بالإنفاق- وهو فرعٌ من توزيع الاختصاصات- يجعله بدوْره أوْلى بالقوامة؛ لأنّ تدبير المعاش للمؤسّسة ومَن فيها داخلٌ في هذه القوامة، والإشراف على تصريف المال فيها أقربُ إلى طبيعة وظيفته فيها.

وهذان هما العنصران اللّذان أبرزهما النصّ القرآني، وهو يقرّر قوامة الرجال على النساء في المجتمع الإسلامي.

إنّها قضية خطيرة، أخطر من أنْ تتحكّم فيها أهواءُ البشر، وأخطر من أنْ تترك لهم يخبطون فيها خبطًا عشوائيًّا، وحين تركتْ لهم ولأهوائهم في الجاهلياتِ القديمة والجاهليات الحديثة، هدّدت البشرية تهديدًا خطيرًا في وجودها ذاته، وفي بقاء الخصائص الإنسانية التي تقوم بها الحياة الإنسانية، وتتميّز.

ولعلّ من الدّلائل التي تشير بها الفطرة ما أصاب الحياة البشرية من تخبّط وفساد، ومن تدهور وانهيار، ومن تهديد بالدّمار والبَوار، في كلّ مرّة خولفت فيها هذه القاعدة فاهتزت سلطةُ القوامة في الأسرة، أو اختلطت معالمها، أو شذّت عن قاعدتها الفطرية الأصيلة.

ولعلّ من هذه الدّلائل تَوَقانُ نفس المرأة ذاتها إلى قيام هذه القوامة على أصلها الفطري في الأسرة، وشعورها بالحرمان والنّقص والقلق وقلّة السعادة عندما تعيش مع رجلٍ لا يزاول مهامّ القوامة وتنقصه صفاتها اللازمة، فيكِلُ إليها هي القوامة، وهي حقيقة ملحوظة تسلم بها حتّى المنحرفات الخابطات في الظلام.

ولعلّ من هذه الدلائل أنّ الأطفالَ الذين ينشأون في مؤسّسة عائلية القوامة فيها ليست للأب، قلّما ينشأون أسوياء، وقل ألّا ينحرفوا إلى شذوذٍ ما، في تكوينهم العصبي والنفسي، وفي سلوكهم العملي والخلقي..

ينبغي أنْ نقول: إنّ هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصيّة المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني، ولا إلغاء وضْعها «المدني»، وإنّما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسّسة الخطيرة، وصيانتها وحمايتها. ووجود القيم في مؤسّسة ما لا يلغي وجودَ ولا شخصيةَ ولا حقوق الشّركاء فيها، والعاملين في وظائفها، فقد حدّد الإسلام في مواضع أخرى صفةَ قوامة الرجل وما يصاحبُها من عطفٍ ورعاية، وصيانة وحماية، وتكاليف في نفسه وماله، وآداب في سلوكه مع زوجه وعياله».. انتهت كلماتُ «سيد قطب» رحمه الله.



ثانيًا: التّركيبةُ العضوية للجنسين:

منح اللهُ تعالى الرّجل بنيانًا جسديًّا يفوق بنيانَ جسد المرأة في القوّة وتحمّل مشاقّ العمل الثقيلة ليعمل ويتكسب بعد خوضِ سلسلةٍ من المنافسات والمُغالبات والصراعات، وليستطيعَ توفير الحمايةَ والدّفاع عن نفسه وأهله وعرضه وأرضه ووطنه، وصوْنهم ممّن يتغوّل عليهم ويعتدي، وتلك من الأمورِ التي تحدّد لَمن القوامة.

كما أنّ المعاشرة الجنسيّة التي تجمع بين الزوجين يكون فيها أداءُ الرّجل أكثر إيجابية ومبادرة وفاعلية وإبداعًا، وحين إتقانه لها بالتّعاون مع زوجته سيتمّ الإشباع والارتواء والراحة والإعفاف.

بالإضافة إلى أنّ الدّورة الشهرية التي تنتاب المرأةَ منذ بلوغها إلى ما شاء الله تجعلها ـ في أغلب الأحيان ـ تخرج عن مزاجِها الطّبيعي بضعَ أيّام كلّ شهر، كما أنّها قد تنشغل بالكلية تحت تأثير وهَنِ الحمل وظروفه وألم الولادة ومشاق الإرضاع والقيام على شئون الصّغار أربعةً وعشرين ساعة في اليوم، وتلك أمورٌ لا يصلح معها القيام بدور القوامة.

٦- الجهلُ بحقيقة الحبّ

استثارَ الحبّ الذي يشتعل بين الرجل والمرأة الناسَ، كلّ الناس، فكتب فيه وقرأ وعاشَه وتعايشه الرجال والنساء، الأدباء والشّعراء، العلماء والجهلاء، الأغنياء والفقراء، الكبراء والحقراء، الشّباب والشيبان، بطول العصور الغابرة والحاضرة، وعرض البلاد شرقها وغربها، حفلت به القصصُ والأشعار، والمقالات والرّوايات، والأفلام والمسلسلات، ونسجت عليه خيالاتُ حياةٍ هنيئة رائعة، كما نسبت إليه ارتكاب الكثير من الجرائم..

ولكنّ الحبّ لم يلقَ من المتخصّصين في علم النفس ما لقيَه من الناس، كلّ الناس، فخرج الحبّ عن مفهومه الحقيقي متحرّرًا من عقاله الواقعي العلمي، وحلّق في سماء الوهْم والخيال، فأبعدَ النّاس، كلّ الناس، عن حياة الحبّ الحقيقية الفطرية السويّة الرّائعة إلى حياة حبّ زائفة وهمية وخيالية.

والقصّة يطول شرحُها حيث المجال أضيق من سردِها وتوضيحها، ولكنْ ما يهمّنا هو العودة إلى الحبّ في صورته الحقيقيّة الواقعية، وإنْ كانت أقلّ ضوضاءً وأبهت ألوانًا وأخفتَ صخبًا ممّا صوّرته لنا القصص والأشعار والمقالات والرّوايات والأفلام والمسلسلات.

قد يكون الحبّ موجودًا، بلْ ومتّقدًا بين الزوجين، ولكنّ التّعبير عنه قد يكون معدومًا أو مبتسرًا، أو يتمّ بطريقة غير مناسبةٍ للمحبوب، أو بالجرعة غيرِ الكافية له، وهذا أوّلُ الأخطاء وأفدحُها في حقٍّ شريك الحياة، إنّ الحبّ إذا دبّ بين الزّوجين فيجب أن يتمّ التعبير عنه، وبالطريقة التي يستحسنها ويريدُها شريكُ الحياة، وبالجرعة التي تكفيه، وإلّا كيف سيعرف شريكُ الحياة أنّه محبوب من شريكه؟!

في كتابه «لغاتُ الحبّ الخمس» أبدع «جاري تشابمان» في شرح الطّرق التي يميل إليها الإنسان ويفضّلها ليشعر بالحبّ ويرتوي به من حبيبه، وإنّها لطرقٌ تختلف من إنسانٍ لآخر، فمِن الناس مَن يفضّل كلمات وعبارات التشجيع والمديح والثناء ممّن يحبّ، ومنهم مَن يفضّل أن يمنحه حبيبه قاسمًا من وقته، ومنهم مَن تؤثّر فيهم الهدايا تأثيرًا بليغًا، وآخرون يشعرون أنّ تقديمَ الخدمات دليل قويّ على الحبّ، وآخرون يميلون إلى التّلامس الجسدي ويريدونه ممّن يحبونهم باستمرار.

ولمزيدٍ من إلقاء الضوء على هذه اللّغات الخمس كان التفصيل التالي:

١- كلماتُ التّشجيع والمديح والثناء: قد يحبّ الإنسان نيلَ المديح والثناء على ما يفعل، فذاك وقودُه النفسي الذي يدفعه لمزيدِ تحسّن وتطوّر وبذل وعطاء، خاصّة إذا جاء هذا المديح من شريك الحياة.

فإذا طهتِ المرأة طعامًا فيجب مدحُه بصفةٍ عامّة، ثمّ مدح ضبطها للملح فيه، ومدح النّضج الكامل له، ومدح تنظيم المائدة ....إلخ.

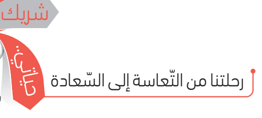
إذا لبست ثوبًا، فينبغي مدحُ الجسد الذى تزيده الثّياب جَمالًا على جَمال، ومدح اختيار الألوان، ومدح التطريزات التي في الثوب، ومدح الرسوم التي عليه، ومدح التناسق في الألوان... إلخ.

ويحبّ الرّجل تلقّي تشجيعًا وثناءً من زوجته على تعبِه وجهاده خارج البيت لاستجلاب الرزق ورعاية أسرته، وعلى إنفاقه بكرمٍ عليهم، وعلى مجالسته لأولاده مستذكرًا لهم أو لاعبًا معهم.... إلخ.

٢- تكريسُ الوقت: ليس من المُستطاع ـ في هذا العصر بالذات ـ أنْ يقضي الزوجان وقتًا طويلًا معًا، وهذه كارثة حقيقيّة، ولكن كحدّ أدني يجب أنْ يقضيا معًا وقتًا رائعًا ممتعًا بشكلٍ يترك في أنفسهما وقعًا جميلًا إيجابيًّا، فالأمر ليس بطول وقتٍ قدْرَ ما هو بعمقه في روعته وجماله.

ولأجلِ حدوث ذلك ينبغي استغلالُ ثلاثةِ أوقات فارقات في الحياة الزوجية لجني التّقارب والتجانس والانسجام بين الزوجين، وهي كالتالي:

١) دقائقُ الفراق: عند مفارقة الرّجل بيته صباحًا للعمل أو مساءً لقضاء مهمّة ما يجب عليه أن يحسن الفراق بتجاذب الحديثِ مع زوجته، ولو لثلاثِ



أو خمسِ دقائق فقط، بغرضِ تحقيق الألفة وتأكيد المحبّة وتأصيل الودّ، فسيكون لهذه الدقائق القليلة فعلًا ساحرًا يجعل القلوب تلين، والشوق يزيد.

٢) دقائقُ اللقاء: عند عودة الرّجل إلى بيته يجب عليه أن يلقي السّلامَ على أهله ـ كما حضّنا على ذلك رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– وفي ثلاثِ دقائق يستمع خلالها إلى زوجته لتقصّ عليه ما تريد، وفي دقيقتين يردّ هو عليها مشاركًا إيّاها في مشاعرها قبل أن يكون حالًّا لمشاكلها، إنّ من شأن هذه الدّقائق القليلة جعْل باقي اليوم رائعًا. وعلى الزوجة إن لم تنلْ هذه الدّقائق أن تعذرَ زوجها في مثل هذه اللّحظات الأولى من عودته إلى بيته، حيث يكون ـ غالبًا ـ في أوْهن حالاته وأضعفها، وكلّ ما يصبو إليه– آنذاك– طعامٌ يسدّ جوعته، وسريرٌ يستردّ عليه عافيته.

٣) جلسةٌ خاصّة: إنّها جلسة تجمع الزوجين بمكان خاصّ محدّد بالبيت، ولو بغرفة المعيشة، وفي حضور الأولاد أو غيابهم، أو بشرفة المنزل ولو أمامَ الجيران، وفي توقيت خاصّ يوميّ ـ أو شبه يومي ـ ولمدّة ربع ساعة، أو حتى عشر دقائق فقط، ويتمّ أثناءها تناول مشروب خاصّ ككوبين من العصير، أو فنجانين من الشاي أو القهوة، كلّ حسب رغبته أو عمره، ويدور أثناءها حوار خاصّ في صورةِ دردشة خفيفة مُفْعمة بالبساطة والتفكّه، وتخلو تمامًا من الحديث حول مشاكل العمل أو الأولاد أو علاقات الأقارب أو سائر الموضوعات الأخرى التي تشوبها رائحةُ الالتزام بعمل ما، وإنّما هي قصص وحكايات وطرائف ما حدث أيّام الطفولة البريئة والصّبابة المتمرّدة من أحداثٍ تثير البسمة والضحكة، وتبعث على البهجة والفرحة مطعّمة بالقليل من الكلمات المعبّرة عن المشاعر التي يمكن أن تحوّل حديثًا بسيطًا إلى شيء أكثر سحرًا.

إنّ هدفَ هذا الحوار أو الدّردشة الخفيفة السّارة بالجلسة الخاصّة هو استمرار الحوار وتحسين التواصل وتخفيف الأعباء واقتناص لحظاتٍ سعيدة مع شريك الحياة تبعد الإنسانَ عن همومه قليلًا، وتغيّر نغمة الحوار بين الزوجين من نغمة جافة قاسية ملؤها مناقشةُ المشاكل وتفنيد الآراء المتضاربة والمسئوليات المتعبة إلى نغمةٍ نديّة رقيقة ناعمة ملؤها الودّ والسرور والطرافة والحبور.

وأسوقُ هنا قصّة كتبها «محمد القاضي» في كتابه «جدّد زواجك» تفيد في هذا السياق بعنوان «كوب المانجو»، هي كالتالي:

حدثَ في أواخر القرن الماضي أنْ ذهب داعيةٌ إسلامي كبير قد تجاوز السّبعين من عمره لزيارة صديق له في إحدى البلدان السّاحلية، وجلسا معًا في شرفة المنزل المطلّة على البحر، وقدّم المضيف لضيفه الشّيخ الكبير كوبًا من عصير المانجو، لعلمه أنّ ضيفه يحبّه كثيرًا، ولكنّ الضّيف رفض بأدبٍ أن يتناول العصير، فتعجّب مضيفه، وسأله عن سبب هذا الرفض، فلم يجبِ الضّيف، فأصرّ صاحب البيت على معرفة السبب.

فقال الضيف: إنّني عزمت منذ فترةٍ على ألّا أشرب عصير المانجو أبدًا.

فقال صاحب البيت: ولِمَ فعلت ذلك وأنت تحبّه؟ هل وراء ذلك سبب صحي؟

فقال الضّيف: لا، إنّ في الأمر سرًّا آخر.

فقال صاحب البيت: هل من الممكن لي أن أعرفه؟

تردّد الضيف فترة، ثمّ قال: أنتَ تعرف أنّ زوجتي – رحمها الله – ماتت منذ فترة، وقد كنت أنا وهي نجلس معًا كلّ ليلة ونشرب معًا عصير المانجو، فقد

كانت تحبّه مثلي تمامًا، فلمّا توفّاها الله تعالى عزمتُ على ألّا أشرب عصير المانجو بعدها، أملًا في أنْ أشربه معها في جنّة الخلد في رحاب الله سبحانه وتعالى.

إنّها الجلسة الخاصّة ذات المشروب الخاصّ التي تواصلت بركتُها بمشيئة الله من الدنيا إلى الآخرة، وحملت وفاءَ وحبًّا وذكرى وأملًا.

لم يشغلْه اندماجُه الشّديد في عمله، وانخراطه القويّ في دعْوته عن الجلوس ليلًا مع زوجته لتناول كوبيْن من عصير يحبّونه، فظلّت الذّكرى، وظلّ الشوق، وبقيتِ القيمة؛ قيمةُ السعادة الزّوجية التي تستأهل البذل لها وقتًا والتضحية لها عملًا، قيمةُ الإنسان الذي يستأهل أنْ يعيش آمنًا في كنفِ شريك حياةٍ يشاركه سعادة الحياة.

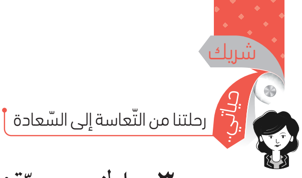
إنّ لهذه الدقائق اليومية ـ أو شبة اليومية ـ التي قد تستغرق حوالي خمسًا وعشرين دقيقة على الأكثر أثرًا فعّالًا في إذكاء ذكرى وإنْماء شوق وترسيخ قيمة، ولكمْ يحتاج الزّوجان لها مهْما كان انْشغالهما، بل إنّه كلّما اشتدّ الانشغال اشتدّ الاحتياج إليها.

٣ - تقديمُ الهدايا:

تعدّ الهدية تعبيرًا ماديًّا ملموسًا ومرئيًّا عن حبّ الإنسان لشريك حياته، ولذلك ليسَ بالضرورة أن تكون غالية الثمن أو تلبّي احتياجًا لمَن ستهدى إليه. إنّ التّعبير الماديّ الملموس المرئي عن الحبّ هو أكثر فاعلية وتأثيرًا في بعض الأشخاص من لغاتِ الحبّ الأخرى، ولكن مِن الضرورة بمكانٍ أن تتوافر بالهدية ثلاثةُ شروط:

١- مناسبة لمَن ستهدى إليه: مناسبة للجنس (ذكر/ أنثى)، مناسبة للعمر.

٢- التعاقب: تقديم الهدية تلوَ أخرى بينهما فتراتٌ زمنية ليست بالطويلة، ولا يشترط أن ترتبط دومًا بمناسباتٍ معينة.



٣- الخصوصيّة: تخصّ الذي/ التي ستهدَى إليه، فلا يتشارك معه/ معها أحد.

ويغلب على النّساء تفضيلُ تقديم الهدايا كتعبيرٍ عن حبّ أزواجهنّ لهنّ.

٤ - تقديمُ الخدمات:

قد يشعرُ الإنسان بأنّ شريكَ حياته يحبّه إذا قدّم له خدماتٍ روتينيّة من طهي وغسل وكيّ وترتيب ونظافة بيت، وغير ذلك، فتقديمُ الخدمات بصدق وإتقان وتفانٍ وتضحية هي لغةُ الحبّ التي يفهمها ويفضّلها، ولا يعني هذا مطلقًا أن يعامل شريك الحياة كالخادم.

لن يظهرَ الحبّ حينما يتمّ تقديم الخدمات بدافع الخوف: «لو ماخدتيش بالك من بيتك ونضّفتيه ونظّمتيه مش حتقعدي على ذمّتي دقيقة واحدة»، أو هربًا من التّأنيب والإشعار بالذنب: «هوّ لازم كلّ مرّة أقولّك اعملي الفطار، ما فيش يوم وتعمليه لوحدك»، أو تجنّب الإهانات: «هوّ فيه واحدة تكوي الملابس بالطّريقة دي يا غبية»، إنّ معاملة شريك الحياة كالخادم أو إخافته أو تعمّد إهانته وإيذائه وإشعاره دومًا بالتّقصير؛ سيقضي على الودّ ويدفن الحبّ.

ويغلبُ على الرّجال تفضيلُ تقديم الخدمات كتعبيرٍ عن حبّ زوجاتهم لهم.

٥ - الاتّصالُ البدني:

الاتّصالُ البدني هو لغة الحبّ الأساسية لدى العديدِ من الاشخاص، خاصّة أولئك الذين لديهم حساسية خاصّة للمس، ويتمّ الاتّصال البدني عن طريق تشابكِ الأيدي والتّقبيل والاحْتضان والتّدليك ولمسات مقدّمات



الجماع التي تنتهي ـ أو لا تنتهي ـ بإقامةِ العلاقة الجنسية.

ويتمّ اللّمس بالطّريقة التي تلائم شريكَ الحياة، فليس كلّ ما يسعد أحدَ الزوجين بالضّرورة يسعدُ الآخر، فلكلّ منهما طريقتُه التي تناسبه.

فيجب أن يعلم كلّ إنسان أيّ لغة ـ أو لغات ـ التي يفضّلها ويميل إليها مَن يحبّ ليعبّر عن حبّه له بالطريقة التي تناسب محبوبه. وقد يكون هناك مَن يريد مِن شريك حياته أن يعبّر له عن حبّه له بكلّ اللغات السابقة، ولكن هناك بالتأكيد لغة أساسية مفضّلة لكلّ إنسان، ثمّ تليها اللغات الأخرى ـ كلّها أو بعضها ـ في الأولوية والأهمية.

فمَن يحبّ التّشجيع ويريده باستمرار قد لا يؤثّر فيه كثيرًا تقديمُ الهدايا، ومَن يردْ تكريس وقت له قد لا يعنيه كثيرًا تقديمُ الخدمات، فكمْ من امرأةٍ كانت خادمةً لزوجها وأولادها وبيتها ولكنّ زوجها انصرف بقلبه عنها لأنّه لا يريد منها تقديم الخدمات قدْرَ ما يريد التّلامس الجسدي معها أو سماع بعض كلمات التّشجيع، وكم من رجلٍ منح زوجته تشجيعًا وثناءً ولكنها لم تشعرْ بحبّه لأنها كانت تفضّل منحها وقتًا خاصًّا بها تسعد فيه برفقته.

وإذا تطابقت لغة الحبّ الأساسية للزّوجين فقد يحدث بينهما إمّا توافقٌ وسعادة أو ضيق وإحباط، فمثلًا إذا كانت لغة الحبّ الأساسية لكلا الزّوجين هي الاتصال البدني فسيسعدا كثيرًا لأنّ كلاهما يرغبُها في الآخر، وسيتمّ منحها له وأخذها منه في ذاتِ الوقت بكلّ إقبال وشوق ونَهَم، أمّا إذا كانت لغة الحبّ الأساسية لكليْهما هي تقديم الخدمات فسينتظر كلّ منهما الآخر ليبادر بتقديمها، وقدْ يطول الانتظار ويطول لأنّ المبادر لم يبادرْ بعد، فيحلّ الضيق والإحباط.



الحبّ وحده لا يكفي:

الأصلُ في العلاقة الزوجية أنْ تقوم ـ ابتداءً ـ على دعائمَ من الحبّ، ولكن الحبّ وحده لا يكفل القضاءَ على كلّ نقص، وتغطية كلّ عيب، وتحمّل كلّ إساءة، وتخطي كلّ عقبة، وغفران أي خطيئة، كما تدندن وسائلُ الإعلام والفضائيات والقصص والرّوايات والشعر والأدب ليلًا ونهارًا.. إنّه وحده مهْما كان قويًّا لن يكفي للحفاظ على الزّواج حينما يصطدم الزوجان بعقبات الحياة الزوجية ومسئولياتها ومشاكلها وخلافاتها، وهو وحده غير كافٍ لاستمرار زواج أكثر الأحباب عشقًا وولهًا، ولكنه ضروريّ لبدء العلاقة وليس لضمان استمرار هذه العلاقة.

إنّ الزّواج الذي يُبنى على الحبّ وحده لن يكون فيه خيرٌ كثير، وقد جاء في بعض الإحصائيات أنّ ٨٨٪ من الزيجات التي تتمّ بناءً على الحبّ فقط انتهت بالطلاق.

الحبّ هامّ كشرارةِ إيقاد الزّواج، ولكنّه ليس وحده الغذاء الذي يستمرّ به الزواج.

الحبّ Vs التقدير والاحترام:

لا يجتمع الحبّ وعدم التقدير/ الاحترام في علاقة الزّواج السوية أبدًا، فإذا حلّ عدم التقدير/ الاحترام بين الزوجين أدبر الحبّ ورحل، والحقيقة الأخرى المكمّلة لها أنّ التقدير/ الاحترام أوْلى من الحبّ وأبقى، فإذا جلب الحبّ عدم التقدير/ الاحترام فلا حاجة للحبّ؛ لأنّ الحاجة للتقدير/

الاحترام أشدّ من الحاجة للحبّ، ففقدان التقدير/ الاحترام هو فقدان للإنسان، كلّ الإنسان، أمّا فقدان الحبّ فهو فقدان لجزءٍ يمثّل احتياجًا عاطفيًّا نفسيًّا لهذا الإنسان، فالكلّ أوْلى من الجزء، كما أنّ الحبّ الذاهب من المُمكن أن يستردّ مع شخص آخر، لأنّه علاقة تبادلية بين رجل وامرأة يتوقّف وجودها وبقاؤها ونماؤها على الحبيبين. ولكن التقدير/ الاحترام الذّاهب لن يستجلبَ بسهولة حتّى ولو مع شخص آخر، لأنّهما ينبعان من داخل النفس الإنسانية التي إمّا أن ترى نفسها أهلًا للتقدير/ الاحترام أو ترى غير ذلك، فتتصرّف وتتقبّل ما تتلقّاه من الآخرين طبقًا لما تراه في نفسها من أهلية.

عندما تصبح الحاجةُ إلى الشعور بالحبّ أقوى من حاجةِ الرجل إلى التقدير والمرأة إلى الاحترام فسيبدأ مسلسل التحقير والإهانة في الزحف إلى حياتهما.

يبدأ هذا المسلسل البغيضُ في أوّل العلاقة بين الرجل والمرأة، يبدأ حينما يتنازل أحدهما عن التقدير/ الاحترام لينال القربَ ويتخطّى العقبات والصّعوبات، يبدأ عندما يضحّي أحدهما بقيمة التقدير/ الاحترام حتى لا يفقد الشعور بالحبّ، فأصبح التقدير/ الاحترام على المحكّ، وليس الحبّ هو الذي على المحكّ، حينئذ عليهما الاختيار بين أحد السبيلين: إمّا الحبّ مع الهوان أو الفراق مع الابقاء على التقدير/ الاحترام.

إنّ قيمة تقدير الرجل يجب أن تعلو على قيمة شعوره بالحبّ، فإذا لم ينلِ التقدير بسبب الحرص على بقاء الحب فعليه أن يطأ مشاعر الحبّ ويحيي قيمة التقدير، فلا رجولة بلا تقدير، ولا حياة زوجية كريمة بلا تقدير، ويعرف تقدير الزوجة لزوجها بأنّه: «إذا أحسن الزّوج يحسن إليه، وإذا أساء يعاتَب مِن قِبَل زوجته»، ويقصد بهذا العتاب أن تعبّر عنه الزوجة بأنوثتها ودلالها

ورقّتها وعذوبتها حتّى يدرك زوجُها خطأه بكلّ لطف، ومَن آثر الحبّ وفضّله على التقدير فلن يحصد سوى التحقير.

كما أنّ قيمة احترام المرأة تعْلو على قيمة شعورها بالحبّ، فإذا لم تحظَ بالاحترام في سبيل بقاء الحبّ فعليها أن تجتهد لتطفئ هذا الحبّ وتحرص على بقاء الاحترام، فلا مكانَ لأنوثتها بغير احترام، ولا حياة زوجية كريمة بلا احترام، ويعرف احترامُ الزوج لزوجته بأنّه: «إذا أحسنت الزّوجة يُحسن إليها، وإذا أساءت يُسامحها زوجُها»، إنّ مسامحتها حين خطئها تعدّ من أجْمل وأرْوع ما يفعله الرجلُ مع زوجته للمحافظة على روْنق أنوثتها وازدياد ثقتها بنفسها، وقليلٌ من الرجال مَن يدرك ذلك. ومَن فضّلت الحبّ على الاحترام فلن تحصد سوى الامتهان والهوان.

مَن فضّل الحبّ على التقدير نال التحقير..
ومَن فضّلت الحبّ على الاحترام نالت الامتهان.

ففي الحبّ قليلٌ أو كثير من المواجع والمآخذ التي قد تحطّم رباط الزّوجية المقدّس، وقد لا يتجاوز الصّدقَ كثيرًا مَن قال: «بقدْر جَمال الحبّ بقدْر غدْرِه، وبقدْر روْعته بقدر ألمِه».

الوقوعُ في الحبّ واستمرار الحبّ:

إنّ ما يفعله الإنسان لَمن اختاره أو قبِلَ به شريكًا للحياة قبل الزواج لا يعطي ـ في كثير من الأحيان ـ أي إشارة لما سيفعله بعد الزّواج. فقبل الزواج يكون الإنسانُ واقعًا تحت سيطرة الوقوع في الحبّ، والتي تغيّر من طبيعته

وتربيته وعاداته قليلًا أو كثيرًا، أمّا بعد الزّواج فسيعود الإنسان إلى ما كان عليه قبل مرحلة الوقوع في الحبّ، سيعود إلى طبيعته وشخصيته وتربيته وما تعوّد عليه.

كلّ الناس ـ تقريبًا ـ يقعون في الحبّ في فترةٍ ما من فتراتِ حياتهم، فكلّ الناس ـ تقريبًا ـ يمتلكون أسباب الوقوع في الحبّ، ولكن.. للأسف لا يمتلك كلّ الناس أسبابَ استمرار الحب.

وهذا يجيب على السّؤال الهامّ، لماذا كثيرٌ من المحبّين الذين نراهم مِن حولنا يقعون في الحبّ، ويستغرقون فيه استغراقًا ويغرقون فيه غرقًا حتّى ليظنّهم الناس أنّهم لن يفترقوا أبدًا، ولكنّهم حينما يتزوّجون يختلفون ويتشاجرون، ثمّ ينتهون إلى الطّلاق؟ ببساطة.. لأنّهم يمتلكون أسباب الوقوع في الحبّ ولا يملكون أسباب استمرار الحب.

هناك فارقٌ بين الوقوع في الحبّ واستمرار الحبّ، فالوقوع في الحبّ يبدأ بالانجذاب والإعجاب وينتهي بالعشق والوَلَه، ولكنّها مشاعر من المُمكن أن تستبدّ بأيّ إنسان، وهي بطبيعتها ذاتُ عمْر قصير، ولكنّ استمرار الحبّ يلزمه طابور طويل من القيم قد لا يتوافر عند الكثيرين ممّن وقعوا في الحبّ، ومن هذه القيم تقديسُ الحياة الزوجية والمرونة والمسامحة واحترام الأنوثة وتقدير الرجولة وتلبية احتياجات الطّرف الآخر والالتزام بتحمّل مسئوليات البيت وتربية الأولاد وحسن العشرة و...، و.....، إلخ.

كما أنّ الكثيرين ممّن وقعوا في الحبّ لا يمتلكون ما يدعو إلى الاستقرار وما يمنح الأمانَ كمدمني المخدرات ومعتادي العلاقات الجنسيّة الحرام وذوي الاضطرابات النفسية والجنسية وأصحاب الديون القاهرة أو أهل الفاقة (كثيري الذرية قليلي الدخل)....، إلخ.



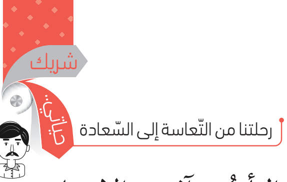
كلّ النّاس قد يملكون ما يجعلهم يقعون في الحبّ..
ولكنْ كثيرٌ منهم لا يمتلك ما يجعله يحافظ على الحب.

ولذلك كان وجود الكبار حولَ الشباب والفتيات حينما تبدأ العلاقة والخطوبة أمرًا هامًّا للغاية، فعلى الشباب والفتيات الوقوع في الحبّ، أمّا الكبار فيتفحّصون ويختبرون امتلاك الشّباب والفتيات للقيم التي تبقي هذا الحبّ، حفاظًا على الحياة الزّوجية النّاشئة. فإذا ما وقع الشابّ والفتاة في الحبّ، وهذا دورهما الذي لا يمكن تجاوزه أو إهماله، جاء دور الكبار ليحدّدوا ما إذا كانت هذه العلاقة تمتلك أسبابَ البقاء أمْ بها معاولُ الانتهاء، وهذا دور الكبار الذي لا غناء عنه.

مِن الحبّ ما خنق:

لأنّها أحبّته صبرتْ على إهاناته وتجاوزاته وتناسَت كرامتها واحترامها لذاتها، ولأنّه أحبّها صبر على إهاناتها وتجاوزاتها وتناسى كرامته وتقديرَه لذاته، ولكنْ كان للصبر حدود، وللتناسي مثالب وجراح تستنزف القوى وتجهد الأعصاب، فبعد فترةٍ من زمانٍ لفظ الحبُّ أنفاسَه، وحلّ محلّه الكره والبُغض.

إنّه أحبّها حبًّا جمًّا، وأراد أن يحافظ عليها، فإذا به يحاصرها ويضيّق عليها ولا يسمع لها رأيًا ولا يلبي لها طلبًا إلّا ما يراه مناسبًا له، فكان أداؤه معها في غاية السّوء فأتعبها وأجهدها وآلمها، وحاولت مرارًا إفهامَه وإرشاده بما



يصلح حاله معها ولكنْ لا حياة لَمن تنادي، فأصابها اليأسُ وآثرت الابتعاد عن جحيم حبّه لها.

وإنّها أحبّته بإخلاص وصدق وأرادت أن تحافظَ عليه فحاصرته واستجوبته وطاردته وتجسّست عليه، ونقّبت وراء كلماته وأفعاله وطلباته ورغباته بحثًا عمّا يؤكّد حبّه أو بغضه لها، فأتعبته وأجهدته وآلمته، وكم حاول إثناءها عمّا تظنّ وتفعل ولكن كلّ جهوده المريرة لم تثمرْ إلّا مزيدًا من محاصرةٍ واستجواب ومطاردة وتجسّس وتنقيب، فخاب أملُه، واختار الابتعاد حتّى لا يتألم أكثر من حبّها له.

إنّ الحياة بين الزّوجين على أيّ وجه ليست من البديهيات والمسلّمات، لا يُقاس حبّ شريك الحياة باستطاعته تحمّل الجحيم الذي يضعُه فيه الطرف الآخر.

٧- ترسّخُ بعض القناعاتِ المدمّرة للحياة الزوجية

قد يوقر في نفسِ الإنسان بعضُ القناعات التي قد تُسهم في تدمير الحياة الزوجية. إنّها قناعات ليست واقعية، قناعات مبنيّة على قصص وهميّة ومشاهدات فضائيّة وأفلام خيالية وكتابات روائية، ومن أمثلة هذه القناعات الخرافية الوهمية التي يجب التخلّص منها ما يلي:

– سيظلّ الحبّ متّقدًا إلى الأبد بنفس قوّته وشدّته وسطْوته كما كان في بدْء العلاقة الزوجية: الحقيقة التي اختفت وسط رُكام الإعلام والأفلام أنّ الحبّ لن يحتفظَ بصورته البرّاقة الأخّاذة الأوّلية أبدًا، فقد دخل على الحبيبين بعد زواجهما أعباءُ بيت ورعاية أطفال وتحمّل مسئوليات طوّرت هذا الحبّ البرّاق الأخّاذ السّطحي الهشّ الخالي من المسئوليات إلى صنف جديد من الحبّ الأقلّ بريقًا والأخفت أخذًا، ولكنّه الأعمق جذورًا والأصْلب عودًا المكتظّ بالمسئوليات.



- هناك حياةٌ زوجية خالية من المشاكل: ليس هناك حياةٌ بوجْه عام، ولا حياة زوجية بوجْهٍ خاصّ تخلو من المشاكل والخلافات والأزمات، ولكنّ الحكمة في أنْ يجعل الزّوجان من كلّ مشكلةٍ وسيلة لازدياد القرب وفرصة لتعميق الحبّ، فيخرج الزّوجان من كلّ مشكلة وقد ازدادا التحامًا وانصهارًا.

- ضرورةُ أن يتشارك الزّوجان في كلّ أنشطة الحياة: إنّ حيّز الاهتمامات المشتركة بين الذّكر والأنثى لا يشمل كلّ أنشطة الحياة، فلكلٍّ منهما اهتماماتُه وأنشطته التي يميلُ إليها جنسه. ولكنّ الحقيقة أنّ القواسم والبرامج المشتركة بين الزوجين كثيرة وعديدة مثلَ برنامج تربية الأولاد وتعليمهم وبرنامج صلاتِ الرّحم والبرنامج الاقتصادي والبرنامج الترفيهي والبرنامج الرّياضي والبرنامج الرّومانسي وبرنامج المعاشرة الجنسية...، إلخ. فليتعاونِ الزوجان ويعملان معًا فيما هو قاسم مشترك بينهما، وهي قواسمُ كثيرة، وليترك كلّ منهما الآخر يمارس بطريقته ما هو مختلف بينهما، وهي اختلافات كثيرة أيضًا.

- ليس هناك صلةٌ بين جوْدة الحياة الزوجية وجوْدة العلاقة الجنسية: وهذه مِن الخرافات، فالصلةُ وثيقة بين جودة الحياة الجنسيّة بجودة الحياة الزوجية، فكلّما كانت العلاقة الجنسية رائعةً كان صبرُ الزوجين على مشاكل الحياة أقوى وأفضل، والعكسُ بالعكس.

- ستصبحُ الحياة الزوجية رائعة حينما يتغيّر شريك الحياة: لكمْ هدمتْ هذه الخرافة بيوتًا وأخّرت صلحًا ووئامًا بين الزّوجين، فانتظار تغيّر الآخر لن يأتي بالتّغير، وتوقّف استمرار الحياة على آخرَ لن يمضي بالحياة، إنّما يبدأ التغيير حينما يتغيّر الإنسان نفسه بنفسه.

- الذّكر رجلٌ حتّى ولو لم يقمْ بواجبات الرّجل ومسئوليات الرّجل كما يجب: الرّجولة صفات وليست نوعَ جنس، فليس كلّ ذكرٍ رجل، ولكنّ كلّ رجل ذكر.

- المرأةُ أنثى حتّى ولو لم تقمْ بواجبات الأنثى ومسئوليات الأنثى كما يجب: فالمرأةُ ليست نوعَ جنس، ولكنها صفات، فليس كلّ أنثى امرأة، ولكن كلّ امرأة أنثى.

- الرّجلُ على كلّ شيء قدير: كيف تعتقدُ المرأة في زوجها أنّه على كلّ شيء قدير، تعتقد أنّه يستطيع أن يفعل كلّ ما تطلبُه منه، ولو شاء لجلَبَ لبَنَ العصفور. إنّ الذي على كلّ شيء قدير هو الله وحده سبحانه، وما الرجلُ إلّا بشر ممتلئ بالتّقصير، مكتظّ بالعيوب.

٨- الصّورةُ الذّهنية المرسومةُ لشريك الحياة Vs واقع شريك الحياة

في العادة يرسم كلّ إنسان ـ خاصّة النساء والرّجال العاطفيون ـ صورةً ذهنية مُسْبقة عن شريك الحياة قبل أن يرتبط به بوقتٍ طويل (في حالة الفتيات) أو قصير (في حالة الشباب)، يرسم صورةً في ذهنه عن الكيفية التي سيسعده بها شريك حياته، الوسائلُ التي سيدعمُه بها شريك حياته، الطريقة التي سيخدمه بها شريكُ حياته، الأسلوب الذي سيعامله به شريك حياته، الطّريقة التي سيعبّر بها شريك حياته عن الحبّ والودّ والقرب، الآلية التي سيتّخذها شريك حياته في اتّخاذ القرارات، يرسم بنفسِه ولنفسِه عددًا آخرَ من السيناريوهات التي ـ وحده ـ حلم بها، واستقرّت في ذهنه عن شريك حياته، وكأنّ كلّ إنسان يريد مِن شريك حياته أن يفكّر ويشعر ويتصرّف

بالطّريقة التي تريح هذا الإنسان وفقَ سيناريو مُعدّ مسبقًا في ذهن هذا الإنسان. وعندما لا يحقّق شريك الحياة ما كان مأمولًا فيه ومنه، فسينتاب الطّرف الآخر شعورٌ بالضيق والإحباط.

إنّ أغلب هذه الصّور الذهنية في حقيقتها غيرُ واقعية أو ظالمة، أو تتّسم بالأنانية، رغم أنّها تبدو هيّنة أو واجبة التنفيذ من وجهةِ نظر مَن ينسجها في خياله.

ولأنّ الإنسان ينتظرُ من شريك حياته أقوالًا وأفعالًا قد تفوقُ إمكانياته وقدراته، فهو ينتظر ما هو بعيد- كثيرًا أو قليلًا- عن الواقع، أو أنّ ما ينتظره من شريكِ حياته لا يتمّ الحصول عليه في التّوقيت الذي يريد، أو أنّ ما ينتظره من شريك حياته أكبرُ ممّا يتمّ الحصول عليه بالفعل، كلّ ذلك يتسبّب في تسميم الحياة الزوجية وتكدير صفْوها، فمثل هذه التّصورات التي من نسْج الخيال ستديرُ العواطف وتثير العواصف، وتقود مِن فشل إلى فشل، ومن ألم إلى ألم، ومع ذلك كان الجميع مصرًّا على الاسْتمساك بها والعضّ عليها بالنواجذ.

إنّ الزّواج سيتمّ بشخصٍ مختلف ـ قليلًا أو كثيرًا ـ عن ذلك المرسوم بالذّهن مسبقًا، فليس هناك رجل سيلبي كلّ ما تحتاجه زوجته، وليس هناك امرأةٌ ستلبّي كلّ احتياجات زوجها، فالإنسانُ لن يستطيع أن يعطي شريك حياته كلّ ما يريد، ولن يجدَ عنده كلّ ما يريد. ففي الزّواج يتمّ الحصول على بعضِ الأشياء وعدم الحصول على البعض الآخر، ومنح بعض الأشياء ومنع البعِض الآخر، هكذا قدراتُ البشر وطاقات البشر وإمكانيات البشر، وهكذا أيضًا طبيعةُ الزواج وحدود الزواج وواقع الزّواج.

حينئذٍ سيكون هناك خياران، إمّا أن يتمّ تمزيق الصّورة المثالية الخيالية المرسومة بالذهن مسبقًا عن شريك الحياة وقبوله على ما هو عليه، أو يتمّ تمزيق شريك الحياة والتمسك بالصورة الخيالية المرسومة بالذهن، ولا شكّ

أنّ الخيار الأوّل هو الأوقعُ والأصلح والأنفع والأبْقى، وللأسف كان الخيار الثاني هو الأكثر والأفسد والأضر والأشيع استعمالًا.

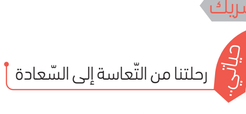
إنّ التعساء هُم الذين لا يتنازلون عن الصّورة الذهنية الوهمية هذه ويستمسكون بها، وفي المقابل يؤثرون تحطيم الواقع، فلا حصلوا على الصّورة الذهنية الخيالية المنشودة، ولا أبقوا على الواقع المتاح والمغاير عن المأمول.

إنّ السّعادة والراحة والطمأنينة تكمنُ في القدرة على تحطيم الصورة الذهنية الوهمية والإبقاء على الواقع والرضا به، ولا سعادة ولا راحة ولا طمأنينة مطلقًا في غير ذلك.

تمزيقُ الصّورة الذهنية المرسومة مسبقًا عنْ شريك الحياة أوْلى من تمزيق شريك الحياة نفسه

٩- عدمُ تفهّم الاختلافات في الطّباع المزاجية لشريك الحياة

خلقَ الله تعالى البشرَ مختلفي الطّباع المزاجية في درجة شدّتها وضعفها، حتى يتسنّى لهم تغطية كافة أنشطة الإنسان التي تهدف إلى تحقيقِ رسالته في هذا الكون، وهي عبادة الله وحملُ أمانة إعمار الأرض. إنّها طباع فطرية ولد بها الإنسان، وهي ـ حتّى لو بدت سلبية ـ توجّهه وتساعده في اتّخاذ مهنةٍ معينة والنجاح فيها. إنّ معرفة الطباع المزاجية للإنسان ستسهم بدرجةٍ عالية في تقبّله وحسن التعامل معه.



لكلّ طبع من الطباع المزاجية مجالٌ ينحصر بين حدّين أقصى وأدنى، وطالما ظلّ الإنسان منحصرًا بين هذين الحدّين لا يتخطّاهما فهو طبيعي جدًّا.

وإنّه من المألوف أنْ تتباين الطّباع المزاجية لأفراد الأسْرة الواحدة شدّة وضعفًا، وإنّما تنشأ التوترات والخلافات حينما لا يتمّ قبول هذا التعارض في قوّة وضعف الطّباع المزاجية، أو لا يتمّ التّعامل مع هذه الطباع بالطّرق المناسبة أو لا يُجرى نوع من التلطيف المناسب لها.

ولإجراءِ عمليات التّغيير والتلطيف لأيّ طبع من هذه الطّباع المزاجية لا بدّ من اتباع ثلاث خطوات، هي: التدريب ـ التدرّج ـ التّحفيز. التدريب على أساليب ووسائل تلطيف الطبع المزاجي، التدرج في جرعة التدريب والصبر على الاستمرار فيه، التحفيز والتشجيع حين التقدّم خطوة في طريق التغيير الوعر وصعود درجة في سلم التلطيف الشاهق. ولقد وجد أن بعض الطّباع المزاجية يستحيل تغييرُ درجتها وتلطيف شدّتها وضعفها، ولذا يجب تقبّلها كما هي، وطباع أخرى يصعب تحسينها وتلطيفها، وهناك أخرى تكونُ أسهل في تخفيفها أو تقويتها مع الوقت. إنّ المعرفة المبكرة للطباع المزاجية أثناء فترة الطفولة الأولى تساعد كثيرًا على إجراء تلْطيف جزئي لها إنْ كان بها حدّة في قوّتها أو شدّة في ضعفها، وكلّما تقدم الإنسان في العمر صارتْ عملية التغيير والتلطيف جدُّ عسرة.

ولكلّ طبع فوائده ومشاكله، ومن أجل فوائد الطّباع المزاجية أنّها تتيح للإنسان البراعة في أداء مهنة معينة، ولكلّ مشكلة من مشاكل الطباع المزاجية أساليب للتعامل معها إمّا تقبلًا أو تلطيفًا.



والطّباعُ المزاجية للإنسان هي تسعٌ في العدد، كالتالي:

١- مستوى النشاط:

يعبّر النشاط عن قدرة الإنسان على الحركة.

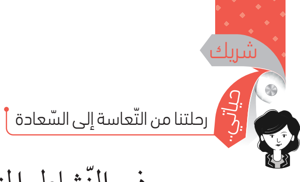
الحدّ الأقصى: يتميّز الإنسان ذو النشاط العالي بحركته الدّؤوبة وميلِه لممارسة الألعاب الرياضية والأنشطة الحركية، كما أنّه لا يحبّ التّقييد في مكان أو وضع ثابت لمدّة طويلة؛ ولذا فهو لا يرحّب باستخدام حزام الأمان بالسيارة، ولا الجلوس طويلًا على مكتب، ويُصاب بالملل والتعب إذا تمّ حصره بين أربعة جدران، وهو لا يستجيب لكلمات التهدئة والتوجيهات التي تحثّه على السكون.

الحدّ الأدنى: يتميّز الإنسان ذو النّشاط المنخفض بتفضيل الأنشطة الهادئة التي يظلّ فيها بمكان واحد تقل فيه حركته مثل لعب الطّاولة والكوتشينة والشّطرنج والرسم واستخدام الكمبيوتر، وهو يحبّ مَن يمدّ له يد المساعدة، وحركته بطيئة وكذلك ردّة فعله واستجاباته، ويستهلك وقتًا طويلًا في قضاء احتياجاته البيولوجية وأداء ما عليه من مهامّ كتناول الطعام ودخول الخَلاء وعند ارتداء ملابسه وحين الاستذكار، وغالبًا ما يتأخّر في مواعيده بسبب بطئه، وكأنّ المثل الدارج «هي الدنيا حتطير» هو قانون حياته.

تأتي المشاكل نتيجة ما يلي:

١) درجة مستوى النشاط:

- ذو النّشاط العالي: يعرض نفسَه لبعض المخاطر من جرّاء حركته الكثيرة.



- ذو النّشاط المنخفض: تفوته بعضُ الفرص الجيدة لبطئه، وقد لا يستطيع إنجاز الأعمال في أوقات مناسبة، كما قد يكون عرضةً للإصابة بالسمنة والبدنة.

٢) التعارض في درجة النشاط بين الإنسان وبين مَن حوله مِن الناس.

- درجة نشاط الإنسان عالية، وهي عند مَن حوله منخفضة: يجهدُ الإنسان من حوله برغبته في الإنجاز السريع، ويكثر مِن تنبيهاته وأوامره واستعجالاته لهم: «يالله»، «بسرعة»، «هو أنتَ لسّه ملبستش»، «إخْلص»، «أنت متّ؟»، «الميعاد حيفوتك»..

- درجة نشاط الإنسان مُنخفضة، وهي عند مَن حوله عالية: يجهد الإنسان مَن حوله ببطء حركته، ويستثيرهم بهدوئه وربّما ببروده.

فإذا قيل له: «يالله، ردّ قائلًا: «ما أنا قرّبت أخلص».

وإذا قيل له: «بسرعة»، ردّ قائلًا: «ما أنا بسرعة أهو».

وإذا قيل له: «هو انتَ لسّه ما لبستش»، ردّ قائلًا: «ما تستعجلونيش أو امشوا انْتم».

وإذا قيل له: «إخْلص»، ردّ قائلًا: «يعني أأقطّع نفسي».

وإذا قيل له: «انت مت؟»، ردّ قائلًا: «لأ لسّه ما متّش».

وإذا قيل له: «الميعاد حيفوتك»، ردّ قائلًا: «ما يفوت، وإيه يعني؟ ما يهمّنيش».

يجيدُ الانسان ذو النّشاط العالي في مَجالات الرياضة، وتلك التي تحتاج إلى حركة دؤوبة مثل العلاقات العامة والمبيعات.

يميلُ الإنسان ذو النّشاط المنخفض إلى مزاولة المِهن التي تستلزم المكثَ في مكان محدّد قليل الحركة مثل المهن المكتبية، وكأمين الخزينة، وكموظّف شباك، وكمدخل بيانات...، إلخ.

٢- مستوى الاستثارة الحسيّة:

تشيرُ الحساسية إلى مدى سهولةِ أو صعوبة شعور الإنسان بالانْزعاج بسبب التّغيرات في البيئة المحيطة، وهو طبع مزاجيّ مرتبط بحواس الإنسان الخمس ارتباطًا وثيقًا.

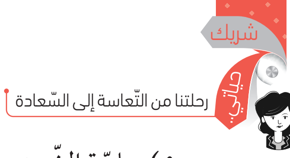
الحدّ الأقصى: يتميّز الإنسان ذو المستوى العالي في الحساسية أنّ حواسّه ـ كلّها أو أغلبها ـ مرهفة كالتالي:

١) حاسّة السّمع: يزعجه الضّجيج والصّياح، وتفزعه الجلبة والصّراخ (كأصوات المكنسة الكهربائية والخلاط الكهربائي المنزلي وبوق السّيارة وضوضاء الأفراح الصاخبة...، إلخ)، ويحبّ الأماكن والمصايف غير المزدحمة التي تتّسم بالهدوء والسّكون.

٢) حاسّة اللمس: يضايقه لمسُ بعض الأشياء أو التعامل معها (ينزعج عند ارتداء الملابس ذات النسيج الصناعي ـ إحساسه باحتكاك ماركة «التي شيرت» بجلده أسفل خلف الرّقبة ـ الاشمئزاز من غسل الأطباق وأواني المطبخ الزلقة وشديدة الاتّساخ).

٣) حاسّة التّذوق: لا يقبل أيّ طعام، فقائمة طعامه ـ في الغالب ـ محدودة، كما أنّه يستطيع بالتذوق معرفة مكونات الطعام وما به من أصناف البهارات المختلفة.

٤) حاسّة النظر: تزعجه الأضواء الكثيرة والمُبْهرة.



٥) حاسّة الشّم: ينتبهُ إذا فاحتْ رائحة خفيفة جدًّا بالمكان، وكثيرًا ما يصيح: «فيه ريحة غاز بالمطبخ»، «فيه ريحة حاجة بتتحرق»، «الأكل ده ريحته غريبة».

الحدّ الأدنى: أمّا الإنسان ذو مستوى الحساسية المنخفض فيتميّز بالتالي:

١) حاسّة السمع: لا تزعجه الأصوات العالية بل قد يسعد بها ويصنعها.

٢) حاسّة اللمس: يميل إلى لمس أيّ شيء، وقد يكرّر لمس ما يضرّه.

٣) حاسّة التّذوق: يقبل على تناول أيّ طعام، فلا يفرق معه كثيرًا أنواع الطعام المقدم إليه.

٤) حاسّة النظر: لا يهمّه شدّة الضوء من حوله أو ضعفه، وقد لا يلتفت إلى ما يراه حوله من جمال طبيعي.

٥) حاسّة الشم: لا يلحظ انبعاثَ الروائح الغريبة.

تأتي المشاكل نتيجة ما يلي:

١ – درجة مستوى الحساسية: – ذو الحساسية العالية: يتأفّف ويتجنّب ويبتعد ويرفض وينزعج إذا رأى أو سمعَ أو لمس أو شمّ أو تذوّق شيئًا يؤذي حواسّه، ولذا فهو يتحرّك في حيّز ضيّق أو حيّز له مواصفات معينة لا تؤذي حواسّه بأصوات وروائح ومناظر وملامسة، كما أنّ قائمة طعامه محدودة.

– ذو الحساسية المنخفضة: من المُمكن أن يضع في فمِه أيّ شيء ويجرّب أيّ طعام، كما أنه يمكث في أيّ مكان، وينام على أيّ أثاث، ولا يعنيه تناسقُ ألوان ملابسه ولا اعتناء باستخدام العطور.

٢– التعارض في درجة الحساسية بين الإنسان وبين مَن حوله مِن الناس:

– درجة الحساسية للإنسان مرتفعة بينما هي عند مَن حوله منخفضة: يعتقد مَن حوله أنه ينفر منهم أو أنه يحتقر طعامَهم ويستقذرُ مكانهم، وأنّه



يصعب عليهم إرضاؤه، وأنّهم يعتبرونه «محبّكها قوي»، وهو يستهجن نهج حياتهم بضوضائها وقذارتها ونظامها.

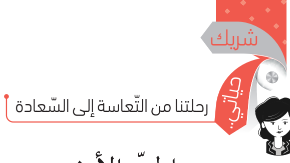
- درجة الحساسية للإنسان منخفضة بينما هي عند مَن حوله مرتفعة: يعتبره مَن حوله أنّه فوضوي ولا يتمتع بالذوق السّليم، ولا يهتمّ بصحّته ولا بهندامه، بينما يشعر الفوضوي أنّهم مزعجون ومتكلفون وناقدون.. إلخ.

قد يتميّز الإنسان الحسّاس في مهن كثيرة، فالذي لديه حساسية عالية في الشمّ مِن الممكن أن يعمل كخبير ذوّاقٍ لأصناف التّبغ واختبار جوْدة العطور، والذي لديه حساسية عالية في التذوّق من المُمكن أن يعمل في مجال اختبار جودة الأطعمة والخُمور أو كطاهٍ ماهر، والذي لديه حساسية بصريّة قد يبدع في مجال التّصميم والديكور والتصوير والرسم، والذي لديه حساسية في اللمس قد يتناغم مع العمل في مجال المنسوجات والأثاث... إلخ.

أمّا الإنسان ذو الحساسية الضّعيفة في السّمع فقد ينجح في المهن الصّاخبة كأعمال البناء وإحياء الأفراح وفي دور السّينما والملاهي والسيرك، والذي لديه حساسية ضعيفة في اللّمس فيمكن أن يمتهنَ الأعمال الزراعية أو الميكانيكية...، إلخ.

٣- المزاج العام (الحالة المزاجية): هو الميولُ العام للإنسان نحو السّلوك السعيد المنبسط أو الحزين الجاد.

الحدّ الأقصى: من مميّزات الإنسان الذي يمتلك المزاجَ العام العالي هو أنّه يضحك ويبتسم باستمرار، وتبدو الدنيا في عينِه جميلة لأنّه ينظر إليها ببساطة رغم وجود مشاكل كبيرة وكثيرة، فكلّ مشكلة يراها ستأخذ وقتَها وتنتهي، ويعيش حياته متفائلاً، لا يستحوذ عليه الهمّ، ويهرب من النّكد، ويتحدّث عن المشاكل قبل أو بعد فواتها بضحك وتفكّه.



الحدّ الأدنى: من صفات الإنسان الذي يمتلك المزاج العام المنخفض أنّه نادر الابتسامة، ويميل إلى الحزن والجدية، ويبدو وكأنّه نكديّ ولكنّه ليس كذلك، فالناس مِن حوله يضحكون وهو ـ رغم شعوره بالسّعادة ـ لا يضحك مثلهم، وإن ضحك سرعانَ ما يتوقّف عن الضحك، ويتحدّث أكثر عن المشاعر السلبية، وعن المواقف المُحزنة مثل حالات المرض والوفاة والحوادث، ويشدّه في الصحف والفضائيات والنتّ الأخبار المعنية بالحوادث والكوارث.

تأتي المشاكل نتيجة ما يلي:

١ - درجة المزاج العام:

- ذو المزاج المرتفع: لا يعالج المشاكل قدرَ الهرب منها بالضّحك عليها والتغافل عنها، كما قد يبدو مستهترًا أو غير مُبال.

- ذو المزاج المنخفض: لا يشعر بالسّعادة إلّا نتفًا، ويبدو جادًّا.

٢ - تعارض درجة المزاج العام بين الإنسان وبين مَن حوله:

- درجة مزاج الإنسان مرتفعه وهي عند مَن حوله منخفضة: يشعر مَن حوله أنّه لا يحس بهم ولديه بلادة ولا مبالاة «ماعندوش دمّ»، وأنّه لا فرق عنده بين الأمر الجيّد والأمر السيئ، وكأنْ ليس هناك أيه مشاكل، كما ينظرون إليه كرمز للتّفاؤل والبشارة، وينظر الإنسان إلى مَن حوله أنهم نكديّون، ويجلبون الغمّ والفقر، وكلهم كآبة.

- درجة مزاج الإنسان منخفضة وهي عند مَن حوله مرتفعة: يشعر مَن حوله أنّه نكديّ كئيب ويجلب لهم الحزن، وهو يشعر أنّهم لا يتحمّلون المسئولية ومستهترون، وبهم مِن البلادة وعدم الإحساس الشيء الوفير.

تحتاج بعضُ المهن من مزاوليها إلى نوع من الجديّة في الأداء والوقار في المظهر كالقاضي والمحامي والمعلم والطبيب والأستاذ الجامعي ومذيع الأخبار والسياسي وصانع القرار ورجل الأعمال. كما أنّ هناك مهنًا كثيرة تحتاج لِمَن هُم من ذوي المزاج المرتفع كموظّفي العلاقات العامة ومؤلّفي نوعية من الروايات والقصص الكوميدية والباعثة للبهجة، والمندرجين في أنشطة الطلاب والشباب.

٤ - الانتباه والتّشتت:

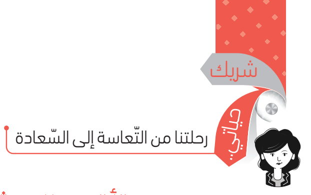
يشير الانتباهُ إلى طول الوقت الذي يستغرقه الإنسان في مهمّة معينة، وقدرته على البقاء فيها، وسيطرته على الأفكار التي قد تحيدُ به عن أداء هذه المهمّة، فينصبّ تفكيره على موضوع واحد. ويشير التشتت وعدم التركيز إلى ميول الإنسان للانشغال بأمورٍ أخرى محيطة به وترك إتمام ما يفعله.

الفارقُ بين قلّة التركيز والنسيان:

تعني قلّة التركيز أنّ المعلومة لم تصلْ إلى عقل الإنسان، أمّا النسيان فالمعلومة وصلتْ إلى عقل الإنسان ولكنها تفلّتت منه ونسيَها.

الحدّ الأقصى: يتميّز الإنسان ذو القدرة على الانتباه العالي بأنّه ينجز المهام، ولا يستجيب لمحاولات قطع تركيزه، ويرتبك وقد يتعصّب إذا قُطع تركيزُه فجأة.

الحدّ الأدنى: يتّصف الإنسان ذو القدرة المنخفضة على الانتباه بأنّه لا يتحكّم في أفكاره، ويسهل تشتيته بصوت أو كلمة أو حركة، وقد يتشتّت وحده دون سببٍ ظاهر، ولا يستطيع التركيز إلّا لمدد وجيزة فقط.



تأتي المشاكل نتيجة ما يلي:

١ - درجة الانتباه والتركيز:

- ذو درجة الانتباه القصوى يعجز عن أداء أكثرَ من عمل في نفس الوقت، وتعتبر هذه الصفة مزيّة في أحيان، وعيبًا في أحيان أخرى.

- ذو درجة الانتباه الدّنيا له قدراتٌ في التّحصيل الدراسي والمهنيّ ضعيفة، وستتأثر سلبًا بعض مهاراته الاجتماعية والعاطفية.

٢ - تعارض درجة الانتباه بين الإنسان وبين مَن حوله:

- درجة انتباه الإنسان مرتفعة بينما هي عند مَن حوله منخفضة: سيعترض على عشوائياتهم وحركتهم، وسيحاول إلزامَهم بالهدوء والسّكون أو بالابتعاد عنه، فنمطُ حياته يقيّدهم ويتعبهم، كما أنّه لا يستطيع حماية مَن معه أو حتّى يعرّضهم للخطر حينما يأخذه تركيزه بعيدًا عنهم.

- درجة انتباه الإنسان مُنخفضة بينما هي عند مَن حوله مرتفعة: سيعمل هذا الإنسان على تشْتيتهم دون قصد بحركاته وكلماته، وسيصنعُ مناخًا لن يعينهم على التّركيز، وهُم سوف يحاصرونه أو يبتعدونه عنهم ليتخلّصوا من صخبه وتعكيره للهدوء المطلوب.

الإنسان شديدُ الانتباه والتّركيز سيكون منجزًا في مهامّه، ناجحًا في أعماله، متقنًا لمهنته.

الإنسان الذي يعاني من قلّة التّركيز سيسهل عليه الانتقالُ بسرعةٍ من نشاط لآخر، وقد يصبح ذا اهتماماتٍ متعددة، وذا قدرةٍ على التنقّل بين هذه الاهتمامات بسرعة وكفاءة.



٥ - التأقلمُ على التّغيير (القدرة على التكيف):

هو الوقتُ الذي يستغرقه الإنسان للتكيّف على المتغيرات التي تحيط به..

الحدّ الأقصى: يسهل عليه التأقلم والتّكيف السّريع مع المتغيرات التي تحيط به، فهو قادرٌ على استعمال أشياء وممتلكات غيره، كما يسهلُ عليه -أيضًا- التنقّل بين عدّة مساكن وعدّة وظائف، ومن اليسير عليه تبديل سيارته وكأنها ليست عزيزة عليه.

الحدّ الأدنى: يقاوم التّغيير، وقدرته على التأقلم والتكيف ضعيفة، يصعب عليه خروجه على ما تعود عليه، عاملًا بالمثل الدّارج «اللي تعرفه أحسن من اللّي ما تعرفوش»، يؤخّر الشاب الزواجَ، أو تقلق الفتاة من الزّواج؛ لأنّ الزواج هو انتقال من بيئةٍ معروفة إلى بيئةٍ غير معروفة، يصرّ على استخدام أشيائه الخاصّة ولا يسمح لغيره باستخدامها.

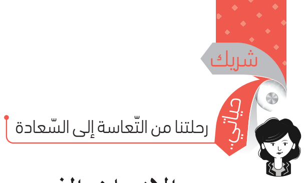
تأتي المشاكل نتيجة ما يلي:

١ - درجة التأقلم والتكيف:

- ذو الحدّ الأقصى: يسهل عليه التفريط في مقتنياته.
- ذو الدرجة المنخفضة: يحتفظ بما يذكّره بالماضي من صور وكراكيب.

٢ - تعارض درجة التأقلم والتكيف بين الإنسان وبين مَن حوله:

- درجة تأقلم وتكيف الإنسان مرتفعة بينما هي عند مَن حوله منخفضة: سيشعرون أنه لا عزيز لديه ولا غال عنده، وأنّه تهون عليه العِشرة.
- درجة تأقلم وتكيف الإنسان منخفضة بينما هي عند مَن حوله مرتفعة: سيشعرون أنه متجمّد في مكانه وفي مهنته وفي تفكيره، وفي الغالب سيتركونه خلفهم.



الإنسان الذي يسهل عليه التأقلم والتكيف سيشجّع عملية التغيير والتطوير، وسيدفع بها إلى الأمام.

الإنسان الذي يعسرُ عليه التأقلم والتّكيف حينما يستقرّ على مجال أو أمر يحبّه سيشرع في المداومة عليه والإصرار على المضيّ فيه والالتزام العميق به كشأن العلماء والمبدعين.

٦ - الانتظامُ والفوضى:

ما بين المنظّم والفوضويّ فارقان هامّان: أولاهما المنظّم يشعرُ ويرى بما لا يشعر به الفوضوي ولا يراه، ثانيهما المنظم يتحرّك وينشط لينظّم الفوضي لأنّها تتعبه. أمّا الفوضوي فلا يتحرّك، أو يتكاسل لينظّم الفوضى إنْ شعر بها أو رآها أو أنه قد اعتادَ عليها وإلفَها، وليس هناك فارق ذو بال بين الفوضى والنظام.

الحدّ الأقصى (المنظّم): هو منظّم ومرتّب في أشيائه وأوقاته، حريصٌ على إتمام جدول أعماله اليومي، وهو روتيني يحافظ على أوقات ثابتة للنوم والاستيقاظ والعمل، وهو أكثر استمساكًا بالقيم والمبادئ التي تلقّاها وتربي عليها.

الحد الأدنى (الفوضوي): الإنسان الفوضوي الذي يرفض أن يأكل أو ينام أو يمارس مختلف أنشطة حياته وفق نظام معيّن وقواعد محددة.

تأتي المشاكل نتيجة ما يلي:

١ - درجة النظام:

- ذو درجة النظام القصوي يتعكّر مزاجه وقد يغضب ويثور إذا لم يجدِ الأجواء مِن حوله على درجة ترضيه من النّظام والترتيب، وغالبًا ما يسبّب مشاكل مع شريك الحياة، ويصبّ عليه سيولًا من النقد والتوجيه والتجريح.

- ذو درجة النظام الدنيا قد يتأخّر عن مواعيده وتقدّمه بعمله، وسيبدّد وقتًا طويلًا في العثور على أشيائه.

٢ - تعارض في درجة النظام بين الإنسان وبين مَن حوله:

- الإنسان المنظم ومَن حوله فوضويّون لنْ يكفّ عن نقدهم ولومهم وتوجيههم، ولن يطيق المكث معهم طويلًا.
- الإنسان الفوضوي ومَن حوله منظّمون سيزعجهم وسيكثرون من نقده وقدحه والتضييق عليه أو ينبذونه ليرحل عنهم أو يتركونه ويبتعدون هُمْ عنه.

يجب أن يتعلّم الفوضوي النّظام والترتيب والتنسيق قدْرَ جهده تحت منظومة التدريب، التدرج، التحفيز.

سيكون الفوضوي بالمستقبل منتجًا مزدهرًا في المهن التي لا تخضع لقواعد ثابتة أو التي تتطلب ساعات عمل غير مألوفة كعمّال المطاعم، ومبرمجي الكمبيوتر، والعاملين في مجال التسويق الإلكتروني، والكتّاب والرسامين، والعلماء والمفكّرين والفلاسفة.

أمّا المنظّم فمجالات عمله هي التي أساسها ونجاحها يتوقّف على قدر النظام والترتيب، وهي مجالات كثيرة تضم قطاعًا كبيرًا من الأعمال.

٧- تقبّل الأمور الجديدة (ردّة الفعل الأولى ـ الاقتراب والانسحاب):

يشير إلى مدى استجابة الإنسان (سواء بالإيجاب أو السلب) للأشخاص الجدد أو البيئات الجديدة أو المواقف الجديدة.

الفارق بين التأقلم على التغيير وتقبل الأمور الجديدة: الأوّل إزاحة، والثاني إضافة، الأوّل وضع قائم سيتغير، الثاني وضعٌ جديد غير مألوف سيُضاف إلى ما هو قائم مألوف.



الحدّ الأقصى: سريع التقبّل لما هو جديد، فليس هناك حاجزٌ بينه وبين أي جديد (مهنة جديدة ـ كسب أصدقاء جدد ـ الاستجابة والتفاعل السّريعين مع الموضات والموديلات الجديدة من الأزياء والإكسسوارات ـ طعام جديد)، ويحبّ الاستكشافات والتعرّف على الجديد من الأحياء والأشياء.

الحدّ الأدنى: هناك حاجزٌ بينه وبين الجديد، ويأخذ وقتًا في التعرّف على الجديد وتقبّله، ويخاف من المخاطرة، ولديه قائمةُ طعام شبه ثابتة.

تأتي المشاكل نتيجة:

١- درجة التقبّل للأمور الجديدة:

الحدّ الأقصى: يتّسم بالجسارة وتجربة الأمور الجديدة حتى ولو كانت بها خطورة.

الحدّ الأدنى: خبراته الحياتية قليلة.

٢- تعارض درجة التقبّل للأمور الجديدة بين الإنسان وبين مَن حوله:

- الإنسان الذي يتقبّل الجديد بسهولة بينما مَن حوله يجدون في ذلك صعوبة سيتمرّد، وقد يخرج عن منظومتهم التّقليدية، ويتخطى بعض القواعد المفروضة عليه ويجرب الجديد.

- الإنسان الذي يجدُ صعوبة في تقبّل الجديد بينما مَن حوله يتقبّلون الجديد بسهولة سيكون حذرًا في خطاه، ويبدو كما لو كان متردّدًا، وسيجهده مَن حوله، وقد ينزوي بعيدًا عنهم ويؤثر ألّا يخرج من القوالب التي وضع نفسه فيها.

الإنسانُ الذي يتقبّل الجديد بسهولة لا يجدُ مشكلة ذاتَ بالٍ عند انتقاله من عملٍ لآخر مختلفٍ عنه، أو حين سفره إلى بلاد غريبة.

الإنسانُ الذي يجدُ صعوبة في تقبّل الجديد سيتراجع عن المواجهة ويرفض الخوضَ في الأمور والأشياء الجديدة، وسيكون مستمعًا جيدًا، ولن يكون من السّهل خداعه لأنّه حذر بطبعه، وقد يصبح مفكّرًا أو محلّلًا للمواقف والأشخاص.

٨- الإصرارُ والمثابرة:

الحدّ الأقصى: الإنسانُ ذو القدْر العالي من الإصْرار والمثابرة سيكون قويّ الإرادة، ولديه عزيمةٌ ودأب على تحقيق حلمِه وعمل ما يرغب، وهو يكمل ما يبدأه من أعمال، ويصرّ على أن يعمل كلّ ما يريد بنفسه حتى لو كان هذا العمل فوق قدراتِه وامكانياته، إنّه مشبع بتحدّي نفسه، وفي الاستذكار والعمل يبذل جهدًا ليتفوّق، ولديه إصرارٌ على إحراز النجاح، فلا توقفه الإخفاقات بل يكرّر المحاولات ليحقّق إرادته، وكثيرًا ما يقول «لا».
الحدّ الأدنى: سهل إقناعُه بالكفّ عمّا يعمل، ومن المُمكن أن يتنازل عن بعض طموحاته ورغباته، ولا يكمل ما بدأه من عمل، وقد يدخل في عددٍ من الأعمال في نفس الوقت دون أن ينجز أيّ منها حتّى آخره، ولا يميل لأن يقول «لا».

تأتي المشاكل نتيجة ما يلي:

١- درجةُ الإصرار والمثابرة:
الحدّ الأقصى: قد يدفعه إصرارُه على إتمام أعماله إلى توتّر حياته واستهلاك أعصابه باستمرار.
الحدّ الأدنى: تفوته بعض فرصِ الحياة، يبدو سريعَ اليأس إذا اعترضته بعض العقبات أثناء تأديته لعملٍ ما، يسهل إصابته بالإحباط والتّراجع



والانسحاب، وسيختار الصّفوف الخلفية والعمل في الكواليس، ولن يميل إلى المنافسات والمغالبات.

٢- تعارض درجة الإصرار والمثابرة بين الإنسان وبين مَن حوله:

- الإنسان ذو قدرٍ مرتفع من الإصرار والمثابرة بينما مَن حوله ذوو قدْرٍ منخفض منهما، سيجهدهم وسيسعى للتفوق عليهم، وربما يستطيع قيادتهم لما يريده، وسيعتقدون أنه عنيد وهو ليس كذلك، وإذا زاد عليه ضغط المحيطين به عليه وتثبيطهم له ربّما يُحبط وتقلّ عزيمته ويفقد تشوّقه لخوض تجارب جديدة.

- الإنسان ذو قدر منخفض من الإصرار والمثابرة بين أناس ذوي قدرٍ عالٍ منهما قد يرونه محبوبًا لأنّه مريح ومطيع وهيّن وسهل وليّن، ولا ينافسهم على أهدافهم وأشيائهم، ويبدو زاهدًا عمّا في أيديهم.

الإنسانُ ذو الحدّ الأقصى من الإصرار والمثابرة أنجحُ في الوصول لأهدافه، وأكثرُ صبرًا على المضيّ في طريقه من ذلك الذي يمتلك الحدّ الأدنى.

٩- الانفعال:

هو درجة التّأثر بالأحداث والأشخاص، وظهور هذا التّأثر على الإنسان في أقواله وأفعاله وردّات فعله.

تتدرّج درجات الانْفعال السلبية من الزّعل ثمّ الغضب ثمّ الثورة. أمّا درجات الانفعال الإيجابية فتتدرج من الانبساط ثمّ الفرح ثمّ الانبهار.

الحدّ الأقصى: يتحدّث ويضحك بصوت عالٍ، ويرفع من صوت التّلفاز والمذياع وكاسيت السيارة، وكثيرًا ما يسبب صخبًا وضوضاء، ويكثر من حواراته في التّليفون، ويؤدّيها بصوت عال، فيعرف مَن حوله معلومات كثيرة عن موضوع الحوار وأحداثه وعن الأشخاص المذكورين بالحوار وغير ذلك.

الحدّ الأدنى: درجات تأثّره الانفعالي بسيط لأنّه قليل أو عديم التفاعل، وكلامه محدود، وتواصلاته التليفونية مقتضبَة، ولا يشكر مَن يهاديه ولا يبدي سعادة بذلك.

تأتي المشاكل نتيجة ما يلي:

١- درجة الانفعال:

ذو الحدّ الأقصى من الانفعال: انفعالاته الكثيرة وعلى أيّ سبب قد تؤثر سلبًا في صحته.

ذو الحدّ الأدنى من الانفعال: غالبًا ما يكتم بصدره الكثيرَ من همومه ومشاكله مما قد يسبب له آلآمًا نفسية، خاصة لو كانت أنثى.

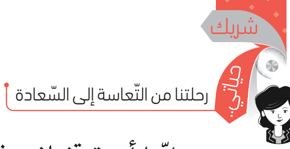
٢- تعارض درجة الانفعال بين الإنسان وبين مَن حوله:

- الإنسان ذو درجة الانفعالِ المرتفعة بين مَن درجةُ انفعالهم منخفضة سيبدو كما لو كان عصبيًّا (العصبيةُ سلوك مُمكن تعديله، ولكنّ شدّة الانفعال طبعٌ فطري) يميل لإحداث الصّخب والضوضاء، ولا يبثّ الهدوء حوله، وقد يبدو وكأنه لا يراعي مشاعر الآخرين أو سيّئ الأدب.

- الإنسان ذو درجة الانفعال المنخفضة بين مَن درجةُ انفعالهم مرتفعة سيعتقدون أنّه غير عاطفي وبارد المشاعر أو غامض وغير مفهوم ومحيّر، وقد يسيئون التصرّف معه لجهلهم بنفسيته وطبيعته، وقد تبدو ردودُ أفعاله على الأحداث دون المستوى الطبيعي.

١٠- عدمُ مراعاةِ ظروف أزمة منتصف العمر

يمرّ الإنسان بفترة خاصّة في حياته أشبه ما تكون بالانقلاب النفسي والفسيولوجي تسمّى بأزمة منتصف العمر، والتي تحتاجُ إلى نوع من التثقيف والتوعية للتعامل معها بما هي أهله.



إنّها أزمة تختلف في وجودها واستمرارها ونتائجها ودوافعها في الرجل عن المرأة، فهي أزمة تمر بجميع النساء ولكنّها لا تصيب إلّا قلّةً من الرجال، وهي عند النّساء لازمة بينما هي عند الرجال عارضة، وبها تنقطع فيها قدرة المرأة على الإنْجاب بينما تزداد فيها رغبةُ الرّجل في الاستمساك بشبابه الآفل، وبسببها قد تصاب المرأة بالانزعاج والقلق والتوتر ولكنّها ترفع معنويات الرجل وتُشْعره بالنّشاط تجاه الحياة بصفة عامّة، وتجاه النساء بصفة خاصّة.

أوّلًا: بالنسبة للرجل:

يُصاب بعض الرجال، خاصّة بعد تجاوزهم عمر الأربعين عامًا، بحالة من فقدان الاتزان العاطفي!!، وهي أزمة تطفو في هذا العمر على سطحِ حياة بعض الرجال ـ وليس كلّهم ـ في صورة محاولات للفْتِ أنظار النساء، وَزيادة اهتمامهم بمظهرهم الخارجي، وارتدائهم ملابسَ ذات ألوان لافتة للانتباه، وصباغتهم لشَعْرهم، ومزاولتهم لبعض التمارين الرياضية لتصبحَ أجسامهم متناسبة مع «شبابهم»، وبحثهم عن نوعٍ من الرعاية عند غير زوجاتهم، واندماجهم في مشاهدة البرامج الفضائيّة الشبابيةً!!..أو مكْثهم أمام الشّبكة العنكبوتية لعمل محادثات (شات) مع الفتيات، وقد يصل الأمر إلى حدّ أنّ بعضهم قد يتورّط في علاقات نسائية لا تتّفق مع دينٍ ولا تتواءم مع عمر، ولا يكتب لها من الاستمرار في الغالب شيء، أو يسعون إلى زواج للمرّة الثانية من فتيات صغيرات في العمر.

لا شكّ أنّها مرحلة حرجة جدًّا لكلّ مِن الزّوج والزوجة؛ فالزوج الكبير عمرًا يتقلّد مظاهر الشباب، وهو ليس منهم، والزّوجة تصطدم بمشكلةٍ عاطفية عاصفة تخصّ زوجها، لم تحسب لها حسابًا، تغزو حياتها بغتة، وتهدد كيان أسرتها واستقراره.

إنّ أسباب هذه الأزمة عند الرجل عديدة، تباينت فيها آراءُ العلماء، ولسنا هنا بصدد حصرها، ولكن ما يهمّنا معرفته أن أنجعَ أسلوب يساعد على التّخفيف من آثارها هو أنْ يتقي الرجل ربّه، ويجاهد نفسه، ويغضّ بصره، ويتذكّر دومًا زوجته ورفيقة عمره بكلّ خير، وكيف صبرتْ معه وعليه، وأنّ إكرامها بعد طول عشرتها معه هي مِن تمام مروءته وعميق إخلاصه، هذا دور الرجل.

أمّا دور المرأة الوقائي الذي ينبغي أن تلعبَه قبل هبوب عاصفةِ هذه الفترة فينحصر في أن ترتبط بزوجها ارتباطًا قويًّا ومنذ اللحظات الأولى للزواج، ولا تتعمّد تجاهله والانشغال عنه بالانغماس في تربية الأولاد أو في عمل مهني أو اجتماعي تجد ذاتها فيه أو حتى ترتزق منه.

أمّا دورها العلاجي الذي ينبغي عليها تأديتُه أثناء هذه المحنة هو أنْ تحاول تفهّم نفسية زوجها في هذه السن، فتوليه اهتمامًا أكبر من ذي قبل، وأنْ تشاركه بعضًا من هواياته، وأنْ تلبي حاجاته الملحّة والمستمرّة إلى مشاعر الحنان والحبّ، وأن تتلمّس راحته، وأن تتغيّر لأنّ زوجها تغير، أنْ تتغير لأن زوجها أمسى في حالةٍ يبحث فيها عن التغيير، أن تتغير في نظرتها لترتيب أولوياتها لكي تضع زوجَها على رأس قائمة اهتماماتها، أن تتغيّر في طريقة حديثها معه، أن تتغيّر في اهتمامها بأناقتها وتجديد هيئتها بما يتناسب وعمرها، أن تتغيّر لأنّ دينها يحضّها على ذلك، وأنّ الله- عزّ وجلّ- وهبها القدرة على إجراء التغيير والتطوير بكلّ يُسْر وسهولة ومتعة.

وفي النهاية تثقُ بنفسها، وبزوْجها أيضًا، تثق أنّه مهما تلفّت يمينًا أو يسارًا، ومهما تشاغل عنها بغيرها قليلًا أو كثيرًا، فسيعود أفضلَ ممّا ذهب، حاملًا رصيدَ تجربة به من المرارة ما به، سيعود ليجدَها في انتظار لحظة فيئه إلى

صوابه وعقله ورشْده، سيعود ليجدَها هي الحبيبة، أمّ أولاده، شريكة حياته ورفيقة عمره.

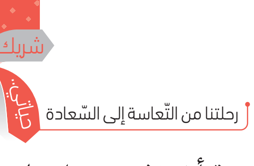
ثانيًا: بالنسبة للمرأة:

أمّا أزمة منتصف العمر بالنّسبة للمرأة فمختلفة، في كوْنها مرحلة طبيعية من مراحل العمر، تمرّ بها جميع النساء، بعكس نظيرتها عند الرجل. إنّها كثيرًا ما تسمّى بـ«سنّ اليأس» حيث تمرّ بها المرأة وهي في أواخر الأربعينيّات أو أوائل الخمسينيّات في العادة حين ينقطع الحيض وتفقد المرأة قدرتها على الإنجاب.

حين بلوغِ المرأة «سنّ اليأس» يشيخ المبيضان، وينقطع إنتاجُهما من البويضات، ويقِلّ إنتاجُهما من هرمونات الأنوثة فينخفض مستوى هرْمون الأستروجين، وهو الذي يلعب دورًا رئيسيًّا في الحفاظ على حيويّة المرأة ويحميها من الإصابة بأمراض القلب وهشاشة العظام، كما يسبّب ذلك الانخفاض ضمورَ قانتيْ فالوب وتقلّص حجم الرحم وضمور وصغر عنقه، وانقباض المهبل وضمور ثنياته، وصغر حجم البظر وقلّة كمية شعر العانة والإبطين وترهّل الثّديين.

كما ينخفض مستوى هرمون البروجسترون إلى درجةٍ شبه مُعدمة لأنّ دوره في حياة المرأة قد انتهى، فهو الهرمون الذي يهيّئ بطانة الرحم لاستقبال البويضة التي يفرزها المبيض إذا ما كانت مخصّبة، فإن لم يتمّ تخصيبها فإنه سيعمل على تمزيق هذه البطانة فيخرج دم الدّورة الشهرية.

وقد يصاحب هذه التغيرات الفسيولوجية بعض المتاعب الجسدية والنفسية للمراة، وتبدو على بعض النساء أعراض خفيفة لا تؤثر على حركة الحياة اليومية، بينما هي عند أخريات شديدة وقد تستدعي العلاج بالهرمونات البديلة أو غير ذلك.



تحتاج المرأة من زوجها حين انقطاع الدورة الشهرية أن يقف بجوارها، وأن يشعرها أنها أنثاه التي يحبها ويعتز بوجودها بجواره دومًا، وأنها شريكة حياته التي صبرت معه وعليه طوال زهرة شبابها حتى تألف وضعها الجديد في حياتها وتعتاد عليه.

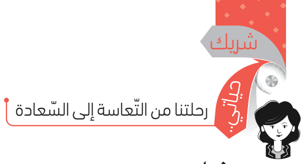
١١- عدمُ مراعاة الظروف الخاصّة

يلمّ بالإنسان بعضُ الظّروف الخاصّة الصّعبة فتقصيه عمّا اعتاد أن يفعله، إنّها ظروف إمّا أن تكون طبيعية عادية أو تكون طارئة مُرْبكة، ولذا وجبَ على الإنسان مراعاةُ تلك الظروف الخاصّة التي يمرّ بها شريك حياته حتى تزول وتنقشع.

إنّها الآن تمرّ بفترةٍ ما قبل الدّورة الشهرية حيث المزاج مضطرب، والعصبية زائدة، فلن تستطيع أن تقوم بمهامّها التي تعوّدها منها، وبالطّريقة التي ألفها منها، فيجب أن يتحلّى زوجها بالصّبر وحُسن تقدير الموقف وبعض التغاضي وقليل من التغافل.

إنّها الآن حامل، وقد تبدّل مزاجها، وصارت تشمئزّ من رائحة بعض الأطْعمة، ومن رائحة زوجها، وأصبحت تشعر بالتّعب لأقلّ مجهود، وصارت تميل إلى الرّاحة والسكون، أو مدفوعة إلى ذلك دفعًا، وأحيانًا تصابُ بالاكتئاب، إنها ظروف حمْلها، والتي تختلف من امرأةٍ إلى أخرى، فيجب على الزّوج أن يتحمّل نصيبه من حمل زوجته بالصّبر عليها والوقوف بجوارها والتّخفيف عنها بمشاركتها في مشاعرها وعدم تكليفها بما هو فوق طاقتها في ظروف حملها هذه.

إنّه الآن مشغول جدًّا، ومهموم للغاية ببعض المشاكل في عمله أو مع عائلته، ولا يستطيع أن يبذل لها ما كان يمنحها إيّاه من كلمات



ثناءٍ وتشجيع وبعضٍ من وقت، وجرعة من رومانسية، ولم يعدْ يقوى على القيام بما كان يقوم به من مهامّ ومسئوليات، فيجب أن تصبرَ عليه زوجته وتدعمه وبالطّريقة التي تلائمه، حتى تمرّ هذه الظروف ويعود حاله إلى طبيعته.

يكون الإنسان في أشدّ الاحتياج لشريك حياته ساعةَ أن تلمّ به ظروفه الخاصّة، فإذا ما التفت هذا الإنسان تحت وطأة هذه الظّروف إلى شريك حياته فوجده منصرفًا عنه متجاهلًا احتياجه معرضًا عن مساعدته؛ فسيصاب بالإحباط وخيبة الأمل والرّجاء، وقد يفقد ما يطمئنه بوجود من يدعمه ويسانده.

وعلى النّقيض من ذلك، إنّها لن تنسى له مواقفَه النّبيلة وصبره الجميل حينما تحمّلها تحت وطأة ظروفها الخاصة الطّبيعية والطارئة، وإنه لنْ ينسى لها روْعة مساندتها له حينما مرّ بظروف صعبة، وبذا تستمرّ عجلة الحياة الزوجية في الدّوران بسلاسة وسلامة بروْعة الدّعم والمساندة المتبادلين.

١٢- التّغاضي عن هوادمِ الحياة الزوجية التي ظهرت فترات الخطوبة والعقد وقبل الزفاف

قد تحمل العلاقةُ بين الشابّ والفتاة منذ بدئها تهديداتٍ تنذر بانْهيارها وانزلاقها إلى نفقٍ مظلم مسدود، حينذاك يجب التوقّف عند هذا الحدّ وعدم التمادي في تطويرِ هذه العلاقة وإنهائها وفسخ الخطوبة أو العقد إن لم يكن الزفاف قد تمّ بعد.



ومن أهمّ وأشيع مهدّدات الزواج بالانهيار الشامل ما يلي:

الاختيارُ الخطأ والموافقة الخطأ:

إنّ أوّل لبنةٍ في بناء البيت السليم هي اختيار الشّاب لعروسته المناسبة، وموافقة العروس على الشاب المناسب.

إن كان هدفُ الفتاة الإيقاع بشابٍّ من بين الشباب في مصيدة الزواج ليطلب يدها ويحقّق أحلامها بارتداء فستان الزفاف الرّائع والاحتفال بليلة عرس فاخرة ودخول بيت زوجية به من الرياش والأثاث ما به ستكون بالقطع المقاييس والمعايير مختلفة تمامًا عمّا لو كانت تنشد السّعادة الزوجية المبنيّة على علاقة متينة ملؤها الحبّ والقبول والرعاية والتقدير والاحترام والثقة والأمان.

إنْ كان الشابّ يهدف من الزواج الحصول على أجمل فتاة من أرقى وأغنى بيت وكفى؛ ستكون مقاييسه التي يتمّ الاختيار على أساسها مُختلفة عن ذلك الشابّ الذي يريد أن يتزوّج بذات الدين حسنة الخلق وطيب المعشر.

إنّ الحصول على السّعادة الزوجية لا يتعلّق بالحصول على زوجٍ أو زوجة وفقط، فهناك فارق بين الحصول على زوج/ زوجة وبين الحصول على سعادةٍ زوجية، وإنما تتأتّى السّعادة الزوجية ببناءِ علاقة متينة بين الرجل المناسب والمرأة المناسبة بالطّرق السوية الشرعية.

- أخطاء الاختيار والقبول:

إنّ أخطاء اختيار العريس لعروسه غير المناسبة أو قبول العروس بمَن يتقدّم لخطبتها رغم إنه غير مناسب لها هي بمثابة حفر قبر لزواج قبل ولادته، وهدم بيتٍ قبل بنائه، أو على الأقلّ الحرمان من الراحة والأمان والسعادة والاطمئنان، ولذلك كان على كلّ من الشاب والفتاة الحذر من الوقوع في التالي:



١- تجاهل أسس الاختيار والقبول من أهميّة التدين والخلق الحسن والكفاءة.... إلخ.

٢- إهمال السّؤال عن العريس وأهله والتحري عن العروس وأهلها قبل الشروع في الارتباط.

٣- عدم استشارة الكبار أو تجاهل رؤيتهم ورأيهم.

٤- التسرّع في اختيار العروس أو القبول بالعريس، وغضّ الطّرف عمّا هو هامّ لاستمرار واستقرار الزواج من صفات العروس وأهلها والعريس وأهله.

لأنْ تعيش وحيدًا بعضَ الوقت خيرٌ لك من أن تكون متزوّجًا وتعيسًا طوال الوقت.

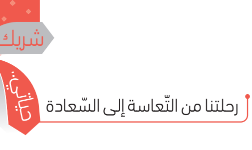
٥- هيمنة الحبّ الأعمى ورفض كلّ النصائح والإرشادات.

٦- التردّد والترنّح بين عدّة اختيارات ممّا يؤدّي إلى الحيرة المعطلة والفشل في الانتقاء أو التأخر في اتخاذ القرار.

٧- عدم النّضج في تناول أمر الزواج حيث العشوائية والعبثيّة، فلا مواصفات ولا مقومات، أو الافتتان بالموقف كانبهار الشابّ بجمال الفتاة أو زهو الفتاة بأنها أمست مرغوبة من أحد الشباب، أو غير ذلك.

٨- الاعتماد على ـ أو تفويض ـ مَن ليس لديهم خبرة في مجال تزويج الشباب والفتيات.

٩- اتّخاذ قرار الزواج تحت ضغط من الضغوط، فالقرارات المصيرية كقرار الزواج لا ينبغي أن يتخذ تحت أيٍّ صنف من صنوف الضغوط، والتي منها ما يلي:



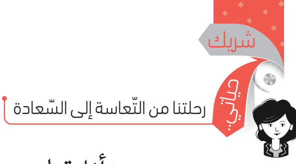
- النّزوع إلى الهرب من بيت الوالدين الزّاخر بالمشاكل النّاضح بالمتاعب، فتقبل العروس بأوّل مَن يطرق بابها خاطبًا لها فرارًا من هذا البيت.
- ضغوط مرحلة ما قبل الاغتراب، وفيها يتسرّع العريس في الاختيار تحت ضغط السفر للخارج.
- ضغوط مرحلة ما قبل الاختراب، وفيها يتسرّع في الانتقاء تحت ضغط الحاجةِ إلى تلبية الرغبة الجنسية.

- الانخداع بالمظاهر:

قد ينخدعُ العروسان في بدْء علاقتهما ببعض المظاهر التي قد تفهم على غير حقيقتها، أو تلك التي لا تنمّ عن جوهرها، مثلَ ما يلي:

١ - التديّن: لا شكّ أنّ الزّواج المبنيّ أساسًا على التدين يختلف كثيرًا عن ذلك الزواج المبني على غيره من الأسس، ولكن.. التديّن وحده لا يكفي لاستمرار البيت واستقراره؛ ففي خير جيلٍ متديّن عرفته الأرض وهو جيل الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ حدثً الطلاق وتفرّق الزوجان، فهذه «زينب»- رضي الله عنها- التي طلّقها «زيد بن حارثة» رضي الله عنه، وهذه ذاتُ النطاقين «أسماء بنت أبي بكر»- رضي الله عنها- التي طلّقها «الزبير بن العوام» رضي الله عنه، ومَن على الأرض الآن يدّعي تمسكًا بالدين مثل هؤلاء الصحابة والصحابيات رضوان الله عليهم؟!!

إنّ التّدين يظهر بقوّة في [إذا أحبّها أكرمها، وإن كرهها لا يظلمها]، فهو يضمن حسن الأخلاق ومراعاة المشاعر، ولكنه لا يصنع السّعادة وديمومة العيش الهنيء بين الزوجين، كما في المثالين السابقين.



هي: «أنا قبلت به زوجًا لأنّه ملتحي»، «أنا رضيت بيه لأنه صاحب أخويا في المسجد»، «أنا لما عرفت إنّه ابن الشيخ فلان رضيت بيه».

هو: «أنا تقدّمت لها لأنها منتقبة»، «أنا لمّا عرفت إنّها محفّظة قرآن رحت تقدّمت لها على طول»، «علشان هي أخت الأخ الطّيب المتدين فلان أنا اخترتها».

إنّ هذا ليس انتقاصًا من قدْر التدين عند الزواج أبدًا، بل هو أساس من أسس الزواج التي لا تُغفل مطلقًا، ولكنه ليس الأساسَ الوحيد للزواج السعيد.

٢- الغنى: جعل الله المالَ سببًا في تيسير وتسهيل كثير من عقبات هذه الحياة، وأيضًا جعله الله زينة من زينات هذه الحياة الدنيا، ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ...﴾ (الكهف: ٤٦)، فإذا جاء الشاب متقدمًا ليخطب فتاة وأغدق عليها بالهدايا والعطايا فلا يعني هذا أنّ «طاقة القدر» قد فتحت لها، فلربما يخفي هذا الغني من ورائه «باب جحيم» لا يغلق، إن الغنى وحده لا يكفي للسّعادة المنشودة في الحياة الزوجية، فكَمْ من أثرياء تعساء في قصورهم هم كالموتى في قبورهم، وكم من فقراء بسطاء تملأ السّعادة والرضا أركان أكواخهم وأعشاشهم.

٣- الوجاهةُ الاجتماعية: قد تكون رغبة الإنسان في الزّواج من شخص بعينه نابعة من رغبته في ارتقاء اجتماعي والحصول على وجاهةٍ ما، فماذا سيحدث بعد الرّقي الاجتماعي والحصول على هذه الوجاهة المنشودة إلّا طرح من انتهى دوره جانبًا، والتطلّع لمن يمنح وجاهة أعلى ومرتبة أرقى؟

٤- الجَمالُ الظاهري: من الجواذبِ إلى الجنس الآخر جَمالها ووسامته، وهما أمران على أهميّتهما لا يستديمان، فالإلف والاعتياد سيجعلان الجَمال والوسامة أمرًا عاديًّا مألوفًا، والزمان لن يُبقي جَمالًا ولن يذرَ وسامة على حالها. فإذا بني الزّواج على ما يطحن بين مطرقة الإلف وسندان الزمان كَمَن



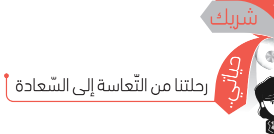
شيّد بنيانه على شفير جُرف هار.

لقد لخّص النبي- صلّى الله عليه وسلم- اعتيادَ النّاس على الزواج بمَن توافر لديها واحد أو أكثر من هذه الأربع خصال السّابقة، والتي يقف التديّن على رأسها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال النبي صلّى الله عليه وسلم: «تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها ولجَمالها ولدينها، فاظفرْ بذات الدين تربَت يداك»، رواه البخاري ومسلم. كما أوصى النبي بالموافقة على الشابّ ذي الدّين والخلق في قوله صلّى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم مَن ترضون دينه وخلقه فزوّجوه، إلّا تفعلوه تكنْ فتنة في الأرض وفساد كبير»، رواه الترمذي وغيره.

لقد حضّ النبي- صلّى الله عليه وسلّم- الشباب على الظفر بذوات الدين، ولا يمنع مطلقًا أن يرافقه أي من الصفات الأخرى من جَمال ومال وحسب، وحضّ أولياء أمور الفتياتِ على تزويجهنّ من ذوي الدين حَسَني الخلق.

إتمامُ الزّواج بعد خطوبة مُثقلة بالمشكلات والخلافات والتّجاوزات والإهانات وسوء الفهم:

من المُفترض أن تكون الفترةُ من الخطوبة حتّى الزفاف هي أرْوع وأجْمل وأرقّ أوقات العلاقة بين العروسين، فلا مسئوليات تثقل الكواهل ولا تبعات إعاشة عوائل، ولكنْ جلسات ولقاءات وتفاهمات وتجهيز عشّ الزوجية وتأهيل النفوس لدخول هذا العشّ في مناخ من الاحترام والتقدير المتبادليْن، والشّعور بالراحة مع الطرف الآخر، والشّوق إليه وإلى رؤيته وسماع صوته والاطْمئنان على أخباره والأنس به، وبالنّهاية تترك هذه الفترة في النفوس ذكرياتٍ جميلةً رائعة تظلّ تداعب الذاكرة طوال الحياة.



من فوائدِ فترة الخطوبة أن يتبيّن للعروسين هل كان الاختيارُ (بالنسبة للعريس) والقبول (بالنسبة للعروس) موفّقًا أم لا؟ وهل صارا متلائمين ومنسجمين معًا أم لا؟ وهل بدا منهما حقًّا ما يريح الطّرف الآخر أم كانا يمثّلان أو يتظاهران بما ليس فيهما ليتمّ الزّواج وكفى؟ وهل نسج الودّ ميلًا قلبيًّا وقربًا نفسيًّا بينهما أم هل مزّقت المشاكل والخلافات وسوء التفاهم والتّجاوزات والإهاناتُ الأواصرَ والروابط؟

فإذا صار هناك تلائمٌ وانسجام وقبولٌ وودٌّ وقربٌ بين الخطيبين كان استكمالُ مشوار الزواج هو الأقربَ للصّواب. أمّا إذا تبيّن أنه اختارَ الفتاة غير المناسبة أو هي قبلتْ بالشّاب غير المناسب، أو أظهرت الأيامُ قدر الخداع والتّمويه الذي بدا منهما أو من أحدهما، أو إذا مزّقت المشاكل وسوءُ التفاهم والتجاوزات والإهاناتُ الأواصرَ والروابط، فيجب على الفور عدمُ استكمال مشوار الزواج، لقد أنجزا في فترةٍ ما قبل الزفاف كلّ ما يهدم الزّواج ويدفنه، ولم يبقَ لهما بعد زواجهما من إنجازات إلّا الطلاق النفسي أو الفعلي.

إنّ إتمام مشروع زواج عقب فترةٍ ملتهبة بالمشكلات والخلافات والتّجاوزات والإهانات هو إجهاضٌ لحياة زوجية قبل مولدها، ولفْظٌ لأنفاسها الأخيرة قبل شهقِها، حتى لو كان بين الزوجين حبّ دفيء، فالحبّ لن يقوى على الصّمود، ولن يبقى في ظلّ هذه الأمواج العاتية من المدمّرات.

أمَا وقد تمّ الزواج بعد فترة الخطوبة الملتهبة فصار الأوْلى الحفاظُ على البيت خاصّة بعد إنجاب الصغار بشرط مراجعة متخصّص في العلاقات الزّوجية ليضيء لهما الطريقَ، ويساعدهما على تخطّي المشاكل وتجاوز الخلافات، والعيش ـ على الأقلّ ـ في سلام.



الباب الثّاني

مُنغّصات ذاتُ بعْدٍ اجتماعي

إنّها المنغّصات التي يسبّبها سوءُ التّعاملات الاجتماعية في محيط الأسرة والعائلة سواءً كانت زوجية (بين الزوجين)، أو والديّة (بين الزوجين من ناحية وبين أبنائهما من ناحية أخرى) أو عائلية (بين الزوجين من جهة وبين أهليهما من جهة أخرى)، ومن أهمّها ما يلي:

١- عدمُ مراعاة المشاعر

في البيت مراعاةُ المشاعر أوْلى من تحرّي المنطق، إنّ هذا هو القانون الأوّل والأهمّ والأصلح للتعامل بين أفراد العائلة الواحدة أو الأسرة الواحدة أو بين الزوجين، أمّا خارج البيت فمراعاةُ المنطق أوْلى من مراعاة المشاعر.

خطابُ المشاعر لداخل البيت، خطابُ المنطق لخارج البيت.

عند الشّقاق والخلاف يستبدّ شعورُ كلّ من الزوجين بأنّه على الحقّ، وأنّه المظلوم، وأنّه المجني عليه، وأنّ الآخرَ على الباطل، وهو الظّالم الجاني، وتنسى المشاعر الإيجابية، وتتفجّر المشاعر السلبية، فتتفاقم الأمور.

ولذا حين وجودُ شقاقٍ وخلاف يجب أن يبادر أقلُّ الزّوجين شعورًا بالاحتقان بالتّخفيف عن شريكه ذي المشاعر الأشدّ احتقانًا، بغضّ النّظر

عن مَن هو الظّالم ومَن هو المظلوم، ومَن الجاني ومَن المجني عليه، يبادر أقلّهما احتقانًا (حتّى لو كان هو المظلومَ والمجني عليه) بالاستسلام والخضوع والاعتذار وخفض الجناح بالكلمة واللّمسة والقبلة والاحتضان (في حال الزّوج غالبًا) أو بالابتعاد والتجنّب (في حال الزوجة غالبًا)، حتى تهدأ الأمور.

وذلك أصعبُ وأصحّ ما يُفعل...

أصعبُ لأنّ الزوج المبادر في حالةٍ نفسية ملتهبة يشقّ عليه أثناءها أن يتكلّم برفق، ويلمس بحنان، ويقبّل بحرارة، ويحتضن بدفء، إنّه حينئذ يؤثرُ الابتعاد عنها.

أصعبُ لأنّ الزوجةَ المبادرة عسيرٌ عليها أن تترك زوجها ليهدأ وحدَه، فهي تميل أنْ يسوس نفسها ويهدئ منها ويصالحها.

وأصحّ لأنّه لا حلّ آخر يزيل الألم فورًا، ويعيد الهدوء إلى الحياة الزوجية سواه، ولا حلّ آخر؛ فالبديل مرير.

هو يختارُ الابتعاد، وهي تفضّل الاقتراب

– هي منه غضْبى فعليه مراعاةُ مشاعرها الملتهبة، والعمل على تهدئتها، و»الطبطبة« عليها، وليس بسرد الوقائع واسترجاع الأحداث، ومنافحتها للدّفاع عن نفسه أو لإثبات أنّها على الباطل، وأنّها ظالمة وجانية.

– هو يشعرُ بالتّعب والنّصب والإجهاد بعد عودته من العمل، فعليها مراعاة مشاعره والعمل على إراحته، فليس هذا وقتَ الشكوى وتقديم الطلبات.

– هي لا تريد الذّهاب لزيارة أخته أو زوجة أخيه لأنّ العلاقة بينهما ليست على ما يرام، فيجب أن يحترم زوجها مشاعرَها، ولا يزجّ بها إلى زيارةِ مَن ليست معهم على وفاقٍ ووئام رغمًا عنها في كلّ حين وعند كلّ مناسبة.

إنّ مشاعر شريك الحياة يجب أن تُراعى قبل مشاعر أيّ شخص آخر، لأنّه أهمّ من أيّ شخص آخر.

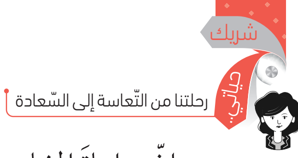
ولكن..

يجب أن تكون مراعاةُ المشاعر متبادَلَة، وتسير في كلا الاتّجاهين، مِن وإلى شريك الحياة، فليس من واجب أحد الزّوجين المداومة على مراعاة مشاعر الآخر عند كلّ خلاف وفي كلّ نزاع طوال العمر، بينما الآخر في انتظار تلقّي مراعاة مشاعره دومًا، فسيأتي الوقت الذي ينفد فيه العطاءُ وتتوقّف عنده حركة مراعاة المشاعر التي تتمّ في اتّجاه واحدٍ من الطرف المانح إلى الطرف الكالح.

والعجيبُ في العلاقات الزوجية أنّ الحديث المُفْعم بالمشاعر ينال تصديقًا أكثرَ من الحديث المنطقي، ينال تصديقًا حتى لو كان بعيدًا عن الحقيقة والمنطق، ينال تصديقًا لأنه يتناغم ويتناعم مع ما تهوى النفس وتتوق.

فالزّوج الشّيخ الذي بلغ من العمر قرابة السّتين عامًا حينما يقول لزوجته العجوز التي تخطّت نصف قرنٍ من الزمان: «أنتِ أجمل واحدة في الدنيا»، سيدخل ـ بالقطع ـ إلى قلبها السّعادة والبهجة، وهل حقًّا هي أجملُ واحدة في الدنيا؟، بالطبع لا، فهي بالمشاعر والأحاسيس قد تكون في عينه الأجْمل، ولكنْ بالحقيقة والمنطق هي ليست كذلك أبدًا، فأيّ راحة تلك التي يبعثها حديثُ المشاعر بين الزوجين حتّى لو خالف الحقيقة والمنطق، وأيّ ضيق ذلك الذي يسببه الحديث بالحقيقة والمنطق حتى لو كان هو الأوقع.

إنّها تصدّق حديثَ المشاعر حتى لو كان كاذبًا
وتتألّم من حديث المنْطق حتّى لو كان صادقًا



إنّ مراعاةَ المشاعر لا تعني كِتمانها، مراعاةُ المشاعر تعني التّعبير عنها سواءً كانت إيجابيّة أو سلبية بأسلوبٍ راقٍ، وفي وقتٍ مناسب، وبالجرعة المناسبة.

والمرأةُ تجيد كتمانَ المشاعرِ السّلبية، وقد تظهر عكسها حرصًا على مشاعر زوجها ومَن تحبّهم. كما قد تكتم ما يؤلمها أثر تهديدِ زوجها لها بتوقيع عقاب ما عليها ـ كطلاقِها منه ـ إذا هي أخبرت أحدًا بمشاكلها، وهذا حمقٌ منه ولًا شكّ، فهذا الكتمانُ سواء جاء برغبتها أو رغمًا عنها يضرّها أبلغَ ضرر، ويزيد من قسوة ما تعانيه.

أمّا الرّجل فيجيد كتمان مشاعره الإيجابية، ولا يتأخّر عن إظهار مشاعره السّلبية، الأمر الذي يؤذي زوجته كثيرًا، فيتضافرُ أمر كتمان المرأة لمشاعرِها السّلبية مع إظهار الرّجل لمشاعره السلبية في إيلام الزوجة والإيقاع بها في مستنقع الهموم.

المصارحةُ بالمشاعر سواءً الإيجابيةُ أو السّلبيةُ يجب أن تتمّ بطريقةٍ رقيقةٍ رفيقةٍ تليقُ بزوجين كريمين مُحبّين.

ولكنْ بين الزوجين أجازتِ الشّريعةُ الإسلامية إخفاءَ بعض المشاعر السّلبية الخاصّة بالعواطف ـ كالكره مثلًا ـ حفاظًا على سلامة العلاقة الزوجية طالما أنّ الزوجين سيعيشان معًا. إنّ ذلك صنفٌ من بين ثلاثة أصناف من الكذب أباحها الشرع الحنيف وهم: الكذب على الأعداء حتّى تصان البلاد، والكذب للإصلاح بين الناس لتستمرّ جودة الصلات الإنسانية، والكذب في العواطف بين الزوجين ليؤدَمَ بينهما، يا لها من شريعةٍ



رائعة، أطلقت مخزونَ الكذب لدى الإنسان في اتجاهه الصائب الصّحيح لتحقيق منافع قد لا تُجبى إلّا به.

٢- الغموض

تمضي الحياةُ بين الزوجين ما شاء الله لها أنْ تمضي، وكلاهما يعتقد أنّه يفهم الآخر فهمًا دقيقًا، ثمّ يكتشف أحدهما ـ أو كلاهما ـ أنّ شريكه يقول ويفعل ما ليسَ له تبرير ولا تفسير مُقنع أو على غير ما هو مُنتظر منه، وأنّه لا يكاد يعرف عن شريك حياته كثيرًا، ولا يكاد يفهمه إلّا يسيرًا، ولا يستطيع قراءة أفكاره إلّا فتاتًا، فصار هذا الشريك بالنسبة إليه غامضًا مبهمًا.

في بعض الأحيان يخيّم الغموض بين الزوجين منذ بدْء حياتهما الزّوجية كعروسين، وربما أيضًا يزحف الغموض بين الزّوجين بالتّدريج حتّى يبدو جليًّا في مراحل متقدّمة من الزواج.

إنّ الغموض آفةُ الآفات التي تُبيد التفاهم والانسجام، وتئدُ الودّ والوئام، وتصيبُ الحوار الزوجي في مقتل، وهو وحده كفيلٌ بتعكير الحياة الزوجية وتدميرها وإنهائها، ورغم أنّه ألدّ أعداء الحياة الزوجية وأكثرها شراسة وأشدّها عصفًا بها، فكثيرٌ من الناس لا يدرك وجوده.

ومن الأسباب القويّة التي تؤدي إلى الغموض ما يلي:

١- سوءُ فهْم نفسية الجنس الآخر، والجهل بشخصية وطبيعة شريك الحياة، وغلبة سوء الظّن، وفساد الحوار الزوجي أو نُدْرته، فأنّى للإنسان أن يفهم مقاصدَ شريك حياته وهو لا يصدّقه، ويسيء الظنّ به، أو لا يحادثه ويخبره بصراحة وبكلّ وضوح وبطريقة مناسبة وبأسلوبٍ لائق عمّا يرغب ويرفض، وعمّا يحبّ ويبغض...، إلخ.

٢- الاعتقادُ بإجادة قراءة أفكار شريك الحياة، الأمرُ الذي يمنع «قارئ الأفكار» من طلبِ تفسير ما يقوله ويفعله شريك حياته، فليس هناك حاجة لسؤاله، فكيف بماهر في قرأة الأفكار أن يسأل!!، ثمّ إذا تقدّم شريك الحياة بتفسير لأقواله وتعليلٍ لأفعاله فلن يُصدّق له تفسير ولا تعليل، وسيتمّ رفضه وتكذيبه لأنّ هذا التفسير وذاك التأويل على غير ما تمّت قراءته.

إنّ مَن يفعل ذلك يوصدُ بيديه أبوابَ التّواصل البنّاء، ويغلق سبلَ التّوصل إلى جذور أية مشكلة، بل وستستَحْدث مشاكلُ أخرى جديدة، فتزيد الهوّة بين الزوجين اتساعًا.

لماذا ما يقوله الإنسان يكون بالنّسبة لشريك حياته غيرَ مفهوم وغيرَ منطقي وغيرَ مقبول؟

ببساطة..

لأنّ ما يرسل هو عقلُ الرجل حينما يتكلّم أو يفعل، وما يستقبل هو عقلُ المرأة، أو أنّ ما يرسل هو عقل المرأة حينما تتكلّم أو تفعل، وما يستقبل هو عقلُ الرجل، ولأنّ عقل الرجل يختلف تمامًا عن عقل المرأة، فما يرسله الرجل تفهمه المرأة على غير مراده، وما ترسله المرأة يفهمُه الرجل على غير مرادها.

قد تسأل الزوجةُ زوجها ليعطيها تفسيراتِ وتأويلاتِ ما يقول وما يفعل، وربّما أجاب عليها بإسهاب أو اقتضاب، وربما أيضًا لا يجيب، فإذا أجاب تتركُ عقلَها الأنثوي تجولً فيه وتصول تفسيراتُ وتأويلات أقواله، وهذا خطأ فادحٌ منها بالتالي لن تصدّق إجاباته، وهذا خطأ آخرُ فادح منها، وإذا لم يجب ـ وهذا خطأ منه جسيم ـ تضرّرت وتضايقت، وتركت أيضًا لعقلها الأنْثويّ تفسيرَ وتبرير ما يخرج من عقله الذكوري.



والنتيجة،

تفسيرٌ خرجَ عن القصد، وتبريرٌ حادَ عن الحق، ممّا يؤدّي مع الوقت إلى سوء التّفاهم الذي يعقبه حيود ردود الأفعال عن الطّريق الصائب، ويصير شريكُ الحياة أكثرَ غموضًا مع توالي الأيام، فتأخذ العلاقةُ الزّوجية طريقها إلى التدهور والتردّي.

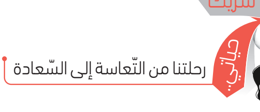
..عجيبٌ أمرها،

إذا أجاب لا تصدّق وتغضب، وإذا لم يجبْ فسّرت صمتَه بما يغضب، وفي كلتا الحالتين أصابها الضيق والغضب.

- هو يمسك عليها في الإنفاق فتظنّ أنه بخيل. من المُمكن أن يكون تقتيرُه عليها في الإنفاق نوعًا من تجنّب إسرافها في النّفقات، أو أنّ ظروفه المادية متعثّرة بالفعل وهي لا تعلم، أو أنّ إقدامه على مشروع جديد يستلزم تكوين رأس مال فاضطرّ إلى ضغط الإنفاق، أو أنّه يحاول سداد ديْنٍ عليه وهي لا تعلمه....، إلخ، وليس كما تعتقد أنّه بخيل.

- هو مُقلّ في زياراته العائلية، خاصّة لأختها وزوجها، فتعتقد سببَ ذلك أنّه يشعر أنّ زوج أختها أفضل منه. قد يكون سببُ عدم رغبته في الذّهاب معها لأختها هو ما صنعتْه أختها معه حينما كان خطيبَها من نبذٍ وازدراء واستهانة، وليس عدم انسجامه مع زوج أختها أو شعوره بالدّونية وهو بجواره.

٣- إخفاءُ الحقائق والتّظاهرُ بغيرها، فصار ما هو حقيقيّ مسكوتًا عنه، وما هو زائفٌ يتمّ ذكره، وسيبدد شريك الحياة طاقةً ضخمة من أجل حلّ مشكلة لا يعرفها، أو حتّى لا وجود لها، ولن يعرف أو يتعرّف على المشكلة



الحقيقية التي ستتوارى خلفَ الكثير من الموضوعات السّطحية التافهة التي لا تمتّ إلى المشكلة الأساسية بصلة.

– عندما لا تستريح الزوجةُ أثناء المعاشرة الجنسية ولا تصلُ مع زوجها إلى ذروة المتعة الجنسية المنشودة كثيرًا ما تتعمّد إهانته والتّقليل من شأنه، وتتذمّر من أيّ شيء يبْدُر منه، وعلى أيّ شيء يقوم به، وقد تستكثرُ عليه الابتسامة والشعور بالسّعادة، وتنظرُ إليه بعين الغضب عند كلّ أمر، وتقابل بالرّفض كلّ اقتراح، وتبادر بالقسوة عند كلّ موقف، وتسقيه المراراتِ أمام أهله وأصدقائه، وتتلفّظ بأقوال تظهر عدمَ امتلائها منه كرجل، فتقول له بلهجةٍ قاسيةِ الوقع: «هو انتَ راجل انتَ؟»، «لو كنت راجل كنت فعلت كذا وكذا»، «لمّا تبقى راجل تبقى تتكلّم». إنّها تختلق عددًا من المشاكل الجانبية الثانوية التّافهة الكثيرة التي لا صلةَ بينها وبين المشكلة الرئيسية، فتغضبُ منه غضبًا جامحًا لأنّه ألقى بجواربه على الأرض ولم يضعها مع الملابس المعدّة للغسيل، أو تركَ كوبَ الشّاي الفارغ على مكتبه ولم يذهب به إلى المطبخ، أو ترك باب خزانة الملابس مفتوحًا ولم يغلقه، أو لأنّه تحدّث مع الطفلِ بطريقة اعتبرتْها هي جافّة، أو...، أو.....، فرقدت المشكلة الحقيقية ـ وهي سوءُ المعاشرة الجنسية ـ أسفلَ ركاماتٍ من المشكلات الصغيرة الزائفة.

أمّا زوجها فستأكله الحيرةُ والضيق، ولا يجد أيّ مبرّر معقول أو مقبول لتدفّق انتقادات زوجته المتدافعة القاسية عليه، ولكنّه كثيرًا ما يأخذ هذه الانتقادات مأخذَ الجدّ، فما أنْ يشرع في وضعها محلّ الاهتمام ويحاول حلّها أو تجنّبها إلّا ويجد أنّها قد استحدثتِ انتقادات جديدة، وبزغتْ مشكلاتٌ أخرى، إنّه لا يدري المشكلة الأساسية، وسيستمرّ توالي المشكلات الزائفة تترا، وسيتواصل مسلسلُ إتلاف الحياة الزّوجية في الصعود.

وذات الوضْع بالنسبة للرجل الذي يرى مِن زوجته ما يغضبه فيصمتُ، المرّةَ تلْو الأخرى، ولا يعقب التعقيب المناسب لقدْر الموقف ولقيمة زوجته كشريكة حياة، ثمّ ينفجرُ غاضبًا على أتفه سببٍ بعدما امتلأ صدرُه بما يراه سلبيًّا من زوجته.

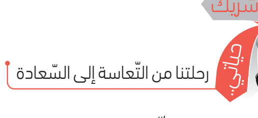
٤- قولُ شيء والمقصود شيء آخر، فما يقال لا يعبّر عن الحقيقة.

– هي غضْبى منْه وهو لا يعلم، فلمّا بدا على وجهها الغضب سألها: ما بك؟، فتردّ قائلة: لا شيء، فيكرّر عليها نفس السّؤال، وتكرّر هي ذات الإجابة، فيتركها وينصرف لأنّه اطمأنّ أنّه «لا شيء»، وحينما يتركها وينصرف تزداد نيرانها استعارًا وغضبها اشتعالًا وهو لا يعلم، إنّها تقول «لا شيء»، ولكنّ الحقيقة أنّ هناك «أشياء» فلماذا تفعل المرأة ذلك بزوجها؟

إنّها تريد منه أنْ يستنبط ما الذي يغضبها دون أن تفصحَ له، أو تريد منه المزيدَ والمزيد من التهدئة و»الطبطبة»، أو بلغ منها الضّيق مبلغَه لدرجة أنه أفقدها القدرةَ على التحدّث معه، فذكرت غير الحقيقة.

إنّه خداع يجعل الرجلَ في حيْرة من أمرها، ممّا قد يدفعه لأنْ يتركها وينصرف فيزدادُ الأمر سوءًا، أو يجهد في استدراجها لتقول لماذا هي غضْبى؟ وهي توغلُ في التّمويه والسكوت، فيضيق صدرُه، وينفد صبره، وينطلق لسانُه بما يضرّ ولا ينفع، فيزداد الوضع توترًا واضطرابًا.

٥- الخشيةُ من أن تتسبّب المصارحة بحقيقة المشاعر السّلبية في جرح مشاعر شريك الحياة، فتزداد بعض الأمور سوءًا، وهذا الأمر تعمَدُ إليه أغلبُ النساء، كتمان ما يؤلمها حتّى لا تؤلم غيرها، فتزداد آلامها لتريح الآخرين.



إنّ طبيعة المرأة وما فيها من عواطف فيّاضة قد تمنعها من المصارحة لأنّها ترى المصارحة جفافًا وخشونة وتجريحًا وعدمَ مراعاة للمشاعر والأحاسيس، وكأنّ عندها الصّراحةَ هي الوقاحة، إنّها تدّعي التعب كاعتذار عن عدم رغبتها في زيارة أختِ زوجها حتّى لا تذكرِ السّبب الحقيقي وهو كرهُها لأخته، والذي ترى أنّه قد يجرح زوجها، أو تكتم في صدرها أمرًا ضايقها حتّى لا تسبّب حزنًا لأحدٍ إن أباحت به، وكلّ هذا ضدّ المصارحة المطلوبة التي بها يفهم زوجها مشاعرها ورغباتها.

وإنّ طبيعة الرجل المصارحة، والتي في الغالب تتمّ بكلمات جافّة وعبارات خشنة، وهذه ليست المصارحة المطلوبة التي بها تستجيب المرأة، إنّما تستجيب الزّوجة بالمصارحة اللّطيفة الهيّنة الليّنة التي تحترم أنوثتها ورقتها.

٦- الشّعورُ بأنّ المطلوب مِن شريك الحياة أمرٌ بديهي لا يحتاج إلى طلب أو تذكرة، ولكن هذا المطلوب قد يعدّ بديهيًّا عند أحد الزوجين، ولكنّه ليس بذات الدرجة عند الطرف الآخر.

- هو يعتقد أنّ معرفتها برغبته الآن في أن تقومَ بأمرٍ ما كترتيب حجرته أو إعداد كوب من الشاي أو استقبال أهله بما هُم أهله شيء بديهيّ يجب أن تعرفه من تِلقاءٍ نفسها دون أن يخبرها بما يجب عليها عمله.

- هي تعتقد أنّه تذكّره المناسبات الاجتماعية كيوم مولدها أو يوم زواجهما أمرٌ بديهي ينبغي أن يدركه وحده دون الحاجة لتذكّره بها.

والحقيقةُ الغائبة عن الجنسين أن..

ما هو بديهيّ عنده ليس ببديهيّ عندها، وما هو بديهيّ عندها ليس ببديهيّ عنده



إذًا، ما الحلّ لإزالة الغموض القاتل للحياة الزوجية؟

إنّه، «المصارحة ـ التصديق»..

مصارحةُ كلّ زوج لشريك حياته بما يرغب ويرفض، وبما يحبّ ويكره، وبما يفضّل ويزهد، وبما يريحه ويغضبه، في عباراتٍ مناسبة لائقة، وكلمات واضحة راقية، لا لبْسَ فيها ولا توْرية، ولا تجريح فيها ولا تسفيه، مع اختيار الوقت المناسب والجَرْعة المناسبة والأسلوب المناسب الذي يظلّله الاحترام والتقدير.

ويعقبُ هذه المصارحة تصديقُ الطرف الآخر على كلّ ما قيل، تصديقًا لا يحتاج توضيحًا ولا تأويلًا، تصديقًا حتى ولو لم يستوعبِ العقلُ ما يقال وما يفعل؛ لأنّ بديل التصديق مرير، بديل التصديق تكذيب وتشكيك وتخوين وظنون سيئة.

إنّ أسلوب «المصارحة والتصديق» هو الطريقةُ المثلى لاستجلاء حقيقةِ معنى الكلمات التي تقال، ومعرفة جوهر المشاعر التي تظهر، وإدراك ما ترمي إليه التّصرفات التي تبدو، فتنجلي الأمور ويحدثُ التفاهم وينقشع الغموض المدمّر للحياة الزوجية.

> **لن يكون بيْن الزوجين أيّ غموض إذا كانت هناك مصارحةٌ لا يشوبها أدْنى زيف، وتصديقٌ لا يداخِله أدنى شك.**

وبذا يعفي الإنسانُ شريكَ حياته من اللّجوء إلى التخمين وقراءة الأفكار وتحليل النفس واستخدام المواربة والتورية والتّعريض والتشبيه



والمداراة والكذب والخداع وإعمال الفكْر والذهن، إنّ المصارحة التي يعقبها التّصديق هي الحلّ الأصوب والأوْقع والأفْضل والأسْلم للحوار الزوجي بشكل خاصّ، وللحياة الزوجية بوجه عام.

٣- سوءُ العلاقة الجنسية

العلاقةُ الجنسية هي أهمّ ما يفرق بين العلاقة الزّوجية وبين كافّة العلاقات الإنسانية الأخرى، وهي ـ حين نجاحها ـ تشعر الزوجةَ بلذّة الارتواء الجنسي، والزّوج بلذّة تفريغ الشّهوة الجنسية، وما يتبع ذلك من إعفافٍ وسعادة وارتياح واستقرار، ومزيدٍ من القرب والحبّ، وغيرها من المشاعر التي تسمو بالعلاقة الزوجية كلّها إلى مستوى راق.

ليس هناك قالبٌ ثابت، ولا تصوّر واحد فقط لحياةٍ جنسية سعيدة تصلح لكلّ البشر، ولكنّ الرضا والإعفاف وإنجاب الذّرية هو غايةُ هذه الحياة، فالمعاشرة الجنسية الجيدة بين الزّوجين تتحقّق بأساليب مختلفة وبطرق عديدة، وأنّ كلّ أمر فيها مباحٌ إلّا زمان ومكان، زمان هو أوقات الحيض والنّفاس ونهار شهر رمضان المبارك، ومكان هو دُبر المرأة، وما سوى ذلك فهو جائز.

إنّ شعورَ المرأة بالتّواصل العاطفي الرومانسي يعدّ أرضية ضرورية لممارسة زوجها العلاقة الجنسية معها، ولكنّ المرأةَ بطبعها الغالب لا تميل إلى أنْ ينتهي كلّ تواصل عاطفي رومانسيّ بممارسة جنسية، فكثيرًا ما تتساءل الزّوجة: لماذا ينبغي أن تؤدّي أيّ قُبلة من زوجها إلى تطوّر الأمر حتى تتمّ الممارسة الجنسية؟

ولذلك يجب أنْ يدرك الرجل أنّ تركيزه على أداء بعض الرّومانسيات من تدليلٍ وتقْبيل وتلامس وتقارب ـ وليس على ممارسة الجنس فقط ـ يجعل

زوجتَه تستمتع كثيرًا بوجودها معه، كما أنّ قضاء وقتٍ رومانسي للزّوجين معًا خارج غرفة النوم يمكنه أن يسهّل كثيرًا الحصول على وقت حميم دفيء داخلها.

ولعُمق أثر الرّومانسية في حياة النساء كانت عند العديد منهنّ تعويضًا جيدًا وكافيًا عن المعاشرة الجنسية وضيعة الجودة.

إنّ الزوجة- كأنثى- تحبّ أن تكون مَرْغوبة، تحبّ أن يبادر زوجها بطلبها للفراش، ويُبدي رغبته فيها، وربما بنوع من الإلْحاح اللطيف، كما قيل قديمًا، «يتمنّعنَ وهنّ الراغبات». كما أنّ الزوجة التي تستجيب بسهولة ويُسْر لرغبة زوجها لمضاجعتها بل وتبادر بطلبِ إقامة العلاقة الجنسية معه تكنْ أكثرَ جاذبية في عينه وأشدّ قربًا من قلبه من تلك التي تمتنعُ كثيرًا ولا تطلب المعاشرة الجنسية إلّا نادرًا.

ومِن طبيعة الممارسة الجنسية الجيدة أنّها موفّقة في أوقاتٍ وغيرُ موفقة في أخرى، فمن المستحيل أن يتوافق ويتناغم أداء الزّوجين الجنسي طوال الوقت خلال حياتهما الزوجية المديدة.

يعتبر التوتّر والقلق بالإضافة إلى سوء النّظام الغذائي وإدمان ممارسة العادة السرية ومشاهدة الإباحيّات وعدم الاستقرار المهَني ووجود ضوائقَ مالية شبه مزمنة واستشراء الفوضى في سائر أنشطةِ الحياة وكثرة ما يشتعلُ بين الزّوجين من مشاكل وصراعات وخلافات ومنازعات ومشاجرات ومصادمات وعدم الاحترام وضعف الثقة وكثرة الشّكوك والإهمال والإهانة والازْدراء والتّجاهل والغضب والعصبية الزّائدة وكثرة الأعباء وقسوةِ الحياة؛ تصبح العلاقة الجنسية روتينية عادية لا تعرف روْعةً، ولا يعرفها إشباع، ثمّ لا تلبث أنْ تضمحلّ وتتضاءل وتهمّش وتنحسر رويدًا رويدًا، حتّى أنها قد تنزوي وتتلاشى.

وعلى النّقيض من ذلك قد يفجّر تهميشُ العلاقة الجنسية أو سوءُ أدائها الكميّ/ أو الكيفي؛ الخلافاتِ والمشاكلَ والتوترات والمشاحنات والمُصادمات الكثيرة العدد، التّافهة السبب، والتي تكون على أيّ شيء، ومن أيّ شيء، ولأجل أيّ شيء. ويعدّ توالدُ هذا الصّنف من المشاكل والتّوترات والمشاحنات والمصادمات الكثيرة التافهة بمثابة إشارةٍ قويّة يصدرها أشدّ الزوجين تضرّرًا مِن تهميش شريك حياته لإقامةِ علاقة جنسيّة مريحة ومُشْبعة معه كمًّا/ أو كيفًا، إنّ أشدّ الزوجين تضرّرًا من سوء العلاقة الجنسية هو الذي يقدم على إثارة هذا الصّنف من الخلافات والمشاكل والتوترات والمشاحنات والمصادمات، الكثيرة العدد التافهة السبب.

سوء العلاقة الزوجية يؤدّي إلى سوء العلاقة الجنسية
أو أن
سوء العلاقة الجنسية يؤدّي إلى سوء العلاقة الزوجية

يغلبُ على النّساء الشعورُ بالشّطر الأوّل من الفقرة السابقة، وهو:

سوءُ العلاقة الزوجية يؤدّي إلى سوء العلاقة الجنسية

ويغلبُ على الرّجال اتّباع الشطر الثاني، وهو:

سوءُ العلاقة الجنسية يؤدّي إلى سوء العلاقة الزوجية

إنّها تقبل علي العلاقة الجنسية حينما تكون مستريحة نفسيًّا وبدنيًّا، وهي تعزف عنها إذا حاقت بحياتها المشاكل وملأتها المواجعُ، واعتصرتها الخلافات، وأكلتها الإهانات، أو إذا شعرتِ المرأة تجاهَ زوْجها بالكره والبغض، ولذلك حينما تسوء العلاقةُ الجنسية بين الزّوجين يجب مراجعةُ

مفردات الحياة الزوجية برُمّتها، ومناقشة كلّ مشاكلها وخلافاتها، وليس فقط أمر سوءِ العلاقة الجنسية في ذاتها، فكلّ ما هو سلبيّ خارج غرفة النوم يؤثّر سلبًا- وبشكل كبير- على ما يحدث داخلها.

وهو حينما ينالُ علاقة جنسية جيدة يصبح مستريحًا بدنيًّا ونفسيًّا، وهو لا يعزف ـ عادة ـ عنها بسهولة، حتّى إذا كان متوتّرًا أو غاضبًا.

ولذا، كان الانقطاعُ عن ممارسة العلاقة الجنسية بين الزوجين لفترةٍ طويلة انتظارًا لتحسّن العلاقة الزوجية وانتهاء المشاكل والخلافات والتوترات والمصادمات كما تميل لذلك المرأة؛ إنما هو تأصيلٌ للمشاكل الزوجية، وتجذيرٌ لها بالنسبة للرجل.

احرصْ على أن تُريحها نفسيًا لتُقبل عليك جنسيًا،
واحْرصي على أنْ تُريحيه جنسيًا ليُقبل عليك نفسيًا.

قد تكون الرغبةُ الجنسية مختلفةً بين الزوجين، فأحدُهما ذو رغبةٍ جنسيّة قويّة ـ وعادة ما يكون الرجل ـ والآخر ذو رغبة جنسية أقلّ قوّة ـ وغالبًا ما تكون المرأة ـ، فيمكن تقليصُ هذه الفجوة بتحسين مستوى المجاملات وزيادة الجرعة الرّومانسية والعاطفية، وتنشيط الرّغبة عند أقلّهما إقبالًا بتدريباتٍ رياضية للأعضاء التناسلية وتدريبات ذهنية لزيادة التركيز وباستخدام العقاقير، وكلّ ذلك يتمّ تحت إشراف متخصّصين. وإذا استمرّت الفجوة في الرغبة الجنسية بين الزوجين فيتحتّم تقبّل أوجه الاختلاف فيما يتعلّق بممارسة العلاقة الحميمة من الناحية العاطفية، وتقبّل الرجل رغبة زوجته في هذه الحالة لا يعني ألّا يطلب منها ممارسة العلاقة الحميمة بين الحين والأخر؛

بل يعني ألّا يحاصرها لو لم يتحقّق له ما يريد. ولكنْ لكي تتقبّل المرأة فى هذه الحالة رغباتِ زوجها فهي في حاجةٍ للإذعان لرغبته بين الحين والآخر أيضًا، وكذلك الحال بالنسبة للرجل مع زوجته أيضًا.

وإنّه لا بأس أنْ يشعر المرء بقلّة الرّغبة فى ممارسة العلاقة الجنسية، ولكنّ البأس في الامتناع عن ممارستها امتناعًا يضرّ بشريك الحياة، كما أنّ الرّغبة الجنسية المُفرطة شديدة الإلحاح كثيرةَ الطلب التي ترقى لتكون عدائيّة لأحد الزوجين قد تقتل ـ مع الوقت ـ الرّغبةَ الجنسية للطرف الآخر، وتؤدّي إلى تقزّزه واشمئزازه ونفوره وابتعاده.

إنّ مِن أكثر ما يؤلم الإنسانَ شعورُه برفض شريك حياته لحقّه في ممارسة العلاقة الجنسية معه. إنّ هذا الرفض يُشعر المرفوضَ أنّه غير مرغوب فيه، وأنّه حيواني، وأنّه أناني، وأنّه مُهان، وأنّه مخطئ إنْ طالب بها، وأنّه يشعر بانكسار وإحباط، وأنّه..، وأنّه..؛ وكلّها مشاعر ضارّة أيّما ضرر بالعلاقه الزوجية، فإلى مَن يتّجه لينال حاجته الجنسية التي تلحّ عليه؟

ومِن النّساء مَن إذا آنسَتْ مِن زوجها رغبة فِي جماعها وهي لا ترغب في ذلك أظهرت التأوّه والإعياء والتشاغل لينصرفَ عنها، ومِن الرجال مَن يفتعل مشكلة أو يثير أزمةً ليفلت من جِماع لا يرغبه، إنّ كلّ ذلك وما هو على شاكلته مكرٌ وخبثٌ وعدوان لئيمٌ على الآخر، وعلى رغبة الآخر، وعلى احتياج الآخر، وعلى حقّ الآخر.

يؤذي الهجرُ الجنسي النّفسَ ويُميت العاطفة، وقد يوقع الإنسانَ فى الزّلل، قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾: أي الذين يمتنعون عن معاشرةِ زوجاتهم أربعةَ أشهر يقوم ولاةُ الأمر بنصحهم وأمرهم بالرجوع عن ذلك فإنْ رجعوا تركوهم، وإنْ امتنعوا فرّقوا بينهم.

وهذا أميرُ المؤمنين، الفاروق، «عمر بن الخطاب»- رضي الله عنه- يدرك ذلك تمامَ الإدراك، فبينما كان يحرس المدينة ذاتَ ليلة مرّ ببيتٍ فسمعَ امرأةً بداخله تقول:

تَطاولَ هذا الليلُ واسْودّ جانبُه وطـالَ عليّ أنْ لا خليل ألاعبُه

والله لوْلا خـشية الله وحــده لحـرّك مِن هذا السّرير جوانبُه

ولكنّ ربي والحــياء يكـفّـني وأكـرمُ بَعْلي أن توطأ مراكبـه

فسألَ عنها «عمر»- رضي الله عنه- فقيل له: هذه فلانة، زوجُها غائب في سبيل الله. فأرسل إليها تكون معه، وبعث إلى زوْجها فأقفله (أرْجَعه)، ثمّ دخل على «حفصة»- رضي الله عنها- فقال: يا بنيّتي، كمْ تصبر المرأةُ على زوجها؟ فقالت: سبحان الله، مثلك يسأل مثلي عن هذا؟!! فقال: لوْلا أنّي أريد النّظر للمسلمين ما سألتُك، فقالت «حفصة» رضي الله عنها: خمسة أشهر، ستّة أشهر، فوقّت «عمر»- رضي الله عنه- للنّاس في مغازيهم ستّة أشهر؛ يسيرون شهرًا، ويقيمون أربعة أشهر، ويسيرون عائدين شهرًا.

مِن اللافت للنّظر أنّ العلاقة الجنسية بين الزوجين في ذاتها سبيلٌ ناجح، ودواءٌ فاعل لإنهاء العديد من الخلافات الزوجية بالنّسبة للرجل، فكمْ من توتّر كان بين زوجين انتهى على الفراش وكأنّ شيئًا لم يكن، فالصّلح عنده قد يبدأ بالمعاشرة الجنسية.

ولكنّ الأمر عند المرأة جدّ مُختلف، فالمعاشرة الجنسية عندها تعدّ تتويجًا لمحاولات الصّلح الناجحة التي أعادت المياه إلى مجاريها، فالصلحُ عندها هامّ للغاية قبل المعاشرة الجنسية.

ومِن هذا الاختلاف في موْقع العلاقة الجنسية قبْلَ أو بعْد الصّلح بالنسبة

للرجل والمرأة كان تعجّب الزوجة واستغرابها حينما ينشب خلافٌ مرير بينها وبين زوجها ثمّ بعد قليلٍ يطلبها للفراش، إنّها تتساءل، كيف ونحنُ على خلاف يطلب منّي إقامة علاقةٍ جنسية، ويريد منّي أن أستجيب له!!؟

> **المعاشرةُ الجنسيةُ ـ بالنسبةِ للرّجل ـ هي أداةٌ لبدْء الصّلح بين الزوجين،**
> **وأداةٌ ـ بالنّسبةِ للمرأة ـ لنهايةِ رحلةِ الصّلح بين الزوجين.**

ومِن هنا كانت المبادرةُ ـ في الأصل ـ على عاتق الرّجل، فعليه التودّد والتغافر والتّصالح ومداواة الجراح التي سببها لها، فتلينُ وتستكين وتقبلُ حينئذ على المعاشرة الجنسية وهي راضية فتستريح وتُريح، وعلى الزّوجة أن تعلم مقدار أثر العلاقة الجنسية في زوجها ليتصالحَ معها، فلا تضيع فرصَ الصّلح بالامتناع عنه حينما يطلبها حتّى ولو كانا على خلاف.

إنّ حوار الزوجين بشأن العلاقة الجنسية وتفاصيلها سيزيدُ من ثراء حياتهما الجنسية، ويضيف إليها الجديدَ والتجديد. وتزدادُ الحاجة لمثلِ هذا الحوار إنْ كانت الممارسة الجنسية رديئةَ الجودة كمًّا/ أو كيفًا لأحد الزوجيِن أو كلاهما، فيجب حينئذ أن يتمّ الحوار حولها بكلّ صراحة ووضوح، وبمنتهى الودّ والتفهّم للآخر، ودونَ إلقاء الاتّهامات ومسئولية التقصير فيها أو العجز عنها على أحد الزوجين، أو اختلاق الأعذار المتلاحقة، وربّما السخيفة، التي لا تنتهي. إنّ الحديث بهذا الشكل سيبعث على الاطمئنان، وكفيلٌ بأنْ يكون مقدّمة لممارسة جنسية ناجحة ترضي الطرفين.

إذا عانى أحدُ الزّوجين من سوء العلاقة الجنسية بينما الآخر بها راضٍ؛ فتلك ليست مشكلة المتضرّر وفقط، بل هي مشكلة الاثنين معًا، المتنعّم بها والمتضرّر منها، إنّ مشكلة أحد الزوجين في الجماع هي مشكلة الاثنين، ولا تخصّ المتضرّر فقط، فالجِماع عمل مُشترك بين الزّوجين، فلا بدّ وأن يقوم الاثنان بحلّ هذه المشكلة معًا، ثمّ.. هل ستستمرّ هذه العلاقة على تلك الوَتيرة التي تجمع بين متنعّم ومتضرّر إلى الأبد؟ أمْ سيأتي يوم ـ ولا ريب ـ ستنفصم فيه هذه العلاقة الجنسية وتتوقف مُنذرةً بنهاية مأساويّة لحياة زوجية خلتْ من الإعفاف والمتعة؟

في بعض الزّيجات قد لا تكون المعاشرة الجنسية مُشْبعة للزّوجة، وبدلًا من أن تخبرَ زوجها بذلك وتحاوره بشأنها برقّة ورفقٍ لتحسينها وتطويرها تجدها تمثّل أنّها سعيدة وتدّعي رضاها بها وإشباعها لها، إنّ هذا ليس بموضعِ تدْليس وتضليل وخداع، ولا موضع كذبٍ وخجل وانْسحاب، كما أنّه ليس موضعَ مراعاة مشاعر مَن لا يتقن ما يفعل، إنّها لن تصبر هي على لعبِ هذا الدّور الغبي طويلًا، وسيؤدّي ـ إن استمرّ الوضع هكذا ـ إلى نكباتٍ في العلاقة الزوجية بأسرها.

حينما لا يتسبّب الإنسان في إعفافِ شريك حياته فقد يندفع هذا الشّريك لإرواء رغبته الجنسية بطريقةٍ ما من الطرق الحرام، فيزداد بهذا التّجاوز حنقُه على شريك حياته الذي تسبّب في اندفاعه لهذا المسلك الحرام غير السويّ والمناهض لتربيته، المُعاكس لفطرته.

مِن أشهر المشاكل الجنسية للرّجل سرعة وصوله إلى ذروة اللذّة الجنسية في أوّل عملية الإيلاج ممّا يؤدّي إلى سرعة قذف السّائل المنوي قبل أن تصلَ زوجته إلى ذروة لذّة الارتواء بفترةٍ طويلة، كما أنّ ضعفَ

انتصاب العضو الذّكري حين الاستثارة سيتسبّب في عجزه عن الولوج داخل المهْبل أثناء الجِماع.

أمّا أشهرُ المشاكل الجنسية للمرأة هي التقلّص المهبلي حيث تنقبض العضلاتُ التي تحيط بالمهبل بما يغلق فتحة المهْبل ممّا يجعل إيلاج العضو الذّكري أثناء الجِماع مؤلمًا أو مستحيلًا، وجفاف المهْبل حيث لا يتمّ نزول السّوائل من المهْبل والتي تقومُ بتسهيل الإيلاج.

ولا تقتصرُ قائمة المشاكل الجنسية على ما سبق، فهي طويلةٌ ولا مجال لسرْدها في هذا الموضع.

كما أنّه من الضّروري عمل فحص شامل لدى الطّبيب المختصّ للتأكّد من عدم وجود سبب عضوي كأمراضٍ القلب والضّغط والسّكري والتهابات البروستاتا وغيرٍ ذلك، والتي قد تزيد من وطأة المشكلة الجنسية.

ولأهميّة المعاشرة الزوجية المُشبعة لكلٍّ من الزوجين كان من الواجب أن تتمّ معالجة أيّ قصور أو خلل بها فوْر ظهوره دونَ تراخ أو حرج؛ حتّى لا يحرم الإنسانُ نفسَه من أحد أكبر مُتع الدنيا، وحتّى لا تتعرّضَ البيوت للانهيار المريع.

٤- سوءُ الإدارة المالية

تعدّ الضّوائق المالية أحدَ أكبر المشاكل التي تتسبّب في الإضرار باستقرار الحياة الزوجية، خاصّة لو كانت مزمنة ومستمرّة وجاثمةً على الصّدر، ولا يلوح في الأفق القريب أو البعيد انفراجه لها.

وإنّه من الطبيعي جدًّا أن تمرّ بالحياة الزوجية فتراتُ سَعة تتخلّلها فتراتُ ضيق، فالحال لا يمضي طوال الوقت على وتيرةٍ واحدة في هذه الحياة الدنيا أبدًا. وإنّه أيضًا من الطبيعي أنْ يحيق بالزّوجين أيامٌ تتّسم بالعسرة ورقّة

الحال وضيق الرزق نتيجة ظروفٍ قاهرة خارجة عن الإرادة كمرضٍ مُقْعد أو تقلّص فرص العمل، أو ظروف أخرى تخضع للإرادة مثل سوءٍ إدارة المال بالتّبذير والإسراف وعدم الادّخار لأوقات الحاجة.

أمّا تحت وطأة الظّروف الخارجة عن الإرادة، فعلى الإنسان السّعي والتوكّل على الله، والدّعاء بأن ييسّر الله تعالى له أبوابَ الرّزق الحلال، ثمّ الرضا بما يأتي به الله- عزّ وجلّ- من رزق.

أمّا تحت الظّروف التي يمكن أن تخضع للإرادة فذاك أمرٌ يمكن التّعامل معه بتغيير الأفكار والتصورات والعادات وأنماط الحياة، خاصّة وأنّ الله تعالى قد نهى في كتابه الكريم نهيًا قاطعًا عن التبذير في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الإسراء، ٢٦ ـ ٢٧). كما نهانا رسولُ الله- صلّى الله عليه وسلّم- في الحديث الصّحيح الذي رواه البخاري عن إضاعة المال فيما لا يجدي ولا ينفع، في قوله صلّى الله عليه وسلم: «إنّ الله كره لكم ثلاثًا؛ قيلَ وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال».

حين حدوثِ ضائقة مالية يجب أن يقف الزّوجان معًا للتعامل معها والتّخفيف من أثرها، فلن يحلّها تنافر وتنابذ وتلاوم، بل تكاتفٌ وتضافر وتعاون، لن يحلّها نكير وتنفير بل تفكيرٌ وتدبير، يقفان معًا ليخفّفا من النّفقات وقصرها على أقلّ الضّروريات، والاستغناء من كثير من الفرعيّات والكماليات، حتّى يخرج الزوجان منها وهمَا أشدّ تماسكًا وتكاتفًا وارتباطًا، فكمْ من ضائقة مالية هدّدت بيوتًا بالزّوال بعدما سبّبت تنافرًا وتنابزًا ولومًا وتقريعًا وتجريحًا، وكمْ من ضائقة مالية جعلت بيوتًا أكثر تماسكًا واستقرارًا بالتكاتف والتضافر والتلاحم.



٥- الخيانةُ الزوجية

الخيانة الزوجية كبيرةٌ من الكبائر، خيانةٌ لاعتدائها على حرمات الله تعالى، خيانة لتسبّبها في النكوص بقدسية عقد الزّوجية، خيانةٌ لكوْنها طعنة نجْلاء بخنجر ماض في ظهر أخصّ حقّ من حقوق شريك الحياة وهو الإخلاص له، إنها خيانةً لمجتمع تُكثِر من خبثه وفواحشه وتزيد من أفراده بالحرام.

إنّ الخيانة هي مقبرةُ زواج غاب عنه الإيمان، وماتت فيه الثقة، وذبحت عنده الأمانة، وخفتت فيه النّخوة، واختفى منه الإخلاصُ والاحترام والشّرف، وكلّها فضائل يستلزم استعادتها وقتًا طويلًا وجهدًا مريرًا ودأبًا متصلًا لكوْنها من أصعب ما يُمكن استرداده وترميمه بعد فقده وتحطيمه.

لا يقتصرُ مفهومُ الخيانة الزوجية على ارتكابِ كبيرة الزنا وفقط، بل يمتدّ ليشمل كلّ علاقة محرّمة غير مشروعة تنشأ بين الرّجل المتزوّج وبين امرأةٍ أخرى غير زوجته، أو بيْن المرأة المتزوّجة وبين رجل آخر غير زوجها، سواءَ بلغت اقتراف فاحشة الزّنا أو لم تبلغ، ومنها بعضُ الممارسات التي تراها الأجيالُ الحالية «عادية» مثل تبادلِ الحوارات والاستمتاع بكلمات الحبّ والدّلال، ثمّ تلك التي تتناول الخصوصيّات بدرجاتٍ متفاوتة العمق، واستهلاك الأوقات في الخَلوات كالمواعدات واللّقاءات والنّزهات والمناسبات، وتقديم الهدايا لكسْب القلوب وتحريك المشاعر، واستخدام إمكانيات التواصل عبر الإنترنت في تبادل الصّور الشخصية الخاصّة، والتي تتطوّر إلى تبادل الصّور بملابس غير ساترة، ثمّ تلك العارية، ثمّ الفيديوهات ذات المشاهد الرّاقصة والعارية، والتي لا تلبث أن تؤدّي إلى بعض الممارسات الجنسية الفاضحة.

يشتدّ وقْعُ الصّدمة العاطفية ويزداد الشّعور بقسوةٍ وقع الخيانة الزّوجية على شريك الحياة إذا كانت هذه الخيانة تتمّ عبر لغة الحبّ الأساسية لشريك الحياة، والتي ظلّ شريك الحياة يتوقُ إليها ولكنّها بالخيانة تمّ منحها لآخر.

أمثلة:

إذا كانت كلماتُ التّشجيع والمديح هي وسيلة الخيانة، وهي في ذات الوقت لغة الحبّ الأساسية لشريك الحياة كانت الخيانة أشدّ ألمًا.

إذا كان تكريسُ الوقت هي لغة الحبّ الأساسية لشريك الحياة ولكنّ الوقت استلبه آخرُ كانَ الشعور بالخيانة عميقًا.

إذا كان تقديمُ الهدايا هو اللغةَ الأساسية لشريك الحياة ولكنّ الهدايا كانت من نصيبِ آخر كانت الخيانة أقسى وأشدّ.

إن كان التواصلُ الجسدي هو اللغةَ الأساسية لشريك الحياة ثمّ صار هذا التّواصل الجسدي لغيره كان الشعور بالخيانة كارثيًّا.

تختلف أسبابُ الخيانة الزوجية بالنسبة للرّجل عن المرأة، ومن بيئة إلى أخرى، ومن ثقافة إلى أخرى. ومن هذه الأسباب ما يلي:

- ضعفُ الالتزام الديني، الذي من توابعه فتورُ الخوف من الله تعالى، فتحرّك المرء نزواته وشهواته، فلا يملك ضبط نفسه حيث لا اكتفاءَ بحلال واستمراء الخوض في الحرام، فالالتزام الدّيني الصحيح يعصم المرءَ من الوقوع في شراك الخيانة الزوجية.
- افتقادُ الخائن لعددٍ من القيم كالأمانة والصدق والإخلاص والوفاء..، إلخ.
- تقصيرُ الإنسان في الوفاء بتغطية الاحتياجات العاطفية والنفسية والجنسية لشريك حياته بسبب الخلافات الزوجية أو الاضطرابات الصحّية

أو النفسية أو قلّة الرغبة الجنسية، أو وجود برودٍ جنسي، أو عدم التكافؤ العمري الواضح والمؤثّر بين الزّوجين.

- التعرّضُ لنزواتٍ عابرة عارضة في أوقات فتور الإيمان وفترات الضعف البشري.

- تقليدٌ أعمى للجانب المنحلّ لمدنيّة الغرب وفلسفاته وأفكاره وقناعاته.

- وجودُ قُرناء سوءٍ وصحبة فاسدة تحضّ على الزنا وتشجّع عليه.

- وجود تفكّك أسري، حيث لا أحدَ يربّي أو يوجه أو يتابع أو يهتم أو يُعتبر قدوة صالحة.

- عقدُ المقارنات بين أحباب سابقين وبين شريك الحياة، والعودة إلى التفكير فيهم واسترجاع الذكرياتً الجميلة معهم ممّا قد يؤدّي إلى إعادة التواصل معهم من جديد.

- غيابُ الحبّ والحنان والرعاية والاهتمام والانسجام والتّوافق الزوجي وشيوع الشكّ وعدم الثقة بين الزوجين.

- شدّةُ الاختلاط بين الرّجال والنساء، وسهولة إقامة علاقات بينهما في غير إطارها الشرعي.

- المعاناةُ من الفقر وشدّة الحاجة والتماس الرزق في الزنا.

- غيابُ أحد الزوجين المستمرّ سواء بالوفاة أو المرض الطويل أو السفر بدعوى عمل أو دراسة أو بسبب الطلاق أو بالانفصال النفسي أو الجسدي أو الخصام الطويل بسبب الخلافات الزوجية المزمنة.

- الانتقامُ من شريك الحياة الخائن.

- الشّعورُ بالإحباط واليأس، والتّعبير عنهما بالخيانة الزوجية.

- الإحساسُ بالملل والضجر من رتابة الحياة، ومحاولة كسر هذا الملل وذاك الضجر بالخيانة.

- الاقتداءُ بآباء وأمّهات خونة.

- الدّورُ الفاعل للإعلام وقنواته الفضائية الماجنة وبرامجه الفاضحة والمواقع الإباحية المتاحة في تسهيل كافة أنواع الخيانات، والتفنّن في تبريرها، والحضّ عليها، وكذا تصدّر الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة بين الناس وسائل الإعلام المختلفة، وتنْحية الذين يحبّون أن يشيع المعروفُ بين الناس من الظّهور في هذه الوسائل ورسم صورة ساذجة ومنفرة وكذوبة عنهم في موادّهم الإعلامية المختلفة.

- انسحابُ دور العلم من القيام بدورها التربوي.

- تغييبُ جوانب التربية الجنسية السويّة عن البرامج التربوية التي يجب أن يتلقّاها الصغار.

- عدمُ قيام دور العبادة، خاصّة المساجد، بدوْرها الديني والتربوي والتّوْعوي المفروض عليها بالطريقة الفاعلة.

والواقع أنّ المرأة ـ في أحيان كثيرة ـ يمكن أن تواصلَ حياتها مع زوجها الذي خانها، فهي بطبيعتها الأنثوية أقدر على المُسامحة من الرجل. ولكنّ الرجل لا يستطيع استكمالَ حياته مع زوجة خائنة أبدًا (إلّا تحت ظروف خاصّة جدًّا في بعض الحالاتِ النّادرة للغاية، والتي لا يُقاس عليها ألبتة)، فالرجل بطبيعته الذّكورية لا يستطيع أن يتسامح بشأن خيانة زوجته له، إنّ هذا مِن أوضح الخصائص النفسية المتناقضة للجنسين.

الخيانةُ الإلكترونية:

أتاحت شبكةُ الإنترنت سهولةَ وسيولة التواصل بين الرّجال والنساء، كما أنّها زخرت بشتى ألوان الموادّ الإباحية السّمعية والبصرية، فشاعَ ـ

للأسف الشديد ـ إقامة علاقات مختلفة العمق بين الجنسين، وكثرت مطالعة المواد الإباحية بكافة ألوانها وأشكالها، فبرز على السّاحة مصطلح جديد يعرف بالخيانة الإلكترونية.

إدمانُ الموادّ الإباحية:

يقع المدمنُ للموادّ الإباحية فيما يشبه الدائرة المغلقة التي تتكون من أربعة مراحل: مرحلة التبرير ـ مرحلة الندم ـ مرحلة التوقّف ـ مرحلة السّقوط، كما هو مبيّن بالشكل التالي:

المرحلةُ الأولى: مرحلةُ التّبرير:

في هذه المرحلة، يحاول الإنسانُ أن يبرّر بطرقٍ منطقية دخولَه على المواقع الإباحية ومشاهدة الأفلام الإباحية، كأن يقنعَ نفسه ببعض الأقوال، «بعض اللّحظات لن تؤذي»، «أنا أستطيع التحكّم في نفسي»، وما إن يبدأ حتى تصبح اللحظات ساعات، وما إنْ يبدأ حتى يفقد السّيطرة على نفسه، وينتقل من مشهدٍ لآخر ومن فيلم لآخر.

ومن ضمن التّبريرات التي يفلسف بها المدمنُ ما يفعله من هذه المحرّمات، ما يلي:

١- لا ضررَ يُذكر من التّعامل مع بعض المواد الإباحية:

قد يقنع مَن يريد مطالعة المواد الإباحية نفسَه بأنه لا ضرر يقع عليه من مشاهدتها، فالكلّ يقوم بذلك، رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا، ولم يتضرّر أحدهم بذلك، ولكن في الحقيقة تعدّدت أضرار مشاهدة وإدمان المواد الإباحية على كافة الأصعدة كالتالي:



أوّلًا: على الصعيد الديني:

يعدّ اقتراف المعاصي وتكرارُها والإصرار عليها استخفافًا بالذّنب واستهانة بتبعاته وغلبة الشهوة واتباع الشيطان، وسيصل الإنسان بهذا التّكرار والإصرار إلى مرحلة الرّان، وهي عمى القلب، كما قال التّابعي «الحسن البصري» رحمه الله، في تفسير كلمة «ران» في قوله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ (المطففين: ١٤). وما المدمن لمشاهدة المواقع الإباحية إلّا رجلٌ يقترف هذه المعصية مرّة تلوَ أخرى مستخفًّا بذنبه أو بتبعاتِ هذا الذنب بعد أن غلبتهَ شهوته واستجاب لشيطانه.

إنّ الشّهوة لن تقف بالإنسان عند حدّ، ولن ترتوي بالنّظر إلى المشاهد الإباحية؛ بل سيزداد سعارُها، وتطلب المزيد لإشباعها، هكذا طبيعتها مع مَن يحاول إرواءها بالحرام.

ثانيًا: على صعيد المجتمع:

يؤدّي انتشار مطالعة الموادّ الإباحية والأفلام الخليعة حتماً إلى زوال الحياء، الذي يعدّ أولى الخطى نحو التجرّؤ على المحرّمات والوقوع في الرّذائل واقتراف الكبائر وذيوع الفاحشة وتهْوين بشاعة فعلها، بل وتزيينها لفاعلها، وانتشار ممارسة الشّذوذ وارتكاب الجرائم، حقًّا لكمْ أفضتْ هذه الإباحيّاتُ إلى ارتكاب أبشع الجرائم بدم بارد، والقصص في هذا المجال وفيرة، منها ما يلي:

قال أحدُ الشّواذ الذين أدينوا في حوادث قتل ضحاياهم: «لو أنّ موادّ الدّعارة والإباحية قد مُنعت منّي في صباي، لم يكن شغفي بالجنس والشّذوذ والإجرام ليتحقّق»، كما قال واصفًا تأثير موادّ الدّعارة عليه: «إنّ أثرها عليّ

كان شنيعًا للغاية، فأنا شاذّ جنسيًّا، ومغتصبٌ للأطفال، وقاتل، وما كان كلّ ذلك ليتحقّق لولا وجود موادّ الدّعارة والإباحية وتفشيها».

وهناك مثالٌ آخر للنتائج الوخيمة وتفشّي الإجرام نتيجة الانغماس في الموادّ الإباحية، ففي مقابلة مصوّرة مسجّلة مع أحد الشّواذ قبل إعدامه بقليل صرّح قائلًا: «أنتم سوف تقتلونني، وهذا سوف يحمي المجتمع من شرّي، ولكن هنالك الكثير والكثير أمثالي ممّن قد أدمنوا الإباحية، وأنتم لا تفعلون شيئًا لحلّ تلك المشكلة». وقال أيضًا: «في البداية كانت الموادّ الإباحية تغذي هذا النّوع من التفكير، مثل الإدمان، فإنّك تتطلّع دائمًا إلى ما هو أصعب وأصعب، تتطلّع إلى شيء يولّد درجة أعلى من الإثارة، ثمّ تصل إلى حدّ لا يمكن لموادّ الدّعارة أن تشبع غرائزك، وتصل إلى نقطة انطلاق جديدة حيث تبدأ تحدّثك نفسك: هل ممارسةُ هذه الأفعال تشبع تلك الغرائز بشكل أفضل من مجرّد القراءة أو النظر؟»، واستطرد قائلًا: «إن أشدّ أنواع المواد الإباحية فتكًا تلك المقترنةُ بالعنف لأن تزاوج العنف والجنس ـ كما تيقّنت جيدًا ـ تورث ما لا يمكن وصفه من التصرفات التي هي في منتهى الشّناعة والبشاعة»، وقال أيضًا: «أنا وأمثالي لم نولَد وحوشًا، نحن أبناؤكم وأزواجكم، تربّينا في بيوت محافظة، ولكنّ الموادّ الإباحية يمكنها اليوم أن تمدّ يديها داخل أيّ منزل فتخطف الأطفال»، وقال قبل ساعات من إعدامه: «لقد عشت الآنَ فترة طويلة في السّجون، وصاحبت رجالًا كثيرين قد اعتادوا العنفَ مثلي، ودون استثناء فإنهم كلّهم كانوا شديدي الانغماس في الموادّ الإباحية، وشديدي التّأثر بها، ومدمنين لها».

إنّها شهادة فرْدٍ من أهلها، وقد شارفَ على الموت، وفي موقف صدقٍ حيث لا تدليس فيه ولا كذب، ولا غشّ فيه ولا خداع، إنّها شهادة إنسان يعيش آخر لحظاته مخرجًا آخر كلماته.



ثالثًا: على الحياة الأسرية:

كثيرٌ من الرّجال المتزوجين الذين يطالعون الموادّ الإباحية، وكذلك الذين يقيمون علاقاتٍ مع النساء عبر شبكة الإنترنت يروْنَ أنّ هذه المطالعات والعلاقات لا تعدّ خيانة زوجية لأن لا التقاء فيها للطّرفين بمكان واحد، ولا تتمّ بالتماس الجسدي، ولأنّ ذلك يحدث على سبيل التّسلية واللهو والتلذّذ وقضاء وقتٍ ممتع، وأنّ الأمر لا يعْدو أن يكون سوى مجرّد استثارات جنسية أو ممارسات جنسية آمنة وسريّة ووقتية لا بأسَ بها مع مشاهد أو نساء لا يعرفونهنّ ولا يرتبطون بهنّ ارتباطًا عاطفيًّا، وكلّها أقوال باطلة، لا يُراد بها إلّا تبرير اقتراف الحرام.

لقد أثبتَ العلم أنّ مطالعة المواقع الإباحية تكوّن روابطَ حقيقية بالمخ تماثل تمامًا تلك الرّوابط التي تنشئوها الخيانة الزّوجية الكاملة، أي أنّ هذه المطالعة لها ذاتُ التّأثير السلبي على المخّ الذي تحدثه الخيانة الزوجية الكاملة.

ولكنّ المرأة تشعر أنّها خائنة إذا ما أعطتْ قلبها لغيرِ زوجها، وأنّ مجرّد شعورها بالحبّ تجاه غير زوجها يعدّ في نظرها خيانة زوجية.

> **الخيانةُ الزوجيةُ عنده جسديّةٌ، وتتمّ حين ارتكاب فاحشةِ الزنا..**
> **الخيانةُ الزوجيةُ عندها نفسيّةٌ، وتتمّ بالشّعور بحبّ رجل غير زوجها..**

ولذلك تتعامل المرأةُ مع زوجها مدمن مشاهدة المواقع الإباحية بنظرتها الأنثوية على أنّه يخونها خيانة حقيقة، إنّها تتألم لأنّه يشعر بالرّغبة الجنسية تتّقد

مع نساءٍ أخريات حتّى لو كنّ على الشاشات، وقد يصل معهنّ إلى ذروة اللذة الجنسية بممارسة العادة السرية، ومن ثمّ الاكتفاء بهذه الممارسة، وما قد يتبع ذلك من الابتعاد عن فراشها ولو قليلًا، ثمّ قد تلجأ إلى محاولاتٍ إثنائه عمّا يفعل لينصرف عنهنّ ويعود إليها خالصًا لها، وتتحطّم أكثر بعدما ترى أنّ محاولاتها المضنية والمستميتة لم تجد فتيلًا إلّا قليلًا من وقت، وأنّه مازال موغلًا فيما يرتكب على طريقته الفاسدة المحرمة.

حقًّا، إنّ مشاهدة هذه الإباحيات سببٌ قوي من أسباب زعزعة استقرار البيوت وتفشّي وقوع الطلاق.

رابعًا: على صعيد الصحة:

إدمانُ المواد الإباحية يسبّب مشاكل صحيّة ونفسية كثيرة للمدمن، نذكر منها ما يلي:

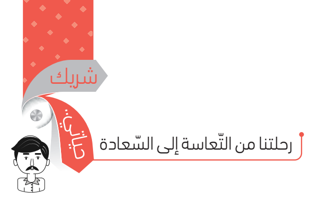
١- انخفاضُ مستوى التّركيز ممّا يجعل عملية الاستيعاب بطيئة، كما تجعل المدمن أكثر عرضة لسرعة النسيان.

٢- الأرقُ وقلّة النوم والسّرحان الدّائم وانشغال الفكر والشّعور بالإرهاق العام والخمول والكسل والميل للوحدة والابتعاد عن الأنشطة الاجتماعية والأسرية.

٣- الإرهاقُ الذّهني، والذي يصاحبه- عادة- عصبيّةٌ في المزاج وسرعة الاستثارة والغضب.

٤- الإصابةُ بآلامٍ في الظهر، وكثرة إدماع العينين، والشّعور بصداع شديد ومتكرّر.

٥- الشّعورُ بالاكتئاب، وهو النهاية الحتمية للإدمان على مشاهدة المواد الإباحية.



خامسًا: على صعيد الحياة الجنسية:

للمواد الإباحية تأثيرٌ مباشر على المخّ كتأثير المخدرات، وتسبّب نوعًا من الإدمان لا يقلّ في خطورته عن ضرر إدمان الهيروين أو الكوكايين وبعض المواد الإدمانية الأخرى، كما قد تكون أشدّ خطورة منها لأنّ المشاهد الإباحية تظلّ عالقة بمخيّلة مَن شاهدها، بينما يمكن أن تمحى بصورةٍ نهائية تقريبًا آثارُ مادة كالكوكايين من جسم المدمن بعد الخضوع لبرامج علاجيّة تأخذ بعض الوقت.

كثيرًا ما يؤدّي إدمان المواد الإباحية إلى ضعفِ أو فقدان المدمن الشّعور بالرغبة في الممارسة الجنسية الحقيقية الحلال مع زوجته، وأنّها صارت بسبب إدمانه لا تثيره، وإنْ كانت من الجميلات، كما يقلّ أو حتى يفقد الشّعور بذروة اللذة الجنسية المنشودة حين معاشرتها، فلا يمكنها إشباعه جنسيًّا، وبذا يمسي ضعيفًا في- أو عاجزًا عن- الممارسة الجنسية الطبيعية الحلال معها.

وينتهي الأمرُ بالمدمن إلى أنْ تصير المشاهد الجنسية «العادية» لا تحرّك فيه ساكنًا، وسيظلّ يبحث دومًا عن المشاهد الجنسيّة السوبر أو الشاذّة، بل والموغلة في الشذوذ لتحقّق له الاستثارة والشعور بذروة اللذة الجنسية.

وسببُ ذلك ـ في الغالب ـ أنّ المخّ قد تمّت برمجته، وأنّ الأعصاب بالأعضاء التناسلية قد اعتادت على الاستثارة وجلب اللذّة بشريك وهميّ، وبطرق مبالَغ فيها هي الأقربُ إلى الخداع والتّمثيل منها إلى الواقع، وبذلك انحرف الإنسان عن مصدر الاستثارة الجنسية الطبيعي الذي من المفترض أن يجلبها الشريك الحقيقي الحلال إلى الاستثارة التي يسببها الشريك الوهميّ الحرام المتوافر بهذه الإباحيّات، وبذا تمّت برمجة المخّ على الاعتماد على الشريك



الوهمي الحرام وبالطرق الوهمية في الحصول على الاستثارة الجنسية، واعتياد أعصاب الجهاز التناسلي على الشّعور باللذة الجنسية بهذه الوسائل.

... هكذا الحرامُ، يغلق الطريق أمام الحلال.

٢- من الممكن اتّخاذ المواد الإباحيّة كمادّة تعليمية للحصول على ثقافة جنسية:

يعتقد كثيرٌ من الشباب والفتيات المُقبلين والمُقبلات على الزواج أنّ مشاهدة وسماع المواد الإباحية وما يدور بها من حركاتٍ تستمرّ أوقاتًا مديدة وكلمات جنسية وتأوّهات ساخنة يقوم بها محترفون ومحترفات في الدّعارة ـ تحت تأثير المسكرات والمخدّرات والعقاقير والمنشّطات ـ تعدّ مادة تثقيفية تمدّهم بمعلومات، وتكسبهم خبرات تساعدهم على إنجاح علاقتهم الجنسية حينما يتزوّجون، وهذا اعتقادٌ جانَبَه الصواب تمامًا.

إنّ أكثر ما تقدّمه الأفلام الإباحية يمثّل حياة جنسية مغايرة للواقع تمامًا، إنها تقدّم الزّناة من الجنسين في صورة جماع مبالَغ فيه وقتًا وأداءً وصوتًا، تقدّم الأعضاء الجنسية في صورةٍ ضخمة وشاذّة في الحجم نتيجة استخدام الخدع السينمائية وأعمال المونتاج والتّصوير، فتُوهم الرّائي بعجزه، تقدّم الشذوذ بأنواعه وألوانه، تقدّم زنا المحارم، وتعليم التحرّش والاغتصاب والجريمة، تقدّم دعايات للأدوات واللعب الجنسية بكافّة صورها، تقدّم نماذج لقتل العفّة والحياء وإهدار إنسانية الإنسان وكرامة الإنسان ورقيّ الإنسان، إنها باختصار تقدّم رؤية وفكرة وممارسة خطأ عن حقيقة العلاقة الجنسية ورسالتها السّامية في الإعفاف وإعمار الأرض، فتنقل الإنسانَ من الكرامة التي منحها الله له إلى البهيميّة التي تريدها النفس الأمّارة بالسّوء، ويوسوس بها الشيطان.

وعند الزّفاف سيدخل العريس والعروس بيتَهما في ليلة عرسهما، وهما محمّلين بكثير من هذه الخيالات الجنسية والأوْهام التّمثيلية من جرّاء مشاهدة وسماع هذه الموادّ المحرّمة، ولذلك ليس من المستبْعَد أن يفاجأ كلّ منهما وقتَها أنّ أمر الجِماع جدّ مُختلف، وليس كما تصوّره هذه المواد الإباحية.

الموادّ الإباحيّة تعلّم الفشل، وليست مصدرًا للثقافة الجنسية السّويّة أبدًا

٣- إمكانيّةُ التوقّف عن مشاهدة الموادّ الإباحية بعد الزواج:

يظنّ بعض الشباب والفتيات أنّهم يستطيعون التوقّف عن مشاهدة المواد الإباحية بمجرّد الزواج، وأنّ ما يجعلهم يتمادون فيها هو فقط كوْنهم لم يتزوّجوا بعد. وهذه قناعة خطأ؛ فمدمنُ الموادّ الإباحية سيستمرّ في هذه المشاهدات بعد الزواج، إنه أدمن ولا يستطيع التخلّص من هذه الوسيلة الإدمانية بمجرّد اتّخاذ قرار بذلك، أو تغيّر ظرف من ظروف حياته الاجتماعية، هكذا أثبتت الدّراسات وأثبت الواقع.

إنّ مَن لم يغضّ بصره ويحصّن فرجه بالاستعانة بربّه، ثمّ بسيطرته هو بنفسه على نفسه؛ فإنّ الزّواج لن يفيده بشيء، حتّى إننا لنلاحظ في قول نبينا- صلّى الله عليه وسلّم- عن الزواج بأنّه «أغضّ للبصر وأحْصَن للفرج»، أي أنّ الزواج يزيد في غضّ البصر، ويزيد في تحصين الفرج لمَن كان أصلًا يجاهد في غضّ بصره، ويقاوم في تحصين فرجه.

٤- مشاهدةُ الموادّ الإباحية تثري وتجدّد في العلاقة الجنسية بين الزوجين:

قد تقدّم المواقع والأفلامُ الإباحية للزوجين مادّة تجعلهما مُقبلين أكثر على بعضهما البعض، خاصّة إن كان بأحدهما عزوفٌ إلى حدّ ما عن اللقاء الجنسي، ولكنْ... بعد وقتٍ قصير، وقصير للغاية، قد يستغني أحدُهما بهذه المواد الإباحية عن الآخر، ويوغل في مشاهدتها تاركًا شريك حياته وراءَ ظهره، فتوهن بذلك العلاقة الجنسية أكثرَ وأكثر، ممّا ينعكس أثره السّلبي على الرابطة الزوجية كلّها فتضعف، وقد تتفكّك.

، ثمّ..

كيف يرضى الزّوج «الرجل» أنْ تشاهد زوجته الأفلامَ الإباحية لتنشط جنسيًّا، وتكون أكثر استعدادًا للجِماع؟!! كيف يرضى أنْ تنظر زوجته إلى أعضاء الذّكورة لدى الدّاعرين من الرجال، وتستمع إلى تأوّهاتهم التي يصدرونها، وتستمتع بأدائهم أثناء ممارسة الزّنا حتى تصير مهيّأة له!!؟

وكيف للزّوجة «الأنثى» أنْ ترضى لزوْجها مشاهدة الأفلام الإباحية لتزداد رغبتُه الجنسية فيها؟ كيف ترضى لزوجها مطالعةَ عورات الدّاعرات من النّساء، والاستماع إلى تأوّهاتهنّ أثناء ممارستهنّ للزنا، والاستمتاع بمناظرهنّ وأوضاعهنّ حتى يُقبل عليها؟!!

، أين الغيرةُ الفطرية؟!

، وأيّ دياثة تلك؟!

، وأيّ خير في هذا؟!

لا يُطلَب الحلالُ أبدًا عنْ طريق حرام



٥ ـ مشاهدةُ الموادّ الإباحية وسيلةٌ لمعالجة المشاكل الجنسية:

كيف بالدّاء أنْ يكون دواءً!!؟ إنّ ما تستجلبه المواقعُ الإباحية من مشاكل جنسية يفوق بمراحل الفائدة ـ إن كانت هناك فائدة ـ المنتظرة منها، إنما يتمّ حلّ المشاكل الجنسية بواسطة متخصّصين يشخّصون المرض بعد معرفة العرض، ثمّ يصفون العلاج والدواء، ولا طريق آخر.

المرحلةُ الثّانية: مرحلة النّدم:

بعد الاندماج في التجوّال وسطَ المواد الإباحية لمدّة طويلة أو قصيرة، وما يعقبها من ممارسة العادة السرية؛ سينتاب المدمنَ الشعورُ بالنّدم وتأنيب الضّمير وجلد الذات، ومع تكرار الاندماج وممارسة العادة السرية قد ينتهي بالمدمن إلى إصابته بالاكتئاب واليأس الشديد من تحسّن أحواله.

المرحلةُ الثّالثة: مرحلة التوقّف:

يقرّر الإنسان التوقّف عن الاستمرار في مطالعة الموادّ الإباحية في لحظة استيقاظ الإيمان وصحوة الضمير أو الإصابة بمرض وتعب أعجزَه عن الاستمرار، أو الشّعور بزهق واشمئزاز منها، وقد يعدُ الإنسان نفسَه بألّا يعود إليها أبدًا، وبالفعل قد ينجح في التوقّف لفترةٍ من زمان، ينصرفُ خلالها لممارسة أنشطة حياته المختلفة.

ولا شكّ أنها مرحلة مريحة لما يجده الإنسان من فرق نفسيّ هائل بين حالته المزرية وهو يطالع المواد الإباحية ويستهلك فيها قاسمًا كبيرًا من وقته

وأعصابه وبين حالته الطيّبة وهو متوقّف عن ذلك، مستثمرًا وقته فيما ينفع مستنقذًا أعصابه بما هو أفيد.

المرحلةُ الرّابعة: مرحلة السّقوط:

يشعر الإنسانُ بعد فترةٍ من مرحلة التوقّف برغبته في العودة لمطالعة المواقع والمواد الإباحية، خاصّة في لحظات ضعف إيمانه، أو للتّخفيف من أثر بعض الظّروف المتعبة أو الضّغوط المؤلمة أو الأحداث المحزنة، أو للفرار من بعض التّحديات الغالبة أو بإيعازٍ من أصدقاء السّوء، أو بما تمليه عليه نفسُه الأمّارة بالسوء، أو ما يوسوس به شيطانُه في وقت فراغ من تقوى وعملٍ صالح، وقد نسيَ أو تناسى الآثارَ السّيئة لإدمانه مشاهدة هذه المواقع، وتذكّر – فقط – لحظات اللذة التي كان يعيشها معها، فصار يستجلبُ ما كان في خياله منها، ويسترسل حتّى يسقط في أوحالها تارةً أخرى، ثمّ... يدخل في مرحلة التّبرير فينزلقُ داخل الدائرة المغلقة المظلمة كأسير لها من جديد.

وهل يعني ذلك أنّه لا فكاكَ منها ولا خلاص!!؟ بالتأكيد هناك طرقُ استشفاء وعلاج، كالتالي:

العلاجُ من إدمان المواقع الإباحية:

يتمّ التخلّص من إدمان مشاهدة الموادّ الإباحية عبْر هذه الخطوات الخمس:

الخطوةُ الأولى:

الإلمامُ بخطورة هذا النّوع من الإدمان، واستبصارُ المدمن بفَداحة الخسارة التي ستحيقُ به في كلّ ميادين الحياة الدنيا وفي الآخرة من جرّاء استمراره في هذا الصنف من الإدمان.



الخطوةُ الثّانية:

التّوبةُ والعزم على عدم الأوْبة إلى مزيدِ سماع ومشاهدة هذه المواد الإباحية، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ (التحريم: ٨)، وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ (طه: ٨٢).

وإنّه من نعم الله تعالى الجليلة على الإنسان أنْ منحه اللهُ برحمته الفرصةَ ليستدرك ما انقضى من عمره، ويتفكر في ستْره الجميل له، وحلمه الكبير عليه، ورحمتِه به إذ جعل بابَ التّوبة مفتوحًا على مصراعيه، إنّه ربّ رحيم غفور كريم، وصدَقَ مَن قال:

ما أحلم الله عنّي حيثُ أمهلني وقد تماديتُ في ذنبي ويسترني

وللتوبةِ المقبولة شروطٌ، منها:

١- الإقلاعُ عن المعصية.

٢- العزمُ على عدم العودة إليها.

٣- أن تتمّ قبل الغرغرة، وهي بلوغ الرّوح الحلقوم، وقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه الترمذي: «إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرغر».

الخطوةُ الثّالثة:

التخلّص من المواد والأوساطِ والأفلام والموادّ الإباحية أيًّا كان نوعها، وذلك بمحْوها وإزالتها من جميع الأجهزة الإلكترونية والرّقمية، وإزالة القنوات الفضائية التي تقدّم «فنونًا» هابطة رخيصة من جهاز المستقبل (الريسيفر)، وتحصين أجهزة الحاسوب ببرامج حماية من الموادّ الإباحية، والابتعاد عن قُرناء السّوء وشركاء المنكر والفاحشة وإلغاء أيّ وسيلة تواصلٍ معهم.



الخطوةُ الرّابعة:

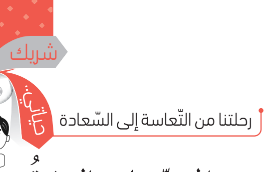
مدافعةُ الخواطر والأفكار السيئة، ورفضُ الانسياق وراءها والاسترسال فيها، وطرد ما علقَ بالخيال من مشاهد إباحية وعدم استرسال اجترارها والتّفكير فيها، وتفريغ القلب منها مُستعيذًا بالله من الشّيطان الرجيم. إنّها خطى لا بدّ منها قبل أن تصبح هذه الخواطر والأفكار رغبةً، وتتطور إلى همّ وقصد، ثمّ تصير فعلًا. قال «الغزالي»- رحمه الله- في إحيائه: «الخطوة الأولى في الباطل إنْ لم تُدفَع أورثتْ رغبة، والرغبة تورثُ الهمّ، والهمّ يورث القصد، والقصد يورث الفعل، والفعل يورث البَوار والمقْت، فينبغي حسمُ مادّة الشّر من منبعه الأوّل وهو الخاطر، فإنّ جميع ما وراءه يتبعه».

الخطوةُ الخامسة:

ملء الفراغِ الذي خلّفه التخلّص من سماع ومشاهدة الموادّ الإباحية بما يشغل النفسَ بالمفيد من الأفكار والأفعال التي تتناول ما يقرّب من الله- تبارك وتعالى- وما يخصّ العمل المهني والدراسة، ومصاحبة الأخيار، وممارسة الرياضة وبعض الهوايات التي تطوّر الذّات وتريح البال مثل الأعمال الثقافية والخيرية والفنية والأدبية....، إلخ، كما أنّه من الأهمية القصوى الالتفاتُ الكلّي إلى شريك الحياة لتفريغ الطاقة الجنسية فيه.

ماذا يفعل الإنسانُ إذا عاود الوقوعُ مرّة أخرى في فخّ المواد الإباحية؟

لا يكون العلاج تامًّا من إدمان المواد الإباحية إلّا بعد مرور سنةٍ إلى سنة ونصف السّنة من التوقّف الكامل عن استماع ومطالعة هذه المشاهد. وإنّه بعد ستة أشهر فقط من التوقّف يبدأ المدمن في الشّعور بالتحسّن الواضح، وبأنه صار أقوى، وتختفي كثيرٌ من الأعراض المرضيّة من الشّعور بالتّعب



والضّعف العام والخور واليأس، وتزداد عند المتزوجين والمتزوّجات الرغبةُ في شريك الحياة، وغير ذلك.

فإذا عاد الإنسانُ للممارسة مرّة أخرى فعليه أن يبدأ من نقطة الصّفر من جديد، مع ضرورة عدم الشّعور باليأس وعدم المبالغة في تقريع النّفس وجلدها، فمجاهدةُ النفس دأبُ الإنسان طوال حياته، فإذا ما وقع وهو يجاهد نفسه فذاك دليلٌ على أنه في صراع مع الشيطان ونفسِه الأمّارة بالسوء، وما عليه إلّا معاودة المجاهدة مرّة أخرى بنيّة صادقة وصبر أشدّ وعزيمة أقوى ليتحقّق في الإنسان قولُ الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

٦- عدمُ الشّعور بالأمان

يعتبر الشّعور بالأمان هو ركنٌ ركين لاستقرارِ نفسيّة كلّ من الزّوجين ليعيشا معًا حياةً زوجية آمنة مطمئنة.

ينتزع الإحساسُ بالأمان من المرأة إذا لم تشعرْ بأنّ زوجها يحبّها ويهتمّ بها، وإذا لم تشعرْ بأنه سندها الذي يدعمها ويقف معها، وإذا لم ينفقْ عليها أو يهدّدها بالطلاق أو تعدّد الزوجات، وإذا هجرها باستمرار وآثر الابتعاد عنها واستراح على ذلك، أو أقام علاقات مع نساء أخريات أيًّا كان عمقُ هذه العلاقات، أو إذا أصابته الأمراضُ المزمنة والعلل المتواترة، وصار مهددًا بالموت في أيّة لحظة.

وينتزع الشّعور بالأمان من الرّجل إذا طالبته زوجتُه دومًا بالطلاق على أيّ سبب، أو إذا هجرته واعتزلته كثيرًا، أو تركتْه وذهبت لبيت أهلها عند كلّ مشادّة، أو إذا لم تقمْ بخدمته والعمل على راحته، وعندما لا تقف بجانبه

حينما تسوء ظروفه الماديّة أو حالته الصحية، وحينما تقصّر في منحه جرعة الدّعم المناسبة له، وفي التوقيت المناسب له، وأنّه لا يراها معه في المواقف والأوقات الذي يحتاجها فيها....، إلخ.

إنّ عدمَ شعور الإنسان بالأمان يجعله يُظهِر أسوأ ما فيه، فإذا نُزِع الأمانُ من الزّوجين منذ أوّل زواجهما فسيلجئان إلى تأجيل الإنجاب حتّى لا يظلما الذّرية إنْ أفضى الحال إلى الفراق والطّلاق، وسيتربّص كلّ منهما بالآخر مترقّبًا وجِلًا، وسيئوّل كلّ منهما كلماتِ الآخر وحركات الآخر وأفعالِ الآخر إلى ما هو سلبي.

وتصير المرأةُ التي لا تشعر بالأمان قلقةً ومتوتّرة ومضطربة ومشوّشة ومرتبكة دومًا، ولا تقوى على خدمة زوجها وأطفالها وبيتها والقيام بواجباتها بالدّرجة المطلوبة، وتراوغُ في الحوار وتكذب، وفي آرائها تتخبّط وتتعثّر، ولا تستطيع بهدوء أن تفكّر، وتقتنص من مالِ زوجها ما يتيسّر في محاولةٍ لتأمين نفسها ماديًّا لشعورها بقتامة المستقبل.

والرّجل الذي لا يشعرُ بالأمان سيقتّر على زوجتِه بالإنفاق، وسيعيد حساباتِه من جديد، هل يستمرّ معها أم لا؟ ويفكر في إدارةِ ظهره لزوجته والبحثِ عن زوجة أخرى أو أشخاصِ آخرين يُشعرونه بالأمان ليعيش ما بقي من أيّامه بينهم، وقد لا يتوقّف عند عتبة التّفكير فقط؛ بل قد يحوّل ما يفكّر فيه إلى واقع.

٧- سوءُ العلاقة مع أقارب الزّوج والزّوجة

الزّواج في حقيقته ارتباطٌ بين عائلتين وليس بين فرْديْن من جنسين مختلفيْن، وينتج عنه نسبٌ وصهر وذرية جديدة لها أجدادٌ وجدّات، وأعمام



وعمّات، وأخوال وخالات، إنّه ميلادٌ لقربات لم تكنْ موجودة من قبل، وتحوّل محرّمات إلى حلائل أو محارم.

الزّواج كما يعني الارتباطَ بشريك حياة، يعني أيضًا الارتباطَ بأسرة هذا الشريك.

حين الارتباط بين الشّاب والفتاة تبدأ علاقاتٌ أخرى في رسْم ملامحها، هي علاقة الشّاب العريس بأهل عروسه، وعلاقة الفتاة العروس بأهل عريسها، وعلاقة أهل العروسين ببعضهما البعض، والأصلُ أن تكونَ بدايةُ هذه العلاقات جيدة طيبة، وتظلّ في نموّها الصحيح السّوي حتّى يشعر أهلُ الشّاب أنّ عروسته صارتْ ابنةً جديدة لهم، تحترمهم وتوقّرهم، ابنة جاهزة لم يبذلوا أيّ جهد أو مال في تربيتها وتعليمها، وذات الأمر بالنّسبة لأهل الفتاة مع عريس ابنتهم حتّى يشعروا أنّه صار ابنًا جديدًا لهم، يحترمهم ويوقّرهم، ابنٌ جاهز لم يبذلوا أيّ جهد أو مال في تربيته وتعليمه، كما يشعر أهلُ العروسين أنهما أصبحا عائلة واحدة متحابّة متقاربة.

ولكي يتمّ الوصول إلى هذا المستوى المرجوّ ينبغي الوضعُ في الاعتبار النقاط التالية:

- إنّ تكرار الشّاب وإصرارَه على التّأكيد لعروسه أنّ أمّه وأباه «خطّ أحمر» منذ اللّحظات الأولى من بدء العلاقة، وأن عليها أنْ تكون علاقتها بهما عالية المستوى في الودّ والقرب والحبّ قد يصنع جدارًا عازلًا بين عروسه وأهله. أمّا لو ترك الشابّ العلاقة بين عروسه وأهله دونَ إنذارات وتوْصيات

وتوجيهات سابقة، أيْ بدون تدخّل منه، فستنمو هذه العلاقة نموًّا طبيعيًّا، فيتغلغل الودّ والقُرب والحبّ بينهما سريعًا أو بطيئًا، فالودّ والقرب والحبّ لا يُفْرَضون على المرأة بالإنذار والتوصية والتّوجيه، إنّما هي مشاعر يقذفها الله في القلوب فيؤلّف بينها، كما قال تعالى: «....لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم....» (الأنفال: ٦٣)

- إنّ مكانة الزوج وقيمتَه عند أهله ستكونُ هي نفس مكانة زوجته وقيمتها عندهم، فإنْ كان يتمتّع بوضع متميّز عند أهله فسيمنحون زوجته وضعًا متميزًا، وإن كان الرّجل ضعيف الشأن قليلَ القيمة فستكتسي مكانتُها عندهم بضعف الشأن وقلة القيمة.

وإذا كان الشابّ قبل زواجه يتحمّل مسئوليات أهله الماديّة والنفسية فيجب أن تضع عروسه في اعتبارها أنّه سيظلّ كما عهده أهله صارفًا من وقته ومنفقًا من ماله عليهم قدرًا قلّ أو كثر، ولن يكون خالصًا لها كما قد تتصوّر، وأنها ستتحمل ـ في الغالب ـ معه جانبًا يقلّ أو يكثر من تلك المسئوليات.

لقد كان الشابّ قبل ارتباطه بها ضعيفَ الشأن قليل القيمة وسطَ أهله أو متحمّلًا مسئوليات أهله المادية والنفسية، لقد كان كذلك سنوات طوال منذ نشأته حتّى تزوّجته، ثمّ دخلت هي حياته بعدما استقرّ الحال على هذا الوضع، وعليها عندئذ أن تتقبّله كما هو وتتكيّف عليه راضيةً راغبة، أو تعيش معه وهي رافضة راغمة، وحينما ترفض وتبدي رفضها لأهله بأيّ صورة من الصّور فستصبح هي الجسمَ الغريب غيرَ المرغوب فيه ولا المرحوبَ به، وتبدأ المشاكل في التّوالد والأزمات في الظهور.

وهذا يفسّر شعورَ المرأة بأنّ أهل زوجها يفضّلون سلفتها (زوجة أخ الزّوج) عليها، والتي مبعثها أنّهم يعاملون زوجها الطّائع لهم كخادمٍ

تابع فيستخدمونه، وبالتّبعية سيستخدمونها، ولكنّ أخاه الذي يفضّلونه أو يعملون له ألف حساب أو يخشونه لأنّه لا يطيعهم في كثيرٍ من الأمور ويصْعب عليهم السّيطرة عليه فيتركونه وشأنه ويتجنبون إزعاجه، وبالتبعية سيعاملون زوجته بذات الأسلوب فيفضّلونها أو يعملون لها ألفَ حساب أو يخشونها فيتركونها ويتجنّبونها، فيتحوّل المشهد زوجة الابن الخادم خادمة، وزوجة الابن المفضّل أميرة!!

وكذلك الحالُ تمامًا بالنّسبة لمكانة الزّوج بين أهل زوجته، فستكون مكانتُه عندهم كمكانتها لديهم، سواء بسواء.

لقد ارتضاها لنفسِه زوجة، وهي قبلت به زوجًا، فليتحمّلا ما هو قائمٌ من علاقات منذ عقود سابقة، وما هو مترسّخ من أوضاع تليدةٍ لن تتغيّر بسهولة، أو تأخذ وقته ـ طالَ أم قصر ـ إذا كانت وسائلُ التّغيير صحيحة. إنّ محاولة تغيير أوضاع قائمة هي بمثابة ـ في نظر الكثيرين ـ رفضٍ لأشخاص مَن أقامها.

في بعض الأحيان تكون مكانةُ وقيمة الرّجل عند أهله غاليةً عالية، ولكنّ أهله لا يمنحون زوجته ذات المكانة والقيمة التي يمنحونها لابنهم، ربّما نتيجة الغيرة التي يشعر بها أهلُ الزّوج تجاه تلك المرأة الغريبة التي «خطفت» ابنهم الغالي، إنها طبيعةُ النفوس البشرية التي تعجّ بالأهواء المكتظّة بالعادات الشوهاء.

- إنّ الغيرة التي قد تشعر بها الزّوجة تجاه حماتها هي غيرةٌ في غير محلّها، غيرة تؤذي ولا تحفظ، تجرح ولا تحمي، غيرة مبعثُها ضعف ثقة الزوجة بنفسها، وانخفاض شعورها بالاعتزاز بذاتها، فليسَ للرجل في هذه الدنيا امرأة تكافئ زوجته حتّى وإن لم يتلفّظ بذلك، إنّها زوجته، وأمّ أبنائه، وهي

السّكن والدفء، وإنّه ينال منها ما لا يناله من أيّ امرأة أخرى من نساء العالمين، فكيف تقارن الزوجة نفسها بأمّ زوجها.

إنّ أمّ الزوج سيدةٌ كبيرة تمثّل الماضي، والزوجة تمثّل المستقبل، وجمعَهُما الحاضر، ومن جميل الأخلاق ألّا يُنسى أبدًا فضلُ الماضي وتضحية الماضي وبذل الماضي، وألّا يُعكّر هذا الماضي صفوُ الحاضر وجمال الحاضر ورونق الحاضر، فما الزّوجة فيه الآن من تنعّم بزوج إلّا بفضل تضحية وبذل هذه السيدة الكبيرة..

وكذلك أيضًا أمّ الزّوجة بالنسبة للرجل.

إنّ من أسوأ الأعمال التي يقوم بها أيّ إنسان هي صناعة الأعداء دون وجه حقّ، وأسوأ نوع من الأعداء هُم الأقربون، فمِن الحكمة الدّفعُ بالتي هي أحسن حتّى تنقلب العداوة إلى ولاية، ﴿... ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ (فصلت: ٣٤).

يا من تضايقه الفعال من التي ومن الذي
ادفع فديتك «بالتي» حتى ترى «فإذا الذي»

ولكنّ الواقع يفصح عن أنّ هناك صنفًا من الحَموات يصعب التّعامل معه للغاية، والحياة مع هذا الصنف مليئة بالنكد والهمّ والغمّ والشّجار والخلاف والوجع.

– لا بدّ وأن تعي الزوجة تمامًا أنّها هي الدّخيلة على زوجها وأهله لأنّها حديثة عهدٍ به وبهم، فقد عاش مع أهله عقودًا قبل أن يعرفها ويرتبط بها، وأنّها وفدتْ جديدة عليهم، فإذا تصرّفت العروس تصرّف الأصيلة التي لها الحقّ في الرفض والنقد والتّوجيه والتّوبيخ لأسلوب حياتهم فسينبذونها

ويلْفظونها من بينهم، وسيعاملونها وهي بينهم كدخيلةٍ عليهم طوال الوقت، أمّا إذا تصرّفت تصرّف الدّخيلة الودودة التي لا تحاول تغْيير وضع قائم منذ عقود فسينسجمون معها وكأنّهم يعرفونها منذ أمدٍ بعيد، وسيعاملونها وكأنّها أصيلة عاشت معهم العمرَ كلّه، وسيمنحونها ما تصبو إليه من مشاعرَ وقرب، وسيستجيبون لكثيرٍ ممّا تريد إحداثه فيهم من تغْيير.

- تأبى الزّوجة اشتراكَ أحدٍ معها في زوجها، وهذا من حقّها، ولكنّ ذلك لا ينطبق على حماتها وحماها وسائر أسرة زوجها من إخوةٍ وأخوات. إنّ الزوجة التي تعتقد أنّها استأثرت بزوجها الذي أصبح ملكًا خالصًا لها بمجرّد زواجه بها؛ لزوجةٌ واهمةٌ ساذجة. أتعتقد أنّها حينما تجري محاولاتِ إبعاد زوجها عن أسْرته الأولى أو بوقوفها في مواجهة أمّه وأبيه أو حضّ زوجها ودفعه لمواجهة أمّه وأبيه سيجعله خالصًا لها وحدها؟ لا شكّ أنّها امرأةَ تفتقر إلى الذّكاء الاجتماعي، وفيها من ضيق الأفق ما فيها.

إنّ المرأة التي تذكرُ لزوجها أفعالَ وأقوالَ أمّه المؤلمة لها وتحرّضه على أخذ حقّها منها أو مطالبته بإيقافها عند حدّها إنّما تريد منه ـ في الحقيقة ـ مواساتها والتّخفيف عنها وتهدئتها و»الطبطبة» عليها لا أكثر، ولكنّ الرّجل ـ لأنه يبحث عن حلّ عمليّ دومًا ـ يتساءل بينه وبين نفسه أو بينه وبين زوجته: أأقفُ في مواجهة مَن حملتني وأرضعتني وربّتني وعلّمتني حتى صرتُ شابًّا؟!! هل أفرغ إلى أمّي لتأديبها وتعليمها الأصول؟ أم أهجرها وأقطع صلتي بها؟ وهل إذا فعل ذلك الحرام سينقلب إلى زوجته محبًّا ودودًا أم هاجرًا غاضبًا بعدما كانت سببًا مباشرًا في تخْريب علاقته بمَن حملته وأرضعته وربّته وعلمته؟

أتعتقدُ المرأة «الحكيمة» أنّ زوجها سيسعدها ويسعدُ بها إذا هي كانت

سببًا في أن يقف في مواجهة أهله من أجلها ويؤذي أهله ليسعدها ويقاطع أهله ليصلها؟ ثمّ، أنسيت هذه المرأةُ «الحكيمة» أنّه سيأتي اليوم الذي ستلعب فيه هي دور الحماة وسيكون لها زوجة ابن، والأيّام تدور دوْرتها، فكم من امرأة ضاقتْ وضيّقت على حماتها فأرسل الله تعالى لها زوجة ابن أذاقتها مرارة ما صنعتْ من قبلُ مع حماتها، والشّواهد مِن حولنا أكثر من أنْ تحصى، ومَن لم يتعلّم من الماضي فلنْ يرحمه المستقبل، مصداقًا لقول أمير الشعراء «أحمد شوقي» في سينيّته:

وإذا فاتك التفات إلى الماضي قد غاب عنك وجه التأسي

– لا يقبل الرّجل السويّ أيّ إهانة توجّه إلى أمّه من زوجته ـ أو غيرها من الناس ـ مهْما كان برّه بها باردًا، وكذلك الحالُ مع أبيه وسائر أهله، فذلك يشعره بامتهانِ كرامته ورجولته. فلا ينبغي للزّوجة أن تؤذي مشاعر زوجها بازدراء أيّ من أهله أو انتقاصهم أو سبّهم أو إهانتهم أو بالاشتباك الكلاميّ معهم، وهل سيقف الرّجل متفرّجًا على زوجته وهي تفعل ذلك بأمّه وأبيه وسائر أهله، أم سيتفنّن في إهانتها وإلحاقِ الأذى بها، والنّفور منها حتّى ترى منه أسوأ ما فيه؟

وكذلك الحال تمامًا إذا أهان الرّجل أهل زوجته، أو منعها من برّهم وودّهم ووصالهم، أو انتقص من قدرهم، أو اشتبك معهم بالكلمات واللّكمات، فمن الطّبيعي جدًّا أن تتألّم زوجته ويتفطّر قلبها حزنًا وهي تسمع زوجها وشريك حياتها يهينُ أهلها ويدفعها لعدم برّهم وتجاهل ودادهم والتواصل معهم.

إنّ الرجل الذي يريد أنْ يحيا حياة كريمة لا بدّ له من إكرام أهل زوجته، فكرامتُهم من كرامة زوجته، أمّا الذي يعمد إلى إهانة أهل زوجته إنّما يحطّ من كرامة زوجته ويحطّ معها من رجولته ومروءته.

إنّ المرأة التي تريد أن تعيش معزّزة لا بدّ لها من إعزاز أهل زوجها؛ لأنّ في عزّهم عزّة لزوجها، أمّا التي تعمد إلى إغضاب أهل زوجها إنّما تهين زوجها بطريقةٍ غير مباشرة وتنتقصُ من رجولته فينعكسُ أثر ذلك على معاملته معها فيعمد إلى الإهانة والتجريح والازدراء، فتتآكل أنوثتها وتخبو عاطفتها.

– قد تستكثر الزّوجة قربَ زوجها العاطفي من أمّه وأبيه، وودّه لهما وبرّه بهما، خاصّة إذا أظهر تفضيلهما عليها في أيّ موقف وعند أيّ مناسبة بطريقةٍ تراها هي زائدةً عن الحدّ، والحقّ أنّه لا يعيب الرّجل أنّ الله تعالى ألقى في قلبه حبّ القيام بعبادة برّ والديه، ولكن يعاب عليه ألّا يوازن بين العلاقتين، العلاقة البنويّة التي تربطه بأمّه وأبيه، وعلاقته الزوجية التي تربطه بزوجته.

إنّ الزوج الذي يبرّ والديه جديرٌ بأن تسعدَ به زوجته لأنّها ضمنت زوجًا رحيمًا شفوقًا يرجى منه برّه بها، لأنّه يحمل قيمةَ الاعتراف بالفضل لكلّ مَن له فضل عليه. أمّا الزوج المنكر لفضل أمّه وأبيه فسيسهل عليه أن ينكر فضل زوجته لأنه يعتنقُ رذيلة التّنكّر لأهل الفضل، والتي إنْ وجدت في امرئ أمسى غيرَ وفيّ لكلّ مَن له فضل عليه.

وفي سياق برّ الوالدين، يروى أنّ رجلًا جاء إلى رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– ذاتَ يوم وهو يشكو إليه عقوق ولده، فقال: يا رسول الله، كان ضعيفًا وكنت قويًّا، وكان فقيرًا وكنت غنيًّا، فقدّمت له كلّ ما يقدّم الأب الحاني للابن المحتاج، ولمّا أصبحت ضعيفًا وهو قويّ، وكان غنيًّا وأنا محتاج؛ بخلَ عليَّ بماله، وقصرَ عنّي بمعروفه، ثمّ التفت إلى ابنه منشدًا:

غذوتك مولـودًا وعِلْتُك يافعًا تعـلّ بما أدني إليـك وتنهـل

إذا ليلة نابتك بالشّكوى لم أبتْ لشكواك إلّا ساهـرًا أتململ

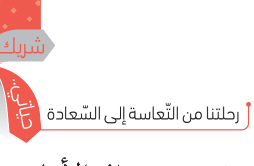
كأنّي أنا المطروق دونك بالذي طرقت به وعيني تهمل
فلمّا بلغت السنّ والغايةَ التي إليها مدى ما كنت منك أؤمّل
جعلت جزائي منك جبهًا وغلظة كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذْ لم ترعَ حقّ أبوّتي فعلت كما الجار المجاور يفعل
فأوْليتني حقّ الجوار ولم تكُ عليّ بمال دون مالك تبخل

فبكى رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- وقال: ما مِن حجرٍ ولا مدر يسمع هذا إلّا بكى، ثمّ قال للولد: أنت ومالُك لأبيك.

إنّ حقوق الوالدين كثيرة، لا خيرَ يرتجى من إنسان لا يبرّ والديه ويصلهم، ولا خير في شريك حياة لا يعين شريكه على ذلك. في تفسيره للآية القرآنية ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ...﴾ (الإسراء، ٢٣) كتبَ صاحبُ الظلال ما يلي:

«... إنّ الحياة وهي مندفعة في طريقها بالأحياء، توجّه اهتمامهم القويّ إلى الأمام، إلى الذرية، إلى الناشئة الجديدة، إلى الجيل المقبل، وقلّما توجّه اهتمامهم إلى الوراء، إلى الأبوّة، إلى الحياة المولية، إلى الجيل الذّاهب، ومِن ثمّ تحتاج البنوّة إلى استجاشة وجْدانها بقوّة لتنعطف إلى الخلف، وتتلفت إلى الآباء والأمهات.

إنّ الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد، إلى التضحية بكلّ شيء حتّى بالذات، وكما تمتصّ النابتة الخضراء كلّ غذاءٍ في الحبّة فإذا هي فتات، ويمتصّ الفرخ كلّ غذاءٍ في البيضة فإذا هي قشر، كذلك يمتصّ الأولاد كلّ رحيق وكلّ عافية وكلّ جهد وكلّ اهتمام من الوالدين فإذا هُما شيخوخة فانية ـ إنْ أمهلهما الأجل ـ وهما مع ذلك سعيدان!



فأمّا الأولاد فسَرْعان ما ينسون هذا كلّه، ويندفعون بدورهم إلى الأمام، إلى الزّوجات والذرية، وهكذا تندفع الحياة.

ومن ثمّ لا يحتاج الآباءُ إلى توصية بالأبناء، إنّما يحتاج هؤلاء الأبناء إلى استجاشة وجدانهم بقوّة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كلّه حتّى أدركه الجفاف»، انتهت كلمات الشّهيد «سيد قطب».

إنّ أولى النّاس باهتمام الرّجل هي أمّه ثمّ أبوه فزوجته وأولاده، وإنّ أولى الناس باهتمام المرأة هو زوجها فأولادها ثمّ أمّها فأبوها. فلقد قسمَ الله تعالى للرّجل أن يكون مفتاحُ جنّته بيد امرأةٍ هي أمّه، فعليه الاجتهاد لكسْب رضاها، كما شاء الله عزّ وجلّ أن يمسك بمفتاح جنّة المرأة رجلٌ هو زوجها، فعليها أن تدأب لتحوزَ رضاه.

عليه بالسّعي لنيل رضا أمّه دون ظلم لزوجته، وعليها بالعملِ على نيل رضا زوجها دونَ إغضابٍ الله تعالى.

وحقّ الوالدين يزداد طلبًا وإلحاحًا إذا كانَا من المسنّين الذين لهم احتياجاتٌ مادية ونفسيّة قريبة الشّبه بالاحتياجات المادية والنّفسية للأطفال الصّغار، ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ ﴾ (يس: ٦٨)، فالأطفال لا يعبأون بشيء قدْرَ تلبية احتياجاتهم الأساسية، بغضّ النّظر عن ظروفِ مَن حولهم، فالرّضيع يبكي في منتصف الليل طالبًا رضعته غير عابئ بما يصيب والديه من كدرٍ في النّوم، وكذلك الطّاعن في السنّ أيضًا قد لا يضع في اعتباره راحةَ مَن حوله قدْرَ ما يهتمّ بقضاء احتياجاته الأساسيّة، تمامًا مثل الأطفال الصّغار، كما قد يغضب الأطفال الصّغار لأتفه الأسباب ثمّ سريعًا ما ينسون ما يغضبهم، تمامًا

مثل المسنّين، وقد لا يكترث الأطفال الصّغار كثيرًا بهندام ملابسهم ولا بجَمال مظهرها قدر اهتمامهم بما تبعثه هذه الملابس من راحة، تمامًا كالمسنين.

إنّ المسنّين يكثرون من الحديث عن الماضي وخيرِ الماضي وإنجازات الماضي وشخصيات الماضي، فهُم ـ في أغلب الأحْيان ـ يعيشون الحاضر بعقل الماضي وقلب الماضي، لذلك كانت حواراتهم لا تَلقَى قبولًا وارتياحًا ـ في الغالب ـ من الأجيال الأحدث والأصغر عمرًا، ومِن هنا يجبُ على مَن يعايش المسنّين تفهّم طبيعة وخصائص مرحلتهم العمرية والعمل بمقتضى ذلك الفهم.

– قد يحدّ الرجل أو يمنع زوجته من زيارة أهلها لأسباب يراها– هو– معقولة ومقبولة ومنطقيّة، وقد يكون لزوجته دخلٌ في هذا الأمر، كأنْ ـ مثلًا ـ ترجع مِن عند أهلها إلى بيت زوجها بوجهٍ عابس غاضب، وبأداء به رفضٌ وازدراء، وبأسلوب به ضيقٌ وحنق، فيدخل في روْع زوجها أنّ ذهابها إلى بيت أهلها يغيّر منها إلى الأسوأ، وأنّ من حقّه تحصين بيته من الشرور ومنع الأضرار عنه، فيضيّق عليها زيارتها لأهلها.

قد يحدّ الرجل أو يمنع زوجته من زيارة أهلها ظلمًا وعدوانًا، أو عقابًا على ارتكاب بعض الأخطاء، أو استخدامها ككارتِ ضغطٍ عليهم لتصفية حسابات أو توقيع عقوبات، أو لأيّ سبب آخر، فعلى الرّجل في هذه الحالة أن يدرك أن زوجته أعزّ وأكرم من أن تعامَل ككوْنها مجرّد كارت ضغطٍ يلعب به للوصول إلى مأرب من المآرب، وعليه أن يفيء إلى الحقّ، وأن يوقن أنّ الله تعالى الذي حرّم الظّلم على نفسه قبل أن يحرّمه على البشر سيحاسبه على هذا، فليستدرك أمره قبل أن يأتي يوم لا بيعٌ فيه ولا خلال، ولا يستخدم منعَ زوجته من زيارة أهلها كأداةٍ لتصفية حساباتٍ معهم أو إيقاع عقوبات عليهم.

كما أنّه من الظّلم أن يعاقب الرّجل زوجته لأنّ أهلها أساؤا إليه، أو تحاسب المرأة زوجها على إهانةٍ طالتها من أهله، إنه توجيه الغضب إلى غير وجهته الصّحيحة، توجيه الغضب إلى البريء، وتحميل شخص عواقبَ أفعال ارتكبها شخص آخر، ولا ينتهي ظلمٌ بخير أبدًا. لقد أراد الله تعالى ـ بعدله ـ أن يكون كلّ إنسان مسئولًا عمّا يقول ويفعل، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر، ٣٨)، وليس هناك مِن بشر سيُسأل يوم القيامة عن فعل غيره.

- إنّ الخلاف مع أهلِ شريك الحياة قد يعكس أثرًا سلبيًّا على الأبناء، فللجدود أدوارٌ لا تغفل أهميتها، ولا يستهان بروْعتها في حياة الصّغار، فهُم يمنحون حفدتَهم (أولاد الابن) أو أسْباطهم (أولاد البنت) نوعًا مختلفًا من العواطف غير ذاك النّوع الذي يمنحه الوالدان، نوعًا فيه كلّ دفء وحبّ وحنان ورقّة وتواضع وخضوع، يمنحون حفدتَهم وأسباطهم أوقاتًا متميزة مسلّية ممتعة، فكيف سيؤدّي الجدودُ هذه الأدوار على وجْهها الصّحيح، وقد تأثّرت العلاقات بالخلافات، ثمّ.. أليس من حقّ الأبناء الاستفادة والاستمتاع بأجدادهم؟

كما أنّ رؤية الأبناء لآبائهم وهُم يحترمون أجدادَهم، طائعون لهم؛ تعلّمهم أنّ للكبير قيمة وثقلًا وأهمية، وأنّه هكذا يحترم الصّغير الكبير، ويطيع الصّغيرُ الكبير، إنّه درس عمليّ وقدوة واضحة لا تحتاج إلى كلماتٍ وعِظات ومقالات. كما أنّ من حقّ الأبناء الاستفادة من وجود كبار لآبائهم ليرجعوا إليهم حالَ وجود خلافات بينهم وبين آبائهم، ويحتموا بهم عند الاحتدامات وتصاعد وتيرة السّيطرة الوالديّة، إنّهم ـ في أحيانَ كثيرة ـ أفضل وأرْوع وأجْمل وأرقّ وألْيَن حائطِ صدٍّ ضدّ الآباء عندما تلتهب العلاقة بين الآباء وأبنائهم.

– إنّه من الأهمية بمكانٍ اتّفاق الزوجين منذ بدْء علاقتهما الزّوجية على شكل العلاقة بوالديهما وطبيعتها وترسيم حدودها وقدرِ التّداخل والتدخّل في حياتهما دونَ مبالغة أو جوْر، ودون تجاهل أو تغافل ما درجت عليه العلاقة بين شريك الحياة وأهله قبل الزواج، ودون التدخّل النّخاعي للكبار في شئون الزّوجين وتربية الصغار، مع ضرورة وجود كبار في حياة الزّوجين حتى يُرجع إليهم حين الحاجةِ إلى استشارةٍ حياتية، أو حين وقوع الخلاف، فدورُ الكبار يعدّ رمّانة ميزان للحياة الزّوجية الجديدة عند الحاجة، أو هكذا مِن المفترض أن يكون.

ولكلّ مِن الزّوجين نصيبٌ في حلّ الخلاف مع أهل شريك الحياة كالتالي:

دورُ الزّوجة مع أهل زوجها، خاصّة حماتها:

لن تستريح الزّوجة الغضْبى من حماتها (أو مِن أيّ فرْدٍ من أهل زوجها) التي تكثر مِن مضايقتها إلّا إذا سلكت طريقًا من ثلاثة:
أخذت حقّها من حماتها،
أو نفّست عن غضبها في وجْه حماتها، أو في وجْه زوجها، أو أيّ شخص آخر بطريقة ما..
أو سامحتْ حماتها،

الخيارُ الأوّل: أخذُ الحقّ، إنّها قد لا تستطيع أخذَ حقّها من حماتها بطريقةٍ مباشرة إمّا لضعفها أو قلّة حيلتها أو أنّ تربيتها تمنعها من أخذِ مواقفَ ممّن هي أكبرُ منها، أو خشية مِن مردودِ ذلك على علاقتها بزوجها، أو غير ذلك.

الخيارُ الثّاني: التّنفيس عن الغضب، وهو أن تنفّس عن غضبها في حماتها، وهذا حمقٌ لأنّ نتائجه الوخيمة معروفة، غضبٌ مزمنٌ من الزوج يعقبه كدرٌ في الحياة الزوجية.

أو تضغط على زوجها بشتّى صنوف الضّغوط لينصفها من أمّه، ويأخذ لها حقّها منها، فلا يستجيب لها كما تحبّ أو يعنّفها كردّ فعل لهذه الضغوط، فتصرّح بأنّه يقف دائمًا في صفّ أمّه، وأنّه لا يأخذ حقّها ً منها، وأنّه يهدر كرامتها أمام أهله، وأنّه لم يعدْ يعبأ بمشاعرها، وأنّها صارت هيّنة عنده، وأنه لم يعدْ يحبّها، وانتهت إلى اتّهامه بأن شخصيته ضعيفة وأنه يخاف من أمّه، وبعدها أهانت شخصَه بوصفه بالجبن، وأنّه ابنُ أمّه التّابع لها، ثمّ تطوّر الأمر إلى الحدّ الذي طعنته في رجولته. إنّ هذه الأساليب تتّسم كلّها بالغباء وضيق الأفق، وستَتَسمّم الحياة الزوجية وتتكدّر، إنّ هذه الأساليب نوعٌ من توجيه الغضب إلى الوجْهَة الخطأ، توجيه الخطأ إلى البريء.

إنّها غضبى من أمّه، فما ذنبه هو؟ وهل جريرتُه التي اقترفها أنّه ابنها؟ وهل يُعاقب الرّجلُ لأنّ أمّه لها أفعال أو أقوال جارحة، إنّ الله تعالى حسمَها في قوله: ﴿...وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ...﴾ (الأنعام: ١٦٤)، هي غضبى من أمّه فعليها أن تكلّمها هي بكلّ أدب الابنة التي تحترم مَن هي في مقام أمّها.

إنّها تنفّس عن غضبها في زوْجها أملًا في أن يطمئنها بكلماته ويريحها بلمساته ويدغدغها بهمساته، وهذا جائز، وقد يكون مستحبًّا لأنّه يريح المرأة بشرط ألّا تطالبه بردود أفعال تصحيحيّة أو انتقامية من أمّه، وألّا تلحّ عليه وتكثر ذات الكلمات والعبارات الشاكية الباكية.

إنّها تنفّس عن غضبها في أولادها، وهذا نوعٌ آخر من توجيه الغضب إلى البريء.



الخيارُ الثّالث: المسامحة، وهي أنْ تسامح حماتها شريطة أنْ تمحو من ذهنها إساءات حماتها، وألّا تراكم هذه الإساءات في صدْرها وتستدعيها حينَ الحاجة، وهذا أمرٌ صعب، ولكنّه ممكنٌ وليس مستحيلًا، وهو أفضلُ الخيارات من أجلها، ومن أجل زوجها واستقرارِ بيتها، ومن قبْل كلّ ذلك من أجل التقرّب إلى الله تعالى الغفور الرحيم.

إنّ الزّوجة الحكيمة هي التي تنتهزُ فرصة وجود حماتها على قيْد الحياة لتزيد من صلتِها بزوجها عن طريق إحسانها لأمّه، بمعنى آخر تستخدم حماتها كقنطرةٍ للوصول إلى قلب زوجها.

دورُ الزّوج مع أهله:

عند وجود خلافاتٍ بين زوجته وأهله يجب أن يأخذ الرجلُ بزمام الأمور دون إملاءٍ من زوجته عمّا ينبغي عليه أن يفعله، وألّا يكتفي بـ «تصبير» زوجته وفقط، كما ليس عليه أن يتجاهلَ أهله أو يزدري ما يفعلونَه معها، فالتوازن مطلوبٌ بدءًا من محاولات التقريب إلى كامل التفريق.

حين وجود خلافاتٍ بين أحد الزّوجين وأهل شريك حياته لن يكونَ هناك مجال لتلافي المشاكل إلّا بالتراحم ومحاولة الإحساس بمشاعر الآخر. إنّ الأمر ليس صراعًا بين قديم وحديث، ولكنّه صراع بين ما اعتاده إنسانٌ وبين ما يرغب في أنْ يعيشه إنسانٌ آخر، صراعٌ ينهيه التّسامح وتقتله المرونة، ويطفئه الودّ والقرب وانتظار الأجر من الخالق جلّ وعلا، صراع بين حياةٍ تبدأ وحياة أخرى في طريقها إلى الأفول، والأصل أنّ الحياة الجديدة هي امتدادٌ لحياة قديمة ليكوّنا معًا نسيج الحياة الممتدّ المتّصل.

على الرجل أنْ يكون قدوةً في معاملة أمّ زوجته في برّها ووصالها والإحسان إليها قبل أن يطلب من زوجته أن تبرّ أمّه.



وختامًا..

٨- النّدّيّة، رأسها برأسه

يريد الرجلُ السّوي بطبيعته الذّكورية أن يشعرَ برجولته بجوار زوجته، ولا يرحّب مطلقًا بأن تكون زوجته رجلًا آخر معه بالمنزل.

تقف الزّوجة بندّيّة أمام زوجها عندما تلعب أدوارًا ولم تهيّأ لها جسديًّا ولا نفسيًّا من قِبَل خالقها جلّ وعلا، حينما تردّ عليه الكلمةَ بكلمة، وتقفُ في مواجهته عند أيّ فرصة وفي كلّ وقت، وتعصيه ولا تطيعه، وتصرخ في وجهه بكثرة، وتسيء إليه بقسوة، ولا تأخذ كلامَه مأخذًا جادًّا، وتنتقص من قدْره أمام نفسها وأمام أهله وأمام النّاس، وتشعره بسيطرتها عليه، وتقرّر وحدَها قراراتٍ دون تفويض منه أو قرارات تعلمُ أنّها لا ترضيه، وتنفّذ ما تريد دون الرجوع إليه، وتتصرّف بحرية زائدة وكأنّها لا تراه بجوارها.

وإذا شعر الرجلُ بالندّية من قِبَل زوجته فسيُبدي لها أسوأ ما فيه، سيعاملُها بخشونة وجفاء وقسوة، وسيتركها تفعل ما قرّرته من دونه بغير تقديم يدِ العون لها، ثمّ يحاسبها على نتائج قراراتها حسابًا عسيرًا أليمًا مُهْدِرًا أنوثتها التي لم يعدْ يراها بعدما لعبت دورَ الرّجل وتجاهلت الرّجل، أو وقفت أمام الرجل ندًّا، ورأسًا برأس.

إنّ الرجلَ والمرأة خلقَا كشريكيْن وليسا كندّيْن، فإذا علم كلّ منهما أدوارَه ومهامّه وأدّاها على خير وجه قدرَ جهده في نطاق حدوده؛ فستتكامل وتتضافر هذه الأدوارُ والمهامّ فتضمّ القوّة إلى القوة وتتآزر الجهودُ لتمضي في طريقها الصحيح، وبذلك يندفع أمرُ الأسرة إلى الأمام بقوّة وسلام، ولكنْ، بالندّية يتناطح الرأسان، فيضعف كلّ منهما الآخر وتوهن القوّة وتتبدّد



الجهود، ولن يستقيم أمرُ أيّ حياة زوجية بها رجلان أبدًا، كما لن تستقيم الحياة بعشّة بها ديكان أبدًا.

٩- عصيانُ الزّوج

إنّ لطاعة الزوج أسرارًا وبركاتٍ لا يعلمها إلّا الله العلي القدير، إنّها بحقّ في الدنيا مفتاحُ استقرار البيت وصمام أمنه وأمانه، وفي الآخرة سببٌ لفوز المرأة بالجنة.

قال صلّى الله عليه وسلم: «إذا صلّتِ المرأة خَمْسَها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها؛ قيل لها ادْخلي الجنّة من أيّ أبوابها شئت» رواه أحمد.

إنّ طاعة الزوجة لزوجها سيجعله:

يتحمّل نتائج قراراته وأوامره وتوجيهاته، ولا يحمّل زوجته هذه النتائج..

يشعر برجولته وقوامته فيغمرها بفضائل الرجولة وروائع القوامة..

يستشعر عظمَ مسئولياته نحْو زوجته وأولاده وبيته، فلا يتنصّل منها ولا يهملها، ولا يلقيها عن عاتقه لتصبح على عاتق زوجته..

يخرج منه أفضلَ ما فيه نحو بيته وأولاده وزوجته.

إنّ عصيان الزوجة لزوجها ستوغر صدرَه، وتستدعي كدَرَه، فيظهر منه أسوأ ما في الرّجال بالنسبة للنساء، وهو أمر لا تحتمله أي امرأة.

ولكنّ ذلك لا يعني أنْ تطيع الزوجةُ زوجها طاعة مطلقة، فالطّاعة إنّما هي بالمعروف، وفى غير المعصية، فلا يجوز لها أن تطيعه إذا أمرها ـ مثلًا ـ بترك الصلاة، أو نزع الحجاب، أو أنْ توافقه في أن يجامعها فى نهار رمضان،

أو وهي حائض، أو في دبرها، أو بمشاهدة موادّ إباحية، أو بشرب مسكر أو إعداده، فليس له طاعة فى هذه الأحوال وما شاكلها، بل تحرم عليها طاعته. والقاعدة العامّة فى ذلك قول الرسول صلّى الله عليه وسلم: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق»، رواه أحمد والحاكم.

لا يعني عدم طاعة الزّوجة لزوجها حينما يأمرها بمعصية الله- عزّ وجلّ- أن تشتدّ عليه بالنكير فى بداية الأمر، وإنما تبدأ بملاطفته ووعظه وتذكيره بالله تعالى، فتأخذ بالتي هي أحسن في معاملته، فإنْ أبى وأصرّ على غيّه، أنكرت عليه وأخذت بالذي هو أرضى لله تعالى، وتركت طاعته التي تكون بمعصية الله عزّ وجلّ.

١٠- قلّة الاحترام

تتحوّل الحياة الزّوجية المفعمة بقلّة الاحترام إلى سلسلةٍ مريرة متواصلة لا تنقطع من التّراشق بالسّباب وتبادل الإهانات بالكلمات تارة وباللّكمات تارةً أخرى، إنّها بيئة بها الصدّ والردّ والجدل والتّطاول والتهكّم والسّباب والإهانة والاحتقار والهوان والإذلال والضّرب، وكلّ ما له شأن بالحطّ من قيمة شريك الحياة، وكمْ رأينا أزواجًا وزوجاتٍ بلغ منهم العمر ما بلغ وهمَا يتشاجران دومًا على أتفه الأسباب، وعند أي موقف، وفي أي مناسبة، سواء فيما بينهما أو أمام الأولاد والأحفاد والجيران والأقارب والأنساب والأصهار.

وإنّه من الصعوبة بمكان استرداد احترام مفقود، ولكنّ الاحترام ـ كقيمة جليلة ـ جديرٌ بمحاولات استرداده، إن هذًا الاسترداد يحتاج مِن الزّوجين إلى أن يتغيّرا فورًا في لغة الحوار، وفي منح شريك الحياة مكانةَ شريك الحياة اللائقة بشريك الحياة، وأنْ يستفيق الطّرف المجني عليه، وينتفض ليرفع عن

نفسه ظلمَ عدم حصوله على احترام يستحقّه، ويعيد لنفسه مكانتها التي أهدرها بتجاهل أو تناسي أو تغاضي شعوره بالمرارة والألم، ويكفّ عن تقديم المزيد من التنازلات التي بها يتآكل الاحترام، ويعترض على تلقّي المزيد من الإهانات، يحتاج هذا الاسترداد إلى عودة الطّرف الجاني إلى صوابه ويكفّ عن مزيدٍ من هتك احترامه لشريك حياته، ويبذل كلّ الجهود لتندملَ الجراح التي أحدثها في حياته الزوجية، لأنّ البديل مرير للغاية، البديل عراكٌ وشجار ما دامت بينهما حياة، وتربيةُ جيل لا يعرف الاحترام بين الجنسين بصفة عامّة ولا بين الأزواج بصفة خاصّة.

١١- استباحةُ خصوصيات الحياة الزوجية

لا توجد في هذه الدّنيا خصوصية بين اثنين قدْرَ تلك التي توجد بين الزوجين، إنّها خصوصية تشمل بحيرةَ واسعة من المعلومات التي تتناول الطّبائع والسّلوكيات والأفكار والأقوال والآمال والطموحات والعادات والذكريات، وكذلك ما يدور بين الزّوجين من تبادل وجهات النظر فيما يخصّ شئون الأولاد والأقرباء والجيران وزملاء العمل، وتبادل عبارات الحب والغزل والرّومانسية، وما يتمّ في العلاقة الجنسية، والتي لا يجوز ألبته الإفصاحُ عمّا يدور فيها من أفعال وأقوال.

ولقد حذّر النبي – صلّى الله عليه وسلّم – الزّوجين من أن يفشي الواحد منهما سرَّ الأخر، كأسرار البيت وأسرار العلاقة بالآخرين، والأسرار المالية، وأشدّ لون من ألوان إفشاء الأسرار شرورًا هي تلك المتعلّقة بالفراش، فقال صلّى الله عليه وسلم: «إنّ من أشرّ الناس منزلةً يوم القيامة الرجلُ يفضي إلى المرأة وتفضي إليه، ثمّ يفشي سرّها» رواه مسلم.

وإنّه من الخسّة استخدام معلومات وأسرار شريك الحياة الخاصّة ضدّه حين وقوع الخلافات واندلاع المنازعات وانبعاث الشّجار، فقد يتسبّب هذا الاستخدام في حدوث شرخ عميق وجرح نازف لا يندمل، يظلّ يزلزل العلاقة الزوجية زلزلة قد تأتي عليها من القواعد. كما أنّ الأسرار الزّوجية لا تحفظ فقط أثناء بقاء العلاقة الزوجية قائمة، ولكن أيضًا تظلّ طيّ الكتمان بعد وفاة أحدِ الطّرفين، أو بعد وقوع الطّلاق وحدوث الفراق.

قد يكون ارتباطُ الزّوجين ـ أو أحدهما ـ بأهله قبلَ الزّواج وثيقًا، والتّواصل معهم عميقًا لدرجة أنه لا تكادُ توجد أسرار بينهم، وأنّ أهل البيت قد اعتادوا على الإفضاء دومًا بما في صدورهم لبعضهم البعض، فكلّ أمر تعرفه الفتاة أو حدث يمرّ بها تخبرُ به أمّها، وكلّ فكرةٍ تجول ببالِ الشّاب أو عمل يقوم به يطلعُ والديه عليه، وإذا ما تزوّج هذا الشابّ بتلك الفتاة ظلّ الوضع على ما تعوّدا عليه، هي تخبر أمّها، وهو يطلع والديه.

إنّ إفشاء الأسرار واستباحة خصوصيّة الحياة الزوجية ستؤلم شريكَ الحياة فيمتعض ويضجر ويغضب ويثور. فأمّها تعرف كلّ شيء عن زوج ابنتها، ما قاله وما لبسَه وما أكله، تعرف ما فعل اليوم والليلة، وكلّ يوم وكلّ ليلة، تعرف أحاسيسه وما يكنّه من مشاعر تجاه كلّ فردٍ، ذلك لأنّ ابنتها لا تكتم عن أمّها شيئًا، أو أنّ أمّها تستدرجها أو تحلبها أو تدعها تسردُ عليها كلّ حركة وسكنة. والأمّ عند معرفتها لأمرٍ سلبي من أمور زوج ابنتها قد تكتمُه في نفسها فيضيق صدرها فيصير كمرجلٍ يغلي، أو قد لا تطيق كتمانه فتلجأ بدافع عاطفتها إلى التدخّل في حياتها الزوجية تدخّلًا قد يخلّ بها، أو قد تندفع إلى إذاعته ونشْره في كافّة الأرجاء ربما دون قصد التّشهير قدر قصد التنفيس.

وكذلك الحال أيضًا عندما تعرف أمّه منه عن زوجته كلّ شيء، ما تلبس

وما تطهو، ومع مَن تخرج وتتحدث، ومن تحبّ من الأقارب ومَن تبغض، وماذا فعل صغارها؟ وماذا قالوا؟ وما لبسوه وما طعموه، وقد يسلم أمّه أو أخته مفاتيح شقته ليدخلوا كيفما يشاؤون ووقتما يشاؤون، فلا تشعر الزّوجة بأنّ لبيتها أيّة خصوصية، وأنّ أشياءها مستباحة، وأنّ أسرارها مذاعة، ويستبدّ بها الشعور بأنّ زوجها يتبع أمّه، وأنّ بيتها ليس ببيتها بل بيتٌ جديد لأمّه، فيتقلص انتماؤها لبيتها، فتتركه المرّة تلو الأخرى لبيت أبيها حتّى تأتي المرة التي ليس بعدها مرّة.

إنّ إلمام ومعرفة واطّلاع أهل الزوجين ـ أو أحدهما ـ على كلّ أو جلّ ما يدور بين الزوجين قد يؤدّي إلى أن يمنحوا أنفسهم حقّ التدخّل المبالَغ فيه في حياتهما الزوجية بدافع المحافظة على هذه الحياة، وقد يتطوّر هذا التدخل إلى نوع من فرض السّيطرة والتحكّم، فتتّسع الرقعة ويكثر المشاركون وتكثر الآراءُ والفتاوى، ممّا يؤدّي إلى الشّعور بأنّ خصوصية الحياة الزّوجية منتهكة، وأنها صارت مَشاعًا، وأنّها ليست منحصرةً بين الزّوجين وفقط، وإنّما صارت سيرة هذا البيت وما يدور فيه على كلّ لسان، سواء كان قلبُ صاحب هذا اللّسان محبًّا أو كارهًا، وأنّها أمست نهبًا لأيّ قائل ولو حسنت نيّته، ومسرحًا لكلّ متطفّل يسوء تدخّله. وعاقبة كلّ ذلك معروفة، حياة زوجية ملتهبة دائمة المشاكل تلوكها كلّ الألسنة، ويتدخّل فيها الصالح والطّالح، مهدّدة بالانهيار في أي وقت.

فلا يجوز إفشاءُ ما يكون بين الزوجين وبين شريك حياته من خصوصيّات وأسرار دون أن تكون هناك حاجة ملحّة لذلك، فمَن أفشى سرّه أفسد أمره، ومَن كتم سرّه ملك أمره، فأضعف الناس مَن ضعف عن كتمان سرّه.

وفي هذا الصّدد قال الفاروق «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه: «مَن كتم سرّه كان الخيار بيده». وقال أيضًا «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه: «سرّك أسيرك، فإذا تكلّمتَ به صرتَ أسيره».

وقال الشاعر:

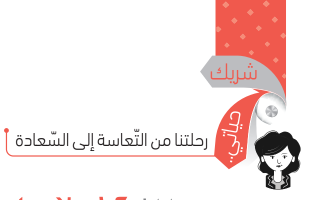
إذا المرء أَفْشَى سِرَّهُ بلسانه ولام عليه غيرَهُ فَهو أحمقُ

إذا ضاق صدرُ المرء عن سرّ نفسه فصدر الذي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

استباحةُ أسرار الحياة الزّوجية وهتك خصوصيّاتها يعملقُ المشاكل ويضخّمها، ويعمّق الخلافات ويجذّرها، وينفخ في كيرها فيستعرُ أوارُها، ويصعبُ بعد ذلك علاجُها وإخمادها.

وعلى النّقيض من ذلك، قد يبالغ الزّوجان ـ أو أحدهما ـ في المحافظة على خصوصية الحياة الزوجية وكتمان أسرار البيت، ولا يستعينا بطرفٍ ثالث للمساعدة في حلّ مشاكلهما المزمنة والعسرة التي فشلا في حلّها معًا، فتتفاقم الأوضاع وتتراكم المشكلات وتكثر التّوترات وتتوالد الأزمات، فكانَ كالمريض الذي استحى من كشف عورته على طبيب، فاستشرى في جسده المرض، وانتشر وتغلغل حتّى قضى عليه.

إنّ احترام الخصوصية والاحتفاظ بأسرارها واجبٌ على الزوجين ما لم يعجزا عن حلّ مشاكلهما بأنفسهما، فإذا عجزا فعليْهما الاستعانة بمتخصّصين في الإرشاد الأسريّ والعلاقات الزوجية، أو بالكبار من أفراد العائلة الذين يتّسمون بالخبرة في المعالجة، والسريّة في المداولة، والإنصاف في المعاملة.



١٢- لا يراها، لا تراه

من أحدِ مزايا الزّواج الفريدة أن يجد الإنسانُ فردًا من الجنس الآخر - غير أهله الذين نشأ بينهم - يهتمّ بشأنه ويعيش معه وله.. وبه.. وفيه، ولكنّ الأمر سينقلب رأسًا على عقب إذا تصرّف الإنسان وكأنّه لا يرى شريك حياته في حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله ومشاعره وكيانه. إنّه مِن أخفى وأخطر الأخطاء الزوجية وقوعًا؛ أخفى لأنّه لا يُرى دبيبه، وأخطرُ لأنّه لا يبقي ولا يذر.

تشعر المرأة بأنّ زوجها لا يراها حينما يمكثُ بجوارها صامتًا، أو يتجاهل طلباتها واحتياجاتها، أو يهملها، أو ينشغل عنها، أو لا يأخذ رأيها في أموره وشئونه وأحلامِه ومشاعره، أو يضغط عليها ليسعدَ الآخرين كأخته وزوجة أخيه، أو إذا تصرّف بمعزل عنها في شأن مِن شئونها المشتركة وكأنّها ليست شريكة حياة، أو إذا أقام بينه وبينها جدارًا عازلًا فاصلًا، أو إذا أخبر غيرها عن أحواله وطلباته ولم يخبرْها هو بذلك، أو إذا التفتَ بكلماته ومشاعره وكيانه إلى غيرها من النّساء...، إلخ.

ويستبدّ بالرجل شعورٌ بأنّ زوجته لا تراه عندما تنتقص من قوامته، أو تتجاهل طلباته ورغباته، أو تؤدّي أفعالًا دون علمِه وكأنّها تعيش وحدها، أو تفعل ما تفعل دون أخذِ موافقة مُسْبقة منه خشيةَ أن يقول لها «لا»، أو تجنّبًا لمنعها من أن تفعل ما تشاء، أو تتّخذ قرارات وحدها دون تفويض منه، أو تتشاجر مع أمّه وأخته وبقية أهله دون الوضع في الاعتبار أنّه منهم وهُم منه، أو تنشغل عنه بأولادها أو عملها أو علاقاتها الاجتماعية...، إلخ.

إنّ الذي لا يَرى شريكَ حياته سيمرّ وقت - طال أو قصر - قبل أن يبادله شريك حياته عدم رؤيته.



الذي لا يَرى لن يُرى ولو بعد حين

ومِن الأمثلة التي توضّح الخسارة الفادحة التي تنجمُ عن كوْنه لا يراها، وعن كونها لا تراه؛ ما يسمّيه الناس «مصارعة الثّيران»، وهي وسيلة لهْو قديمة غير إنسانية وغير إسلاميّة أيضًا، مازالت تمارَس في عصرنا الحاليّ ببعض البلاد كأسبانيا والبرتغال والمكسيك وبعض دول أمريكا اللاتينية مثل بيرو وكولومبيا وفنزويلا والأكوادور.

وحلبةُ هذا النوع من المصارعة دائرية الشّكل، ومساحتها أصغرُ من مساحة ملعب كرة القدم، ويشاهدها جمعٌ من الناس غفيرٌ قدرَ ما تتّسع به المدرجات التي تحيط بالحلبة، وفيها يواجه ثورٌ في عنفوان صحّته وقوّته مصارعًا (أو مصارعة) يسمّى بـالـ»ماتادور»، تلقّى تدريبًا متواصلًا منذ صغره لخوض هذا النوع من المصارعة.

يقف الـ»ماتادور» في الحلبة لمجابهة الثّور مرتديًا بزّة خاصّة مطرّزة غالية الثمن وممسكًا بيده قطعة من قماش زاهية اللّون، وتكون في الغالب ذات لونٍ أحمر أو بنفسجي، ويدخل الثور الحلبة وهو في حالةِ استنفار واضحة، وقد وضعوا له بعضَ المثيرات في مواضع معيّنة بجسده والتي تجعله في حالة هياج واستنفار، ويتلفّت يمنةً ويسرة فيجد الـ»ماتادور» واقفًا يلوّح له بقطعةِ القماش معاكسًا ومحفّزًا، فينطلق الثورُ في ثورةٍ من غضب عارمة وبكلّ قوته لينطح قطعة القماش، والـ»ماتادور» يحرّكها يمينًا ويسارًا، والثور يطاردها يمينًا ويسارًا بإصرارٍ وقوّة، ويظلّ هذا المشهد يتكرّر حتى تبدو على الثّور بوادرُ الإجهاد، ثمّ، يبدأ مسلسل طعن الثّور بالحِراب والسّيوف بلا

أدنى رحمة، فينزف دمّه ويزداد ألمه ويتفاقم إجهاده، ورغمَ ذلك مازال يصبّ جامَ غضبه في قطعة القماش زاهية اللّون، ثمّ في النهاية تخور قواه ويسقط مَن كان فتيًّا قويًّا على الأرض صريعًا مخضّبًا بدمائه، لافظًا أنفاسه الأخيرة وسطَ تصفيق الحضور، كلّ ذلك يتمّ في وقت لا يتعدّى دقائق معدودة.

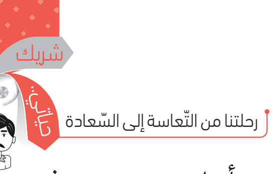
وكأنّ هذا الثور الضّحية لا يرى الـ«ماتادور» المُمسك بزمام اللعبة كلّها، والمحرّك لقطعة القماش زاهية اللون التي أخذت بصرَ الثّور واهتمامه كلّه، فأضلته وكانت سببًا في مصرعه.

لو كان لهذا الثّور الضحية عقلٌ ما أجهد نفسه وشتّت جهده في مناطحة قطعة القماش زاهية اللون، لو كان للثور عقل لنطحَ الـ«ماتادور» المُمسك بقطعة القماش هذه، وقضى عليه من أوّل ضربة ناجيًا بنفسه من موتٍ مسرحيّ مَهين.

هكذا المرأة، كثيرًا ما تلعب دورَ الثّور في حلبة المصارعة، فتشتّت جهدها بين عددٍ من الجبهات وتنشغل بمناطحة حماتها أو حماها أو ضرّتها أو أخت زوجها أو زوجة أخيه أو..، أو..، وتتركُ زوجها بعيدًا دونما تركيزٍ عليه وكأنّها لا تراه.

إنّها تنشغل بغيره وهو معها، فإذا ما تكلّمت معه دارَ الحوار حول حماتها التي قالت ما آذاها وفعلت ما آلمها، وأخته التي سبّتها وضيّقت عليها، وزوجة أخيه التي أحرجتها بما أحالَ المكث بجوارها إلى لحظاتٍ لا تطاق، إنّها لا تراه، بل ترى حماتها وأخته وزوجة أخيه، وسينتهي أمرُها ـ في الغالب ـ كما انتهى أمرُ الثّور، بسقوطها صريعةً لافظّة أنفاسها الأخيرة وسط تصفيق الحضور.

وهكذا يفعل الرّجل أيضًا ولكنْ بدرجةٍ قليلة، فهو قد يركّز على راحة أخته وزوجة أخيه على حساب راحة زوجته التي لا تحبّ كثرة الزّيارات



لها، وهو يريد إجبارَها على القيام بزيارتها رغمَ علمه بأنها ستعود من هذه الزيارات وهي بحالة نفسيّة سيئة.

أنّه رأى غيرها ولم يرَها، فهو منشغلٌ بمشاعر غيرها عن مشاعرها، مهتمّ بنفسية غيرها عن نفسيتها، فستشعر أنه ليس لها، وهو على غيرها أحْرَص، وهو لا يهتمّ بها واهتمامه بغيرها أقوى، وسينتهي أمرُه ـ غالبًا كما انتهي أمر الثّور الذي لم يرَ ما يجبُ عليه رؤيته.

١٣- إهدارُ الرّجولة والأنوثة

إنّ أثمن ما لدى الرّجل رجولته ثمّ أبوّته، وقد تسبق الأبوّة الرّجولة إذا ما كان الرّجل عاطفيًّا. إنّ رجولة الرّجل هي صمامُ أمان حقيقيّ للزّوجة والأولاد والبيت والمجتمع والوطن، فهي تأبى عليه أن يُمسّ أحد من أفراد أسرته بسوءٍ وهو على قيْد الحياة؛ ولذا كان الفائزُ الأساسي من رجولة الرجل هي زوجتَه وأولاده

ولذا كان من الضّروري ألا تطأ المرأة رجولةَ زوجها مهْما كانت درجة رجولته في نظرها منخفضة.

وتطأ المرأة رجولةَ زوجها بالإساءة إليه، وعصيانه، والتّقصير في خدمته، والاستهانة بكلامه وتوجيهاته، والإكثار من لوْمه وتوجيهه ونقده، والانتقاص من قدره أمام نفسها وأمام النّاس؛ خاصّة أهله، والتّقصير في الوفاء بحقوقه الشرعية، إنْ فعلتْ زوجةٌ ذلك فقد أهدرتْ- بجدارة- رجولة زوجها، وستصبح- ولا شكّ- الخاسرة الأساسية بهذا الإهدار.

وهناك صنفٌ من النساء يغلبُ على شخصيّتهنّ الجانب الأموميّ على الجانب الأنثوي، فتديرُ المرأة ظهرها لزوجها وتتجاهله بدرجةٍ واضحة

بسبب تركيزها على رعايةِ أطفالها، فتكثر شكاواه وطلباته التي تراها هي وكأنّها شكاوى وطلبات طفل آخر.

كما أنّ العديد من النساء يقلّلن من أهمية رغبات واحتياجات أزواجهنّ بمجرّد أن يصبحن أمهات. إنهنّ يعتبرن هذه الرّغبات والاحتياجات المشروعة للزّوج، والتي على شاكلة قضاء بعض الليالي خارجَ المنزل أو مشاهدة بعض البرامج الفضائية وأفلام الحركة أو مباريات كرة القدم والمصارعة أو الجلوس باسترخاء لتصفّح الصحف والمجلات والتجوّل في النتّ أو الرغبة المستمرّة في العلاقة الجنسية؛ أمورًا تافهة إذا ما قورنت بالاحتياجات الملحّة والكثيرة للأطفال.

والمرأة التي تفتقد الحكمة حينما لا تجدُ في زوجها معالمَ الرّجولة المرجوّة تنقلب عليه، وتنخر فيما بقي فيه من رجولة بلا رحمة، فتدفعه لإظهار أسوأ ما يفعله رجلٌ مع امرأةٍ من غلظة وجفاء وقهر وقسوة وعدوانية، فترى منه ما يجعلها تكره الرّجال وصنف الرجال وسيرة الرجال.

أمّا المرأة الحكيمة هي التي تُنْعش رجولةَ زوجها ـ حتى وإنْ كانت درجتها قليلة ـ وذلك بالطّاعة، وخفض الجناح، والرّجوع إليه في صغار الأمور وكبارها، والإحسان إليه، والقيام بخدمته، والوضع في الاعتبار كلماته ونصائحه وتوجيهاته، ولا تثقل عليه بلوم أو توجيه أو نقد، وتعلي من شأنه بينها وبين نفسها وبينه أهله وبين الناسً، وتفي بحقوقه الشرعية، وتفجر أنوثتها فيه لتريه أروعَ ما لديها.

كما أنّ أثمن ما لدى المرأة أمومتها ثمّ أنوثتها، وقد تسبق الأنوثةُ الأمومة عند بعض النساء، فأنوثة المرأة تبثّ في الرجل سكينة، وتنتزع منه أفضلَ ما فيه، فالفائزُ الأساسي مِن توافر الأنوثة في المرأة هو زوجها.

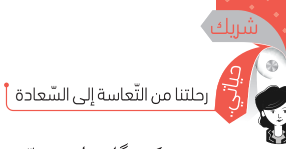
يهدر الرّجلُ أنوثةَ زوجته بامتياز حينما يُهملها، ويسفّه من مشاعرها، ويسيء إليها ويهينها ويزدريها ويتجاهلها ويحتقرها، ويهدّدها بالطلاق أو بتعدّد الزوجات، ويحرمها من الرومانسية المحبّبة إلى قلبها، ويكثر من لومها ونقدها وتقريعها، ويقصر في منحها حقوقها الشرعية، ولا يرعاها الرعاية الواجبة عليه، ولا يحترمها الاحترام اللائق بها، وسيخسر تبعًا لذلك خسارة فادحة.

ولتنمية أنوثة المرأة على زوجها أنْ يعتني بها ويهتمّ، ويكرمها ويحتفي بها، ويكف عن جميع أشكال التهديد بالطلاق أو تعدّد الزوجات، وأن يغذّي حياتها بالرّومانسية والحبّ، ويشجّعها ويحفّزها ويحترمها، ويوفي لها حقوقها الشرعية.

الذي يهدر أنوثةَ زوجته فستقلّ في عينها رجولته..
والتي تهدر رجولةَ زوجها فستخبو لديه أنوثتها.

١٤- الإفراطُ في إسْداء النّصح، وإلقاء الأوامر، وتوجيه النقد

إنّ الإنسانَ المبالغ في إسْداء النّصائح، المُكْثر من إلقاء الأوامر وتوجيه الانتقادات؛ لا يكاد يرى فعلًا لا يرغبه يبدر من شريك حياته، أو يسمع قولًا لا يتقبّله منه إلّا وعلّق عليه بنصح أو أمر أو نقد. إنّه يركّز على البُقع السوداء في الثوب الأبيض، دائمُ النّظر إلى النّصفِ الفارغ من الكوب، مرتديًا نظارة سوداء لرؤية الأشياء والأحياء، إنّه منتبه إلى سلبيات شريك الحياة مُغْفلٌ إيجابياته، متذكّرٌ أوجه قصوره، ناسيًا أوجه كماله، إنّه منشغل بتصيّد الأخطاء وتتبّع النّقائص والعيوب وتجاهل الفضائل والمَحاسن، مرسلٌ إلى شريك حياته رسالةً مَفادها: «سأسلك كلّ السّبل لإعادة صياغة كلامك وأساليب تفكيرك وإدارة أفعالك ومحاولة إعادة تربيتك لتصبح مطابقًا لما أريد».



وكثيرًا ما يتسبّب الإفراط في إسْداء النّصائح وإلقاء الأوامر وتوْجيه الانتقادات إلى تحوّل الأمور الصغيرة إلى معارك كبيرة، الأمرُ الذي سيؤدّي ـ مع الوقت ـ إلى ضياع الاحترام وفقدان الاعتبار، فيصبح مجرّد سماع نغمة صوت شريك الحياة مؤلمًا للطّرف الآخر، فلا يميل للإنصاتِ له أو الحديث معه، ثمّ يتطوّر الأمر ويخيّم الكره فيمقتُ سماع صوته حتّى ولو كان يتحدّث في أمرٍ مُفيد أو يطرح رأيًا سديدًا، فقد أمسى مجرّد سماع صوت شريك الحياة مؤلمًا مستفزًّا يجلب الضيق ويسبب الانهيار.

إنّ كثرة الأوامر والنّواهي والانتقادات هي الأسوأ للفْتِ الانتباه إلى سلبيّات شريك الحياة، الأسوأ لمحاولة تطويره وتحسين أدائه، إنّها أساليب لا تأتي ـ في الغالب ـ إلّا بنتائج عكسية، ولن تجعل شريك الحياة شخصًا أفضل، بل ستشعره بالحطّ من قدره والتّقليل من قيمته وقيمة ما يبذله، وسيكون أكثر مقاومة للتوجيهات والانتقادات.

وعلى النّقيض من ذلك كانت قلّة أو ندرةُ الأوامر والنّواهي والانتقادات هي التي تجلب والتجاوب والوئام والانسجام على أن تقال هذه الأوامر والنّواهي والانتقادات القليلة بأسلوبٍ مناسب وفي الوقت المناسب وبالجرعة المناسبة.

كثرةُ الأوامر والنّواهي والانتقادات تجلب المهانة،
قلّة الأوامر والنّواهي والانتقادات تجلب المكانة.

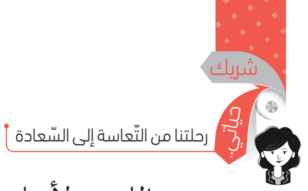
إنّ كثرة الانتقادات من الرّجل إلى زوجته سيؤدّي في بادئ الأمر إلى أنْ تبذل الزوجة المزيدَ من الجهد لتنال رضاه ولتوقف سيول الأوامر والنواهي والانتقادات الجارفة، فإذا لم يكفّ عن ذلك ـ أو يقلّل منه ـ ولم تنلْ هي الرّضا

المنشود فستبذل أكثرَ وتضحّي أكثر، فإذا تأكّدت من أنّ أوامره ونواهيه وانتقاداته لن تتوقّف، وأنّ رضاه صار غاية لا تدرك، وبات سعيها يجهدها ويستهلكها ويستنفدُ جهدها وعمرَها دون فائدة تذكَرُ انتابَها الإحباطُ واليأس، وتقلّصت ثقتها بنفسها، وأصابتها حالة من اللامبالاة، فستترك التّجاوب مع زوجها في الأمور الخاصّة والأسرية وتفقد التواصل معه، وقد تشرع في إهمال أعمالها المنزلية، وتنكمش على أولادها مغذّية أمومتها متناسية أنوثتها.

إنّ كثرة الانتقادات من المرأة لزوجها سيثير حنقه وضيقه، وسيشعره بالاختناق وتقييد حريته والحدّ من استقلاليته وحركته، ويجعل مكثَه بالبيت سجنًا، وكلامه مع زوجته قيدًا، وحياته بجوارها عذابًا، فتراوده نفسُه بالبحث عن راحته بعيدًا عنها خارج بيته، وربما فعل.

من صفات كثير الانتقاد ما يلي:

- التّمادي في إظهار أوجه الاختلاف بينه وبين شريك حياته.
- تعليق كلّ أسباب الفشل في تربية الأبناء وتعليمهم وضعف صلات الرحم وسوء نظافة البيت وترتيبه والتأخر في الترقي والتقدم بالعمل وسوء العلاقة بالأقرباء وبالجيران وزملاء العمل و...، و...؛ على شريك حياته، فكلّ بلاء منه، وكلّ خطأ بسببه، وكلّ قصور جاء من ورائه.
- إكثار الشّكوى وندب الحظّ دومًا.
- استخدام أسلوب الهجوم المضادّ، أو اجترار الحوادث المؤلمة الماضية حينما يواجه من شريك حياة بأي انتقاد أو توجيه.
- محاولة دفع شريك الحياة للاعتراف بخطئه وبالطريقة التي يراها مناسبة.



– اللجوء لأسلوب النقد كردّ فعل لمشاعره السلبية تجاهه.

– قد تكون شخصيته ناقدةً بطبعه، فهو ينتقد داخل البيت وخارجة، في عمله، وبين أقاربه، مع زملائه وجيرانه، أي أنه لا ينتقد شريك حياته لأنه شريك حياته؛ بل لأنه فردٌ ممّن حوله.

– الميل إلى المقارنة بين ما يراه من سلبيات على شريك حياته بتلك الإيجابيات التي يراها عند غيره من بني جنسه.

– قد يكون الناقد من الشّخصيات المنظمة بينما شريكه من الشخصيات الفوضوية سيئة التنظيم، وهذا يعدّ من أحد أهمّ أسباب الانتقاد، ويحتاج إلى تسليط الضّوء عليه بسبب الجهل المطبق به رغم شيوعه، فالإنسان إمّا أن يميل إلى النظام أو إلى الفوضى، فإذا ما كان أحدُ الزّوجين منظّمًا والآخر فوضويًّا فلن يخلو مناخ البيت أبدًا من تدفّق سيول النقد والأوامر والنصائح من المنظم إلى الفوضوي، فتحتقن الأوضاع باستمرار.

من علامات البيت الفوضويّ إهمال التنظيم والترتيب والنظافة، فالعناكب شيّدت بيوتها واستقرّت في زوايا الجدران وعلى إطارات النوافذ والأبواب من شهورٍ مضت، والتّراب يعلو الأثاث والنوافذ وأركان البيت، وقلّما يتمّ نفضه أو كنسه، والحجرات مكتظّة بالأمتعة والأغراض وكأنّها مخازن كبيرة للكراكيب بحيث يصير البيت المتّسع ضيقًا، ولا يتلقى الحمام نظافته الخاصّة وطهارته الواجبة، فبقايا الفضلات تظلّ عالقة داخل المرحاض لمددٍ طويلة حتى اسودّت مخارجه وتغيّر لونه، ويكتظّ حوض غسيل الأطباق بالمتّسخ منها حتى يتعفّن ما فيه، وأنّ كثيرًا من الأشياء ليست في مكانها، أو ليست هناك أماكن محدّدة لكلّ شيء، فالعملات المعدنية في كلّ مكان، والأدوية في كلّ مكان، والكتب في كلّ مكان، والكراكيب في

كلّ مكان فوق الدواليب وتحت الأسرّة وبين الكراسي وبين الدّواليب والحائط وفي الطرقات والشرفات، ودولاب الملابس يكتظ بها اكتظاظًا في غير ترتيبٍ يسهل الأخذ منه، وقد تعلّق الملابس على الدّولاب من الخارج، وهذا المقعد وقد كسرت أحد أرجله تُرك متّكئًا على الحائط وهو غير صالح للاستخدام، وذاك لوحُ الزجاج المكسور خرج من الخدمة تمامًا وقد وضعَ وراء الكنبة، وكثيرًا ما يتمّ نسيان الأشياء والأمتعة والأطعمة الموجودة نتيجة التّخزين السيئ وعدم الترتيب، ويتمّ طهي كميات من الطّعام إمّا لا تكفي احتياجات الأسرة تارة أو تفيض بغزارة تارةً أخرى، وتجهّز السلاطة ولا توضع على المائدة، ويحتفظ بالفاكهة في الثلاجة ولا تخرج منها لتؤكل وكأنّها غير موجودة، وتتعفّن الخضروات والأطعمة والفاكهة بالثلاجة التي غالبًا ما تكون مكتظّة بلا ترتيب، ويترك الغسيلُ بالغسالة بعد انتهاء غسله حتّى تتغيّر رائحته ويلزم إعادة غسله مرّة أخرى، وقد تترك الملابس المغسولة منشورةً فوق الحبال لمدّة طويلة حتّى تضع الطيور عليها فضلاتها، أو تسقط السماء عليه أمطارها فتبتلّ مرّة تلو أخرى.

إنّ البيت الفوضويّ محرومٌ من قواعدَ ونظم تحكمه، فالطعام ليس له مواعيد محدّدة، وأنواعه لا تفي بحتياجات آكليه من النّاحية الصحية، والنوم كذلك ليس له مواعيد منضبطة ولا طقوس تهيئة قبله من ارتداء الملابس الخاصّة به وإضفاء الهدوء وإطفاء الأنوار، والأولاد يستذكرون أو ينامون أو يأكلون في أيّ مكان وعلى أيّ وضع وفوق أيّ أثاث، وكثيرًا ما تستخدم الأشياء في غير ما صُنعت له، فالسّرير صنع للنوم وليس مكانًا توضع عليه الملابس بعد جفافها وجمعها من على الحبال، والمقعد صُنع للجلوس عليه لا لتتراكم عليه الملابس المتّسخة أو توضع فوقه الكتب، ومقابض الأبواب

والشبابيك صنعت لغلق وفتح هذه الأبواب والشّبابيك وليس كشماعات تعلّق عليها الملابس، وغير ذلك كثير.

وتقنع الشّخصية الفوضوية بأقلّ القليل من النّظافة والترتيب والنظام، وتعتقد بأنّ هذا القليل عمل كبير وضخم ورائع، وأنّه كاف تمامًا، وأنّه ليس في الإمكان أبدع من ذلك، ممّا يصيب شريك الحياة المنظّم بالضّجر والغضب واليأس.

والمرأةُ الفوضوية تبدو كربّة منزل مقصّرة لأنّها لا تقوم بطهي الطعام المناسب في الأوقات المحددة المنتظمة، ولا تغسل الثياب وتطويها وتكويها وترتّبها في خزانات الملابس بطريقة منتظمة، ولا تعتني بنظافة بيتها بطريقة دورية كما ينبغي، ويبدو مظهرُ مطبخها مؤلمًا في نظافته وترتيبه. وهي كزوجة قد تكون مقصّرة فلا تقوم بخدمة زوجها كما يجب ويحبّ، ولا تعدّ ما يلزمه من نفسها وطعامه وثيابه وتنظيم حياته داخل البيت، كما قد تظهر تقصيرًا في القيام بخدمة ضيوفه، ممّا يضطرّ زوجها إلى اللجوء إلى بدائل كتناول طعامه خارج بيته وإلى إرسال ملابسه إلى المغسلة ليتمّ غسلها وكيّها، وإلى إكرام ضيوفه خارجَ منزله أو الإتيان بلزوم الضّيافة من الخارج، أو يقلل كثيرًا من دعوة الضّيوف لبيته، وغير ذلك ممّا يشعره بغيابِ زوجته عن حياته، وافتقاده إلى مدّه بالمساندة والدعم.

وهي كأمّ قد تبدو مهرجلة ـ في غير تقصير ـ في رعاية أولادها وتعليمهم والقيام بتربيتهم وخدمتهم والاستذكار معهم. وهي لم تلقّن بناتها أصول التّرتيب والنّظام والنظافة والطّهي والقيام بسائر مهامّ البيت لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، ولم تعلّم صبيانها القيام بمسئوليات الرّجال واتّخاذ القرارات وتحمّل النتائج، فخرج من تحت يديها أبناء وبنات لا يستطيعون إدارة بيت ولا القيام بالحفاظ عليه وبقائه.

أمّا الرّجل الفوضوي فأداؤه استفزازيّ لزوجته المنظّمة، فلطالما وجّهته ليضع ثيابه التي يخلعها مكانها فوق الشماعة أو داخل خزانة الملابس أو مع المتّسخ من الثياب ليتمّ غسلهم، وكم طلبت منه أن يضع حذاءه في مكانه بجوار الباب، وترجّته ألّا يترك بقايا الطعام والشّراب بجوار مقعده أو أسفل سريره على الأرض، ولكنّه ـ لأنّه فوضوي ـ لا يستجيب أبدًا وإن استجاب مرّة فسيعقبها مرّات عديدة من التجاهل أو النسيان أو عدم الاكتراث.

وقد يكون الرجل منظّمًا ولكنّ ما يفعله قد يوحي بأنّه فوضوي، فهو يترك ملابسه على الأرض بعد خلعها ويريد من زوجته وضعها في مكانها المناسب إمّا على المشْجَب أو مع الملابس المتّسخة، ويترك المائدة بعدما تناول طعامه في حالة يرثى لها اعتمادًا على زوجته في تنظيفها، إنّه يحبّ النظام ولكنّه لا يساعد في أدائه لأنّه يريد من زوجته ـ أو ثقة فيها ـ أن تقوم بهذا الدور على أكمل وجه.

ورغم ذلك كان أثرُ الرّجل الفوضوي على زوجته وأولاده وبيته أقلّ ضررًا من أثر المرأة الفوضوية على زوجها وأولادها وبيتها؛ لأنّ المرأة ـ في الأساس ـ هي المَنوط بها تنفيذُ برنامج نظافة البيت وترتيبه، وهي المسئولة الرئيسية عن تنظيم مواعيد الطعام والنّوم وسائر الأعمال الروتينية للأسرة والبيت، فإذا ما اختلّ أداء المرأة في هذه البرامج فسيصير البيت كلّه رمزًا للفوضى.

إنّ الفارق بين المنظّم والفوضويّ يكاد ينحصر في أمريْن لا ثالث لهما، هما: الرّؤية والحركة الإيجابية، فعين المنظم ترى ما لا تراه عين الفوضوي، وهي تتأذّى عند رؤية الفوضى، أمّا عين الفوضوي فقد اعتادت على رؤية الفوضى وألفتها حتّى صارت الفوضى عندها أمرًا عاديًّا طبيعيًّا، كما أنّ المنظّم بعدما يرى الفوضى يتحرّك لينظّم ويرتب وينظف ويزيل الفوْضى أو تندلع ثوراتُ الغضب والضّيق والحنق، ويأمر أحدًا بالنظام والترتيب



والنظافة، أمّا الفوضوي إذا حدث ورأى أمرًا يستدعي التنظيم والترتيب والنظافة فسيظلّ سلبيًّا لا يتحرّك لينظم ويرتب وينظف.

فيجب على الإنسان الفوضوي ـ ذكرًا كان أم أنثى ـ أنْ يدرّب عينه أولًا على ملاحظة أيّ خلل في النظام والترتيب والنظافة، ثمّ يدرّب جوارحه على التحرّك لإصلاح الخلل دون توانٍ أو تأخير.

فإذا ما تمّ تدريب الفوضوي وصار يهتمّ بالنظام والترتيب والنظافة الاهتمام الصحيح ومؤدّيًا لهم التأدية الواجبة وصار البيت مثالًا للنّظام والترتيب والنظافة؛ فلن يعود هناك مكانٌ للنقد والتجريح واللوم والتقريع، إن كان السبب الأساسي في ذلك كوْن أحد الزوجين منظّمًا والآخر فوضويًّا.

١٥- الابتعادُ والخصام

قد تلجئُ الظّروفُ الزوجين إلى العيش مُتباعدين عن بعضهما البعض بغرض الدّراسة أو العمل أو تعليم الأولاد أو نتيجة كثرة الخصام بسبب تعاقب الخلافات والمشاجرات، وهذا كلّه ـ سواء كان السبب وجيهًا أو سخيفًا ـ يهدّد التفاهم والانسجام والإعفاف والوئام، وإنّما جعل الله تعالى الزّوجين ليظلّا معًا في كنفِ بيت واحد؛ لا أن يعيشَا في حالة ابتعاد هادم أو خصام قاتم.

والرّجل ـ بطبيعته الذّكورية ـ يعيش وفقَ ما تمّ برمجته عليه، فقد يبرمج نفسه على الحياة بعيدًا عن زوجته وأولاده، وقد يستريح على هذا الوضع.

والمرأة قد تميل إلى الابتعاد عن زوجها بعدما قضت معه حياة زوجية زاخرة بالنّكد والغمّ والألم والضيق والخلافات والمشاجرات والمشادّات، فتشعر بهذا الابتعاد براحةٍ وكأنّ همًّا قد أزيح من فوق صدْرها، لتتفرغ بعده لنفسها ورعاية أولادها.

وإذا اختار الزّوجان ـ أو أحدهما ـ الابتعادَ والخصام كحلٍّ لتهدئة الأجواء بينهما فقد يحدث أمرٌ من اثنين: إمّا أن يزداد الشّوق ويلتهب القرب، فيعود الزّوجان إلى بعضهما البعض بعدما ذاقا مرارة الابتعاد والخصام، فيصبحان أشدّ استمساكًا ببعضهما البعض، أو أن يريح هذا الابتعادُ والخصام أحدَ الزوجين أو كلاهما فيصبح من الصعوبة التي قد ترقى ـ في أحيان قليلة ـ إلى درجة الاستحالة؛ جمعُ شملهما مرّة أخرى، فالابتعاد صارت به الرّاحة المفقودة، فما الذي يجبر الذي استراح على العودة إلى النّكد والهمّ والغمّ والألم والضّيق؟ إنه يعني اللاعودة.

وبذلك كان الابتعادُ والخصام مقامرةً غير محسوبة أو محسومة النتائج على وجه الدقّة، فحينًا تقرب بين الزوجين وحينًا آخر تفرق بينهما.

١٦- توسيعُ الفجوة

في مُعظم الخلافات الزّوجية يجتهد الزوجان بكلّ صدق في تضييق هوّة الخلاف بينهما، فإذا بأدائهما غير الموفّق تزداد هذه الهوّة اتّساعًا وعمقًا، فأحدهما يبدأ بإحداثِ الفجوة والآخرُ يشرع في توسيعها، فيردّ الذي أحدثها بردٍّ سلبيّ يزيدها اتساعًا، فيواصل الآخرُ مبادلته بردٍّ سلبيّ آخر فيزداد الخرق اتساعًا، وهلمّ جرّا، إنّهما كمَن ينفخُ في النيران فيشتدّ لهيبها ويزداد أوارُها وهُمَا يقصدان إخمادها.

إنّه علاج الخطأ بارتكاب سلسلةٍ من الأخطاء الجديدة، إنّه حلّ مشكلة باستحداثِ مشاكل أخرى، فصار هناك عددٌ من المشاكل، مشكلة قديمة وأخريات حديثة، وكلّها تحتاج إلى حلول.

ومن موسّعات الفجوة ما يلي:

أوّلًا: ردودُ الأفعال غير النّاضجة:

هو أرادَ الخروج من البيت على غير رغبتها فأخفتْ عنه مفاتيح سيارته لترغمَه على المكث بالبيت، فاستشاط غضبًا ونهَرَها، فازدادت عندًا وصياحًا فتشاجرَ معها، وتطوّر الأمر حتى مدّ يده عليها وضربها. بدأت الفجوةُ برغبة خروج على غير إرادة زوجته واتّسعت الفجوة بسببه مرّة وبسببها مرّة أخرى حتّى صارت الفجوة هوّة، واختتم الموقف العصيب المتصاعد بالضرب.

هي أرادتْ زيارة أمّها فرفض، فغضبت وباتتْ تذكّره بسيلٍ من الضغوط والآلام التي اعتصرتها بسببه، فثار عليها ونعتَها بذات القلبِ الأسود التي لا تنسى ماضيها الأليم معه، فازدادَ غضبها وعلا صوتها، فنهَرَها ووكَزَها ودفعها فانطرحت أرضًا صارخة. بدأت الفجوة برفضه لرغبتها في زيارة أمّها، وظلّت تتّسع وتتّسع حتّى انتهت وهي على الأرض.

بالرّغم من أنّ أداءه الجنسي سيّئ بالنسبة لها فهي لم تخبرْه بذلك، ولكنّها عمدت إلى ترك فراشه وذهبت لتنام في غرفة الأطفال وسطَ صغارها، فاحتقنَ زوجها وضاق ذرعًا، وازداد احتقانه وضيقُه مع الأيّام، وهي تزداد اعتراضًا وتجنبًا حتى تكدّرت الحياة الزوجية وصارتْ زاخرة بالمَشاكل والخلافات. بدأت الفجوةُ بسوء الأداء الجنسي ثمّ اتّسعت حتى أفضت إلى حياةٍ زوجية ملتهبة في عدّة جبهات.

لقد بدأ أحدُهما بالفعل الخطأ فردّ الآخر بفعل خطأ لا يتّسم بالنّضوج، وتوالت الأفعال الخطأ تترا حتى استفحل الأمر.

وإنّما النضوج في أنْ يتوافر بين الزّوجين المرونة والاتّفاق والتراضي والهدوء والتغاضي، وإن بدأت مشكلة تطلّ برأسها محدثةً فجوةً بينهما فيجب تضْييقها وليس توسيعها حتّى تندمل تمامًا وتختفي، وحين وجود مشكلة كبيرة خارجة عن الإرادة والسيطرة ـ كسوء المعاشرة الجنسية ـ فعليهما المبادرة بالرّجوع إلى المتخصّصين ليصفوا العلاج المناسب.

ثانيًا: تجْييشُ الجيوش، الاستقواء بالغير:

عند احتدام الخلافات الزوجية قد يعمدُ الزّوجان ـ أو أحدهما ـ إلى إقحام غيرهما فيها، ربّما كنوع من «الفضفضة» أو أملًا في تدخّل ينقذ الزواج من الانهيار، أو في تدخّل يكتسب به أنصارًا، وقد تتّسع رقعة الملمّين بهذه الخلافات لتتخطى محيط الأسرة إلى بقيّة الأقارب والأصدقاء والمعارف والجيران، وبذلك يعلم القاصي والداني ما لا ينبغي أن يُعرف، فيكثر المتدخّلون، ويتعاطف المتعاطفون، وتتناثر التّوجيهات والنصائح، وتتكاثر الأكاذيب وتنمو الشائعات، وتتحول الخلافات إلى قصصٍ يؤخذ منها العبر، وربما يشمت الشّامتون، كقول أبي الطيب المتنبي:

ولا تشكُ إلى خلق فتشمته شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

معناه: لا تشكُ إلى الناس حالَك كشكوى الحيوان الجريح إلى الطّيور المترممة التي ترقب موته لتأكله.

ربّما قد تفيد التدخّلات الضيقة في إصلاح ذات البيْن وتقريب وجهات النظر وإنهاء الخلافات، ولكنها بمثل هذه الصورة الواسعة قد يكون ضررها أكبرَ كثيرًا من نفعها.

لقد تحزّب الناس إلى فريقين: الأوّل يقف خلف الزّوج داعمًا ومؤيّدًا، والثاني يساند الزوجة مسدّدًا ومؤازرًا، لقد أصبح هناك جيشان يقفان في

مواجهةٍ بعضهما البعض، على رأس الأوّل الزوج وعلى رأس الثّاني الزوجة، فازدادت رقعة المشكلة وازداد المشاركون في إخمادها وإطفائها ممّا قد يفضي إلى العكس، إلى إيقادها وإشعالها، فكم من مشكلة تنامت بهذه الطريقة، واحتشدت الجيوش في انتظار النّفير، وتأزّمت الأمور تأزّمًا يصعب الرّجوع فيه، حتّى إن أراد قائدا الجيشين ـ وهما الزوجان ـ الصّلحَ فلن يتمكّنا بسهولة من بلوغه وإطفاء احتقان الجيشين.

وإنّه من أسوأ وأخسّ وسيلة لتجييش الجيوش هي استقطاب الأولاد واستخدامهم لصلح طرف ضدّ الطرف الآخر لينال الطّرف المستخدم مكسبًا على حساب أعصاب ونفسيّة ومشاعر ومستقبل الأولاد، إنّ أسوأ جيش هو من ضمّ في صفوفه الأولاد، وإنّ أسوأ الوالدين وعيًا وإدراكًا هو مَن يحاول استقطاب الأولاد وجعلهم جنودًا في صفه.

ولذا كانت إحدى الحِكم في اللجوء إلى حكم واحد من أهله وحكم واحد من أهلها في الإصلاح بين الزوجين هو ألّا يكون هناك جيشان يتأهّبانً لخوض معركة الكلُّ فيها خاسر، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥ ﴾ (النساء: ٣٥).

إنّه من الأوجب عدمُ إقحام أحدٍ في المشاكل الزوجية إلّا إذا فشل الزوجان في حلها بمفردهما، ووجدا أن أداءهما في حلّها يبقيها حيّة أو يزيدها تفاقمًا، حينئذ يجب أنْ يلجئا إلى رجليْن كبيرْين أمينيْن حكيميْن؛ واحد من أهله والآخر من أهلها لعلّهما يوفّقَا في الإصلاح بينهما، أو يراجعا متخصّصًا في العلاقات الزوجية ليساعدهما في الوصول إلى الحل المناسب.



١٧- تخزينُ واجترار آلام الماضي دومًا

كثيرًا ما يحدث أثناءَ الحوار الزّوجي السّلبي أن ينبش أحدُ الزّوجين في إحباطات الماضي، ويستدعي من الذاكرة آلام الماضي، ويجترّ مشاكل الماضي، فيبدو وكأنّ صدره مليء بالذّكريات السوداء، وذاكرته تحتفظ بالمشاكل والخلافات والآلام، وأنّه لا يعرف المسامحة.

كثيرًا ما تلجأ المرأة ـ وأحيانًا بعضُ الرجال ـ إلى اجترار المشاكل والخلافات القديمة كتعبير قويّ على أنها الآن متألمة من زوجها، الآن محبطة بسببه، الآن غاضبة منه، وأنّ اجترار المشاكل والخلافات القديمة ما هي إلّا وسيلة تؤكد بها لنفسها أنّ لها الحقّ فيما أصابها الآن من إحباط وألم وغضب تجاه زوجها، وأنّ هذه المشاعر السلبية التي تشعر بها الآن ليست وليدة اللّحظة، ولكنها نتاجُ تاريخ طويل من الإحباطات والآلام والغضب، ظلّت تتراكم مع الأيام حتى غلى بها القدر وضاق بها الصّدر.

ولذا كانت «الفضفضة» التي تميل إليها النساء هي الوسيلةَ الأنجع في التنفيس عمّا يعتمل في الصدر من مشاكل وضغوطات، إنّها نوع من تسريب البخار من القدر حتى لا ينفجر.

تتمّ «الفضفضة» بين المرأة ومَن تحبّ مِن الناس، تتمّ بين المرأة وزوجها أو أمّها أو أختها أو صديقتها أو قريبتها أو جارتها، فإذا أرادت المرأة أن تفضفض مع زوجها فذاك لأنّه حبيبها والقريب إلى قلبها، إنّ فضفضة الزوجة لزوجها إشارة إيجابيّة قوية للعلاقة الزّوجية الجيدة، إنها تفضفض إليه لأنّها تحبّه وتثق فيه بأنّه سيمنحها الدعم النفسي المناسب وسيشاركها مشاعرها.

أمّا إذا فضّلت المرأةُ الفضفضة مع أمّها أو أختها أو صديقتها أو غيرهنّ أكثر من تفضيلها الفضفضة مع زوجها فذاك بمثابة دقّ ناقوس الخطر، فذاك يعني أنّه قد صار هناك آخرون أقرب إلى قلبها من زوجها، صارت أمّها أو أختها أو صديقتها أقربَ إلى قلبها من زوجها.

كما أنّه أثناء السّير في خطى الإصلاح بين الزّوجين لا يجب بأيّ حال من الأحوال النظرُ إلى الماضي وما حدث به من خلافات ومشاكل ومصائبَ وكـوارث، وطالما بدأ الإصلاحُ فلا يُلتفت إلى الماضي إلّا لأخذ العبرة والدرس، فالنظر إلى الماضي المؤلم يضع العراقيل في طريق الإصلاح، فيصبح المستقبلُ المأمول كمستنقعِ الماضي الآسن، بل أشدّ وأنكى.

١٨- حلّ مشكلة أحدهما يستجلب مشكلةً للآخر

إنّ الحياة الزّوجية الصحيحة لا يكون فيها طرفٌ فائز والآخرُ خاسر، بل يكون فيها الزوجان إمّا فائزين معًا أو خاسرين معًا، أمّا عند تكالب المشاكل والخلافات وفقْد الأمل في تحسّن الأحوال سيلجأ كلّ من الزّوجين إلى حلّ مشاكله بنفسه وبطريقته التي تريحه حتّى لو خلّفت وراءها مشكلة عند الطرف الآخر.

لكم ضايقته زوجتُه في أمور عدّة ونصحها كثيرًا وزجرها طويلًا ولا فائدة، فاختار الزّواج من أخرى، فأصابها بالغمّ والكرب، لقد حلّ مشكلته على حسابها.

ولكمْ أتعبها وضيّق عليها وأذلّها وأهانها ولم يستجبْ لرجائها وتوسّلاتها ودموعها فأوْلته ظهرها وأدبرت عنه وانصرفت تربّي صغارها رافعةً عليه قضية طلاق أو خلع، لقد حلّت مشكلتها دون أن تأبه به ولا



برغبته في الإبقاء على بيته قائمًا.

إنّ هذا الأسلوب سيريح أحدَ الزّوجين قليلًا، بينما يزداد الآخر وجعًا وألمًا.

١٩- عدمُ تلقّي الدّعم والمساندة بالكمّ والكيف المناسبيْن

إنّ الحياة بصفة عامّة، والزّوجية بصفة خاصّة؛ عامرةٌ بالمواقف الصّعبة المؤلمة كاعتلال صحة، أو خسارة مال، أو فصل من وظيفة، وحين وفاة أو فراق قريب أو حبيب أو غيرها، في مثل هذه المواقف يحتاج الإنسان إلى تلقّي الدّعم والمساندة المناسبيْن ممّن حوله، خاصّة من شريك حياته، وهذا التلقّي من أجمل وأجلّ فوائد الزواج.

ولكنّ الوقوف إلى جانب شريك الحياة وتقديم الدّعم له حين حاجته له قد لا يتمّ بالطريقة التي تناسبه وبالجرعة التي لا تلائمه، وفي الوقت الذي لا يناسبه، وكلّ ذلك ضرره أكبرُ من نفعه.

لكلّ جنس طريقةُ دعم ومساندة تناسبه ولا تناسب ـ في الغالب ـ مع الجنس الآخر، ﴿...وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ...﴾ (آل عمران: ٣٦)، فهو ـ غالبًا ـ يقدّم لها الدّعمَ بإخلاص، ولكنْ بالطريقة التي تناسب الرجال، ولكنّها لا تصلح مع النساء بأي حال من الأحوال، وهي ـ غالبًا ـ مُخلصة في بذل الدّعم له ولكنْ بالطّريقة التي تناسب النساء والتي لا تفيد الرجال من قريب أو بعيد، كلاهما يخطئ في دعم شريك حياته ومساندته بالطّريقة المناسبة وهو يحسب أنه يُحسن صنعًا.

– هو يريد أنْ يهدئ الأجواء عقب مشاجرة فيتركها وشأنها أملًا في تهدئة الأجواء، وهذا يضرّها أيّما ضرر، فتركها وهي في هذه الحالة يزيد من آلامها.

- هي تريد أنْ تسانده في حلّ مشكلة فتلحّ عليه وتكرّر النصح والتوجيه، وهذا يؤلمه.

أو قد لا يساند أو يدعم شريك حياته في الوقت الذي يريد منه المساندة والدعم.

- لقد مرض فلم تكن بجواره مطبّبة مهدئة،
- تعرّض لأزمةٍ مالية ولم يجدها معه مؤازرة ومساندة..
- توفّي والدها ولم يكن معها حانيًا ومواسيًا،
- أرادته بجوارها أثناء ولادة طفلها فلم تجده مخفّفًا ومساندًا..

إنّها مواقف سلبية لا تُنسى بسهولة، بل تترك أثرَها النازف ربّما لآمادٍ طوال، ولذا يجب الاعتراف بالتقصير وطلب العفو والمسامحة ومحاولة عدم تكرارها بعد ذلك أبدًا.

أرْوعُ دعمٍ هو الذي يأتي في وقتِه المناسب، وبالطريقة المناسبة، وبالجَرعة المناسبة،
فلا دعم يُذكَر بعد فواتِ وقته، وعيب طريقته، وخلل جرعته.

٢٠- عقدُ المقارنات السلبية

حينما تتشعّب المشكلات وتتعملق الخلافات بين المرء وشريك حياته يبدأ عقلُه في تذكّر مَن كانوا أحبابًا له في الماضي من الجنس الآخر، ويسترجع بعضًا من مواقفهم الجميلة، فيبدأ قلبه في الخفقان نحوهم من جديد.

أو،

يشرعُ في التّنقيب في مَن هُم حوله من الناس بحثًا عمّا كان احتياجًا

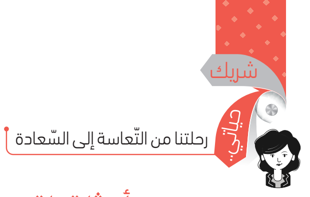
مأمولًا ومفتقدًا في شريك الحياة فإنْ وجد بغيته انتبه إلى مَن يملك منحَ هذا الاحتياج له، ويبدأ مع هذا التذكّر والخفقان والتّنقيب في عقد المقارنات بين ما كان يرجوه وبين واقعه، وبين ما هو جيّد عند الآخرين وبين ما هو سيئ عند شريك الحياة، فيتنامى الضّيق والبغض تجاه شريك حياته ويتضخم معه ظلم النفس وظلم شريك الحياة. إنّ هذه المقارنات هي المدخل الذي يلجُ منه الشيطان ليعكر صفو الحياة بين الزوجين ويفرق بينهما.

إنّ عقد المقارنات بين شريك الحياة وبين الآخرين صورةٌ من صور النّقد الهدّام والتوجيه غير المقبول، سواء كانت مثل هذه المقارنات تدورُ في ذهن الإنسان فقط ولا ينطق بها لسانُه أو تكون منطوقة، بالإضافة إلى أنّ عقد هذا الصنف من المقارنات يزرع البغضَ وينمّي الغيرة، فماذا يتوقّع من إنسانٍ توجّه إليه عبارات تعني أنّ هذا أو ذاك أفضل منه في كذا وكذا؟ أو أنّ هذا أو ذاك يفهم عنه في أمور عدّة؟ أو أنّ هذا أو ذاك أجمل منه وأرْوع؟ أينتظر منه أن يتطوّر ويتبدل أم يعند أو يُحبط؟

أمثلة:

- إنّها تقارنه بأبيه المنظّم النشيط لأنه في نظرها فوضوي وكسول.
- إنّها تقارنه بحبيب سابق لأنّها لا تأخذ منه ما يرويها من الرومانسية والحنان والاهتمام.
- هو: أنت لا تجيدين الطّهي مثل أختك.
- هو: نفسي أشوفك تهتمّين بمظهرك وشياكتك مثل أمّك.
- هي: أنت ليه مش طالع قويّ الشخصية زي أبوك؟

إنّما المقارنات الناجحة الإيجابية هي التي تعقد بين الإنسان ونفسه، بين ما كان عليه بالأمس وبين ما أصبح عليه اليوم سواءً كان هناك تحسينًا أو تدهورًا.



أمثلة لتحسّن الوضع:

- هو: «الله، تسلم إيدك، أكلة جميلة، أصبحت طاهية ماهرة»، لقد كانت لا تجيد الطّهي بالماضي ولكنها أصبحت الآن فيه ماهرة.
- هي: «ما شاء الله، لقد تحسّنت كثيرًا وأصبحت ترتّب كتبك وتعلّق ملابسك»، لقد كان غير منظم بالماضي، ولكنه الآن صار منظّمًا.

هذان المثالان يوضّحان أنّ الأوضاع تتحسّن.

أمثلة لتدهور الوضع:

- هو: «هذا ليس طبعك، فقد عرفتك صابرة، فقد كنت تصبرين على الأطفال في الماضي أكثر من ذلك»، لقد كان أكثر صبرًا في الماضي عن الآن.
- هي: «أنا مش متعوّدة منك إحراجي أمام أهلك بهذا الشّكل، فقد كنت أكثر رقّة معي من قبل»، لقد كان رقيقًا في الماضي، ولكنه الآن صار قاسيًا.

هذان المثالان ينذران بأنّ الأوضاع تتدهور.

وفي كلتا الحالتين ـ التحسّن والتّدهور ـ تكون المقارنات التي تعقد بين المرء ونفسه وليس بين المرء وغيره هي الإيجابية؛ لأنّها تحفّز شريك الحياة على التغير للأفضل وتحثّه للتطوير والتحسن.

٢١- لا تراه رجلًا، لا يراها أنثى

قد يرى الإنسان في شريك حياته نقصًا في رجولته/ أنوثتها بسبب من اثنين:

أولاهما: أنه/ أنها رسم/ رسمتْ في الذّهن مقاييس رجولة/ أنوثة مثالية غير واقعية، وطمح/ طمحت في أن يناها/ تناها من شريك الحياة،

والحلّ في الهبوط على أرض الواقع والكفّ عن التحليق في سماء الأوهام، وتحطيم تلك الصورة الذهنية أو إعادة رسمها لتلائم الواقع.

ثانيهما: أنّ الإنسان بالفعل تنقصه/ تنقصها الشّعور بتوافر معاني الرجولة/ الأنوثة المرجوة في شريك حياته، وله/ لها في ذلك مسلكيْن: الاستمتاع بما هو موجود منها، واستنهاض ما هو ضعيف فيها بالتّشجيع والمؤازرة والتقدير والاحترام والتغاضي عمّا هو غائب عنها، فيندفع الزّوجان لإخراج أفضل ما لديهما، كما كان حال الأسر في الماضي القريب، ممّا منح هذه الأسَر استقرارًا والحياة الزوجية استمرارًا.

فلا بدّ من أوبة، والرّضا بالقدر المتوافر من الرّجولة والأنوثة مع استنهاض المرأة لرجولة زوجها، وتحفيز الرجل لأنوثة زوجته، حتى تستقرّ ستعصف الفتنُ بالبيوت وتتفكّك الأسر التي ـ جزئيًّا ـ خلتْ نفسيًّا أو فعليًّا من جمال الرجولة وروعة الأنوثة.

٢٢- الاستهانةُ بطلبات شريك الحياة

جعل الله تعالى طلباتِ واحتياجات الرجل التي يريدها من زوجته تافهةً في نظرها سهلة في أدائها، وجعل طلبات المرأَة واحتياجاتها التي تبتغيها من زوجها تافهة في نظره، وسهلة في تلبيتها.

لماذا؟..

ليسهّل على كلّ طرفٍ تأدية وتلبية احتياج الطّرف الآخر بكلّ يُسر وسهولة.

طلباتُه تافهة بالنّسبة لها، وطلباتُها تافهة بالنسبة له
ليسهلَ الأداء وليس ليتمَ الازدراء



ولكنّ الذي يحدث..

أنّ الرجل يزنُ طلبات زوجته بعقله الذّكوري فيراها تافهة فيهملها ولا يؤدّيها لها فيحزنها، إنّه يرى أنّ وقته أثمن من أن يضيّعه في مثل هذه التوافه من الأمور!!

هي: «نفسي تقول لي أنا بحبك».

هو، يحادث نفسه: «هو أنا فاضي أقول لها كلّ شوية أنا بحبّك، أنا بحبّك، ما أنا بحبّها بالفعل، الستات دول مخّهم فاضي». إنّ قول الرجل لزوجته «أنا بحبّك» لن يكلفه مالًا ولا جهدًا ولا وقتًا ولا ترتيبًا، إنه سيأخذ شهيقًا ثمّ وهو يزفره سيقول «أنا بحبّك»، ولا مانع من أنْ يسبّل عينيه قليلًا ليزيد من وقع كلماته عليها، هذا كلّ ما سيصنعه، فلماذا لا يصنعه؟ لأنه يستتفهه.

ولكمْ طلبت زوجةٌ من زوجها زيارة لأمّها أو ملابس ترتديها أو حلوى تأكلها فأعرض عنها متجاهلًا طلبها رغم قدرته على فعل ما تريد بسهولة.

ولكمْ طلبت زوجةٌ من زوجها قليلًا من رومانسية تنعش بها أنوثتها، وتؤكّد عندها حبّه لها فاحتقر هذا الطلب وأهمله،

ولكم احْتاجت زوجةٌ من زوجها إلى دعمٍ نفسي فاستنجدت به ليدعمها ولكنّه أهملَها فلم تلقَ منه ما تحتاج،

فمَن لها بعد الله؟ ومَن سيمنحها ما تريد؟

كما تزن المرأة طلباتِ زوجها بعقلها الأنثوي فتراها تافهة، فتستهينُ بها ولا تنجزها فتغضبه، فوقتها مبدّد بين عملها ـ إن كانت تمتهنُ عملًا خارج بيتها ـ واحتياجاتُ أطفالها التي لا تنتهي، وأنّ طلباته التافهة يستطيع هو أن ينجزها بنفسه، فلماذا يشغلها؟



هو: «نفسي آكل من إيدك شوية ملوخية».

ولكنّها انشغلت هي بصغارها أو بعمل آخر تراه هامًّا، فضاق وقتها ولم تصنعْ له طعامه الذي طلب، فرجع إلى بيته وهو يمنّي نفسه بالْتهام الملوخية، فلمّا لم يجدْ ما تمنّى ووجد بدلًا منه طعامًا باقيًا من الأمس أصيبَ بالضيق والغضب، إنّ إعداد الوجبة التي يريدها ليست بعمليّة ضخمة تستدعي أوقاتًا وجهودًا وأجهزة ومعدّات، بل هو أمر ما أيسره إذا وضع في بؤرة الاهتمام لدقائق.

ولكمْ طلب رجلٌ من زوجته إعدادَ كوب شاي أو كيّ ملابس فتثاقلت وأهملت، فغمّته وأغضبته..

ولكمْ أثّر في نفس رجلٍ بالسّلب اهتمامُ زوجته بأطفالها والقيام لهم بدور الخادمة الملازمة، بينما هي له مهملة هاجرة..

ولكمْ أراد زوج حقّه في الفراش فتجاهلته زوجته لانشغالها أو ضعف رغبتها وتركته يرطم رأسه بالحائط،

فمَن له بعد الله؟ ومَن ستمنحه ما يرغب؟

إنّ الرجل بالنسبة لزوجته غال، لا يعدله إنسان آخر، والمرأة بالنسبة لزوجها غالية لا يدانيها إنسان آخر،

فإذا كان طلبه عندها تافهًا ولكنّه عنده عظيم، فيجب أن يكون هذا الطلب عندها عظيماً..

وإذا كان طلبُها عنده تافهًا ولكنّه عندها عظيم، فينبغي أن يكون هذا الطلب عنده عظيماً..

فإذا طلب الغالي طلبًا صار هذا الطلبُ غال، فلا بدّ من أدائه قدر الجهد وعلى أحسن وجه.

فغلاوةُ الطّلب من غلاوة الطالب

إنّ هذه مثلَ سقطة إبليس اللّعين مع الله عزّ وجلّ ـ ولله المثل الأعلى ـ حينما أمره بالسجود لآدم فنظر اللعين إلى الأمر فرآه لا يتوافق مع كبريائه فأبى السّجود فطُرد من رحمة الله العزيز الجبار. لم ينظرِ اللّعين إلى عظمة الآمر- عزّ وجلّ-، ولكنّه نظر إلى الأمر، فقضت عليه كبرياؤه التي آثرها على طاعة خالقه عزّ وجل، فأذلّه الله تعالى ولعنه.

٢٣- الإهمال

لا يجب على الإنسان ـ رجلًا كان أو امرأة ـ أن يهمل شريك حياته، ويُشعره أنّه ليس من أولويّاته، وأنه آخر مَن بحياته.

يتجلّى الإهمال في عدم الاهتمام بمشاعر شريك الحياة وأحاسيسه، وعدم احترامه وتقديره، وإشعاره بالهوان، والتقصير في رعايته وتلبية احتياجاته وطلباته، وعدم الالتفات إلى توْجيهاته وتحذيراته، وإفقاده الإحساس بالأمان، فتتقلّص رحابة الحياة الزّوجية إلى ضيق مَنْكَح ومأكلٍ كشأن كلّ الحيوانات، إنّه قتل بطيء للمعاني الإنسانية السّامية للعشرة الطيبة بين الزوجين، ونهاية ذلك معروفة؛ إمّا عيش ذليل أو لا عيش مع مَن كان المفترض فيه الاهتمام بشريك الحياة، وقد يحدث تطلّع إلى الغير واقترافُ الحرام، إنّها سلسلة أليمة تنتهي بنتائج مريرة.



٢٤- نفادُ الرّصيد

تبدأ الحياة الزوجية ولكلّ إنسان رصيدٌ من ودّ وقرب وحبّ لدى شريك حياته، فإذا سحب الإنسان من رصيده لدى شريك حياته نتيجة تتابع الإهانات والإهمال والتّقصير والتّحقير وعدم الاحترام والتقدير وتجاهل الاحتياجات...، إلخ، ومن دون إضافة شيء إلى هذا الرّصيد بالاعتذار والمسامحة والتراضي وعدم تكرار الممارسات السلبية والعمل على ازدياد الودّ والقرب والحبّ عند أيّة مناسبة وتحيّن أيّة فرصة للتّفاهم والانسجام؛ فسيقلّ هذا الرصيد بمرور الأيّام وتوالي الأفعال والأقوال السّلبية وتكرار المواقف السّيئة حتى تأتي اللحظة التي ينفدُ فيها تمامًا هذا الرّصيد فيتبدّل الحال حينذاك إلى الأسوأ.

كانت حينما تشعرُ بظلم وقع عليها من زوجها تسارعتْ قطراتُ الدّموع ذرفًا من عينيها، وإنّه من الطبيعي أن يرقّ لها قلبُ زوجها وتتحفّز مروءته وتشتعل مودّته فيسارع بتكفيف دموعها بيديه والتّخفيف عنها باحتضانها، ولكنها، حينما أكثرت من البكاء في كلّ حين وعند أيّة فرصة وفي كلّ مناسبة وعند أي موقفٍ أو لأسباب كثيرة غير مفهومة لديه أو تافهة في نظره فسينتهي أثر البكاء ومفعوله وفاعليته، إنّه كان يسترضيها كلّ مرّة تبكي فيها فلمّا كثرت مرّات البكاء صار مُعْرضًا عنها تاركًا إيّاها تذرف دموعها، فقد نفدَ رصيد الباكية.

عندما كانت تشتكي مرضًا أو ألمًا كان يهتمّ ويحرص على المسارعة بها إلى الطبيب طلبًا لشفائها، فلمّا أرادت منه مزيد اهتمام بدأت تدّعي المرض وتشتكي سوءَ صحّتها وازدادت مطالبتها له بسرعة التّوجّه بها إلى الطبيب،

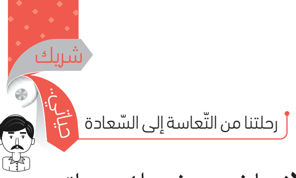
فازداد حرصًا واهتمامًا، فلمّا بالغت في الشّكوى المرّة تلو الأخرى، وكانت تصرخ ألمًا على كلّ شوكة تشاكها وكلّ خدش يصيبها، وأن الأطباء أشاروا بأنّ الأمر لا يستأهلُ كلّ ذلك، ذهب حرصُه واهتمامه، وأصيب باللامبالاة، وجاء اليوم الذي اشتكت فيه المرض بحقّ وتألّمت بصدق فإذا هو يتجاهلها ولا يعبأ بها، لقد نفدَ رصيد الشاكية.

إنّه كان دومًا يصرخ ويرغي ويزبدُ ويُهينها ويؤلمها لتتغيّر كما يريد، في البدء كان صراخُه له وزن، وكان رغاؤه وزبدُه لهما أثر، وكانت إهاناتُه لها وإيلامه إيّاها يحدثان صدًى، حرصًا على رضاه وطلبًا لراحته وخوفًا من تبخّر الحبّ والودّ، فلمّا كثر الصّراخ والرّغاء والزّبد وتوجيه الإهانات وإحداث الآلام على كلّ شاردة وواردة أدارتْ له ظهرها ولم تعدْ تعبأ به، والتفتت إلى نفسها وصغارها فقد نفدَ رصيد الصّارخ المهين المؤلم.

إنّه كان يدفعها دفعًا لزيارة والدته ووالده وبقيّة أهله وهو يعلم أنّها وهُم لا يتقبلون بعضهما البعض، ولا يحبّون أن يجمعهم مكانٌ واحد، لقد أطاعته شهورًا وسنوات وهي تغلي وتفور أملًا في نيْل رضاه ورضاهم، أطاعته وهي تضغط على نفسِها ضغطًا، ثمّ جاء الوقت الذي أعلنتْ فيه أنها لن تدخل بيتَ أهله قط، لقد نفدَ رصيد مَن يضغط عليها ويقهرها.

من حقّ الزّوجة الحصولُ على رومانسية تشبع أنوثتها ورقّة تسلب قلبها، ولكنّه حرمها من هذه الرومانسية، وكان جافًّا كالصّحراء قاسيًا كالصخر، فدبّ فيها اليأس منه وشرعت تبحث عن أيّ رومانسية عند أيّ أحد غيره لتغذي أنوثتها وتحيي قلبَها ولو بالحرام، فقد نفدَ رصيد الجاف القاسي.

إنّ نفاد رصيد شريك الحياة لا يتمّ في يوم وليلة، ولكنّه نتاج أيام عديدة وليالٍ مديدة طالت شهورًا وأعوامًا، عانى فيها الإنسانُ معاناة ازدادَ مع



الأيام ثقلُها، حتّى أتى الوقت الذي زهد فيه هذا الإنسان من شريك حياته بعدما نفد رصيده.

قد يتعدّى نفادُ الرّصيد إلى ما هو أبعد من مجرّد بعض التصرّفات كالبكاء والشكوى والصراخ والإيلام والجفاء والقسوة لينالَ من الحياة الزوجة برمّتها ويهدّها هدًّا بعدما فشلت محاولاتُ التّقريب والصلح وجمع الشمل.

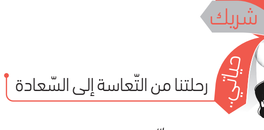
ولذا كان من الضّروريات أن يعمد الإنسان الحكيم إلى شحن رصيده لدى شريك حياته باستمرار حتى الامتلاء، وبالطّريقة التي تسرّ هذا الشريك وتسعده وتلائمه، ليظلّ هناك رصيدٌ تستمرّ به الحياة الزوجية بسلاسة وسلامة.

اشحنْ رصيدَك لدى شريك حياتك قبل نفادِه حتّى لا يأتي اليوم الذي يُقال لك فيه: نفدَ رصيدكم.

٢٥- أنا وليس نحن

إنّ الزّواج ـ بطبيعته ـ يُخرج الإنسان من رحْرحة الفرديّة وحرية الـ «أنا» ويُدخله في انضباط الجماعة وقيود الـ «نحن». فحينما كان المرء عزبًا كان معتادًا على القيام بما يريد كيفما يريد وقتما يريد، يأكل ويلبس ويسعى بطريقته، وله إرادته وآراؤه ورغباته وتصوّراته وطموحاته التي لا يكاد يزاحمه فيها أحد.

ولكنّ وضع الإنسان بعد الزواج يتغيّر بالكلية، فباتت هناك التزاماتٌ بواجبات جديدة، وتحمّل مسئوليات عديدة، والنظر بعيْن الاعتبار إلى وجود شريكِ حياة يقاسمُه الحياة.



إنّ مَن عاش بروح الـ «أنا» كان لسانُ حاله: «سأفعل ما أريدُ، بالطريقة التي أريد، وفي التوقيت الذي أريد، دون اعتبار لوجود شريك بحياتي»،

ومَن عاش بروح الـ»نحن» كان لسانُ حاله: «سنفعل ما اتّفقنا عليه، وبالطريقة التي تلائم من سينفّذها، وفي التوقيت المتّفق عليه، واضعًا في الاعتبار أنّ هناك شريكًا بحياتي يقاسمني حياتي».

قد تلجأ المرأة إلى تنفيذ أمور كثيرة يرفضها زوجها دون علمه، أو دون أن تأخذ منه تفويضًا لفعلها، وحجّتها في ذلك أنه دائمُ الرّفض لكلّ أمر ترغبه، أو أنّه لا يستوعب احتياجات البيت والأولاد كما تستوعبها هي، أو أنها تفعل ذلك دومًا وهو لا يبدي اعتراضًا، أو غير ذلك من المبررات، فقرّرت أن تفعل ما تريد دون علمه وعلى غير إرادته وموافقته المسبقة، وعليه بعد ذلك الرّضوخُ للأمر الواقع، لقد قرّرت وحدها، وفعلت وحدها، فعاشت ـ وهي معه ـ وحدها، فستكون القاصمةُ أن تعيش بالفعل بعد ذلك وحدها.

وقد يضرب الرّجل أسوارًا من السريّة حول شخصيته وأعماله وعلاقاته، ولا يشرك زوجته في هذه الأمور، فيعيش معها وهو بمعزلٍ عنها وكأنّه وحيدٌ وهي بجواره، وستمضي الأيّام حتّى يصير ما ضربه على نفسه من وحدة واقعًا يعيشه.

مَن عاش بروح الـ «أنا» صار وحيدًا، ومَن عاش بروح الـ«نحن» ظلّ مع شريك حياته.

كما شاع في هذا العصر أنْ ترسم المرأة لنفسها مستقبلًا بمعْزلٍ عن زوج، وبحثت عن استقلال بعيد عن قيد، وسعت لتثبت ذاتها بنجاح في غير

الزّواج، ربما لقلق من نوائب الزّمان وما تأتي به الأيام في مستقبلها الزواجي وما رأته من شواهد حولها تنذر بهدم الأسَر الناشئة عقب بنائها، وما سمعته من خلافات ومشاكل ومشاحنات تكتظّ بها البيوت وتستتر أو تستعلن من وراء الأبواب، إنّها على أيّ حال اختارت الخيارَ الأسوأ بتوقّعها الأفظع، فتألّمت قبل أن يأتي هذا الأفظع، والذي ربما لن يأتي.

لقد توهّمت أنّها نجحت في تحقيق ذاتها واستراحت، ولكنّها في الحقيقة رسبت في اختبار الفطرة والطبيعة والسجية وخدعت نفسها وقتيًّا، وشقيت طويلًا، ولم تنلِ الرّاحة المطلوبة ولا الاستقرار المنشود، لأنّها رسبت في ما يريح ويسعد وما به تستقرّ وتقرّ، رسبت في اختبار الأنوثة التي تنتعش في ظلّ زوج كريم، والأمومة التي تزدهر في وجود أولاد بَرَرة. وهي في ذات الوقت أنجحت أيضًا خطّة أعداء البشر، فلقد ورد مِن ضمن ما ورد في البروتوكول العاشر من بروتوكولات حكماء صهيون ما يلي: «...، فإذا أوحينا إلى عقل كلّ فردٍ فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمّر الحياة الأسرية بين الأمميين (غير اليهود)، وسنفسد أهميتها التربوية...»

لقد نبعت من هذه العبارة فلسفةُ إثبات المرأة لذاتها خارج بيتها، ودبّت في هذه الفلسفة الحياة بعدما ضخّ في رئتها الهواء وصارت واقعًا بسبب الإعلام الفاجر والتّعليم الهائر والثقافة الدخيلة والنّخبة المنحرفة والنفوس المريضة والجهالة المدقعة وأصحاب الشّهوات وروّاد النزوات وذوو المصالح ومحاربو الدّين، فتاهت المرأة بين إثبات ذات ببيتها كزوجة رائعة وأمّ رؤوم وراعية لمملكتها وبين إثبات ذاتٍ خارجَ بيتها في عمل تمتهنه ومن خلاله تتنافس وتتسابق وتتغالب وتتصارع حتى ترقى إلى أرفع المناصب، فعادت إلى بيتها منهكةَ القوى مشتّتة الذهن متوتّرة الأعصاب، ولم تعدْ قادرة على أن

تفيء إلى رعاية طفل ولا تربية مراهق ولا اهتمام بزوج، ولا حتى القيام بحقّ نفسها، وكانت النتيجة زلزالًا أتي علَى بيت، وشقاءً أصاب أولادًا، وتعاسةً لحقت بزوج، واستهلاكًا استنفدَ زوجة، وفوضى أصابت المجتمع، وانهيارًا أطاحَ بالأمة، فنجح أبناء صهيون في خطّتهم التدميرية الجهنمية.

والعجيب أنّ الذين يطالبون المرأة بإثبات ذاتها خارجَ البيت لم يطالبوا الرّجل في ذات الوقت وبنفس القوة بإثبات ذاته داخل البيت، وكأنّ البيت يجب ألّا يرعاه أحد!!، وبات الأمر أنْ حاولت المرأة لعب الدّوريْن: دورها كأنثى ودور زوجها الرجل.

لقد فطنت بعضٌ من مشاهير نساء الغرب لهذا الفخّ المدمّر، فهذه الروائية الإنجليزية الشهيرة «أجاثا كريستي» كتبت: «إن المرأة مغفّلة لأنّ مركزها في المجتمع يزداد سوءًا يومًا بعد يوم، إننا بذلنا الجهدَ الكبير للحصول على حقّ العمل والمساواة مع الرجل، ومن المحزن أنّنا أثبتنا– نحن النساء– أنّنا الجنس اللطيف الضّعيف، ثمّ نعود لنتساوى اليوم في الجهد والعرق اللذين كانا من نصيب الرجل وحده».

كما فطنت المحامية الفرنسية «كريستين» إلى هذه الحقيقة حين زارت الشّرق المسلم فكتبت: «سبعة أسابيع قضيتها في زيارة كلّ مِن بيروت ودمشق وعمان وبغداد، وها أنا أعود إلى باريس، فماذا وجدت؟، وجدت رجلًا يذهب إلى عمله في الصّباح، يتعب ويشقى ويعمل، حتّى إذا كان المساء عاد إلى زوجته ومعه خبز، ومع الخبز حبّ وعطف ورعاية لها ولصغارها. المرأة في تلك البلاد لا عمل لها إلّا تربية الجيل، والعناية بالرجل الذي تحبّ. في الشرق تنام المرأة وتحلم وتحقق ما تريد، فالرجل وفّر لها خبزًا وراحة ورفاهية. وفي بلادنا حيث ناضلت المرأة من أجل المساواة فماذا حقّقت؟

المرأة في أوروبا سلعة، فالرّجل يقول لها: انهضي لكسب خبزك، فأنت قد طلبت المساواة. ومع الكدّ والتعب لكسب الخبز تنسى المرأة أنوثتها، وينسى الرجل شريكته، وتبقى الحياة بلا معنى».

إنّها الفطرة والطبيعة والسّجية، وما حاربهم أحدٌ وأنكرهم إلّا وخسر خسرانًا أليمًا، بعدما يتجرّع مرارة هذه الحرب وحنظلَ ذاك الإنكار..

إنّ نجاح المرأة السويّة الحقيقي ليس في نجاحها الشّخصي ـ كما نصّ بذلك البروتوكول العاشر اللعين ـ قدر ما في رؤية النّجاح في زوجها وأولادها وفي وقوفها معهم ومن خلفهم تدعمهم وتشدّ من أزرهم حتى يرتقوا في المجتمع رقيًّا تقرّ به العين ويسكن به الفؤاد، فالمرأة السويّة ترى نجاحها في نجاح جميع أفراد أسرتها، ويزيدها شعورًا بروعة هذا النجاح حينما تكون في كنف زوجٍ يكرمها ويحترمها ويحبّها ويضعها في عينه ويغلق عليها جفنه.

٢٦- ضعفُ الثّقة بين الزوجين

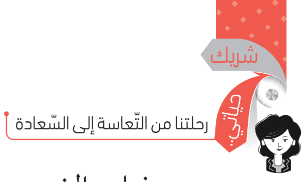
تعتبر الثّقة المتبادَلَة بين الزوجين هي إحدى أهمّ أسس الحياة الزوجية المستقرّة، فوجودها يشعر الزوجين بالأمان ويتيح لكليهما إطلاق طاقتيهما في الاتجاه السّوي.

تتزلزل الثقة بين الزوجين عند:

– نسيان أو إهمال أو ازدراء أو تجاهل مشاعر واحتياجات ورغبات وأفكار وتوقّعات شريك الحياة.

– إساءة فهْم كلمات وأفعال شريك الحياة.

– اختفاء الشفافية والمصداقية.



- غياب الشعور بإمكانية الاعتماد على شريك الحياة في تحمّل المسئوليات وحلّ المشكلات وإنجاز الأعمال.
- عدم الوفاء بالوعود.
- عدم المحافظة على الأسرار وخرق خصوصية الحياة الزوجية.
- إقامة صلاتٍ خاصّة وعلاقات غير شرعية مع أفراد من الجنس الآخر، تبدأ من الحوارات الخاصة حتى ارتكاب فاحشة الزنا.

يتسلّل فقدان الثقة بين الزّوجين بسبب توالي هذه الخروقات وتعدّد ألوانها وأشكالها وعمقها، فالأقوال لا تصدق، والأفعال تخفي وراءها سوءَ نيّة، والمشاعر كاذبة، وستظلّ الأحوال تتردّى حتّى يتدنّى الأمر إلى حدّ الخوف من المستقبل والخوف على السّلامة الشخصية.

في علاقةٍ افتقدت إلى الثّقة يجب إعادة ترميم الزّواج مرّة أخرى، وهي عملية تعدّ من أصعب ما يمكن إنجازه. إن عملية استعادة الثقة المفقودة ستستغرق وقتًا وستستلزم جهدًا ودأبًا وصبرًا، ولكنّها قد لا تعود إلى سابق رونقها وصفائها، ففقدان الثقة مثل تمزيق ورقة يمكن إعادة لصقها، ولكنها لن تعود ـ في أغلب الأحيان ـ كما كانت.

وبوجهٍ عـامّ من الممكن أن تتمّ استعادة الثقة المفقودة وفقًا للخطوات التالية:

أوّلًا: التوقّف الفوري عن ممارسة كافّة أشكال خروقات الثقة السابقة وإزالة أدواتها وسدّ ذرائعها.

ثانيًا: منح الطّرف الأكثر تضرّرًا كلّ الفرص ليعبّر عن ضيقه وينفس عن غضبه بالطريقة التي تريحه مهما بلغت شدّتها.

ثالثًا: إسماع الطّرف الأكثر تضرّرًا كلمات الاعتذار وطلبات العفو والسماح.

رابعًا: لا يجب أن يتمّ التسرّع في اتّخاذ أيّة قرارات أثناء فوْرة فقدان الثقة وثورة فقدان الاتزان، فتلك أوقات يفقد فيها الإنسانُ حسنَ التّقدير ودقّة الفهم واستيعاب الموقف وتقييم النتائج واتخاذ القرارات.

خامسًا: منح الطّرف المتضرّر الوقت الكافي ـ حتى لو طال ـ لإزالة ألم فقدان الثقة.

سادسًا: الالتزام التامّ بعدم تكرار الأقوال والأفعال التي أضرّت بالثقة بين الزوجين.

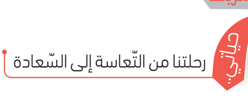
٢٧- رفضُ محاولات الصّلح، فوات الأوان، فرق توقيت

لا بدّ وأن يعتري الحياة الزوجية خلافات، ولا بدّ للخلافات من محاولات صلح، ولا بدّ للزوجين إنْ أرادا إصلاحًا وفّق الله بينهما، أمّا إذا رفض أحدهما أو كلاهما الصّلح فالنهاية معروفة إن عاجلًا أو آجلًا.

في بعض الزّيجات قد يعمد أحدُ الزّوجين دومًا إلى انتظار الطّرف الآخر ليبدأ بالصلح، وإن تأخّر هذا الطرف الآخر تأخّر الصلح، ولو امتدّ الخصام أيّامًا وشهورًا عديدة لن تستقرّ حياة زوجية أو تستديم بهذا الوضع.

في تأويله للآية (٣٥) من سورة «النساء» التي نصّها، ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ كتب «سيد قطب» في الظلال ـ مع بعض التصريف ـ ما يلي:

«لا يدعو المنهج الإسلامي إلى الاستسلام لبوادر النّشوز والكراهية، ولا إلى المسارعة بفصم عقدة النكاح، وتحطيم مؤسسة الأسرة.



إنّه يبادر قبل وقوع الشّقاق فعلًا ببعث حكم من أهلها ترتضيه، وحكم من أهله يرتضيه، يجتمعان في هدوء، بعيدينً عن الانفعالات النفسيةً، والرّواسب الشعورية، والملابسات المعيشية التي تفسد جوّ الحياة، وتعقد الأمور، مشفقين على الأطفال الصّغار، بريئين من الرّغبة في غلبة أحدهما على الآخر، راغبين في خير الزوجين وأطفالهما ومؤسستهما المهدّدة بالدمار، وفي الوقت ذاته هُما مؤتمنان على أسرار الزّوجين لأنّهما من أهلهما، فلا خوف من تشهيرهما بهذه الأسرار. يجتمع الحكمان لمحاولة الإصلاح، فإنْ كان في نفسي الزّوجين رغبةٌ حقيقية في الإصلاح فإنه بمساعدة الرغبة القوية في نفس الحكمين يقدّر اللهُ الصلاح بينهما والتوفيق:

> **إن يريدا إصلاحًا يوفّق اللّه بينهما..**
> **فهُمَا يريدان الإصلاح، واللّه يستجيب لهما ويوفّق..»**
> **انتهت كلمات «سيد قطب».**

إنّ ما يستجلب رفضَ محاولات الإصلاح بين الزوجين الخشية من التعرّض للأذى والإيلام مرّة أخرى، خاصّة بعدما كانت محاولات الإصلاح السّابقة تتمخّض عن المزيد من الأذى والألم والمزيد من اليأس وفقد الأمل.

فالزّوجة ترفض المزيدَ من استمرار الخوض في جولاتِ صلح، الواحدةُ تلو أخرى، والتي لم تنته بالإصلاح بل بالمزيد من الألم، فأصيبت باليأس القاتل من تحسّن الأوضاع، فتدنّى الأمر ليصل إلى أنْ كرهَت رؤية زوجها وكرهت سماع صوته وكرهتْ وجوده أمامها، فصورتُه وصوته ووجوده صاروا ينكأون بلا رحمة جراحَها النازفة، بدأ هو حينئذ محاولاته لإنقاذ حياتهما الزوجية من

الانهيار بشتّى الوسائل، ولكنّ الزوجة المكلومة صارت في حالة لم تعدْ تقوى على استقبال هذه المحاولات بإيجابيّة، لقد أغلقت الباب، لقد فات الأوان.

وبعد زواج طال سنوات طوال من عدم طاعة الزوج وتجاهله واحتقاره وعدم القيام بخدمته أو رعاية أطفاله الرعاية الواجبة وعدم إشعاره برجولته ولا قوامته وإهدار حقوقه الشرعية؛ حاولت الزوجة بكلّ الطرق استنقاذ هذا الوضع الأليم، ولكنّه أعرض عنها مُدبرًا تاركًا إيّاها خلفه ليمضي قُدمًا، لقد أغلق الباب، لقد فات الأوان.

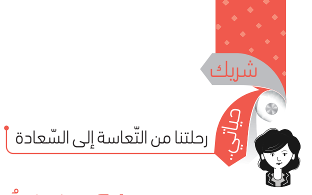
إنّ الخشية من التعرّض للأذى والوجع مرّة أخرى يمنع من مجرّد محاولة تجربة وسائل وطرق جديدة لتحسين الأوضاع، أو محاولة الاستفادة من المواقف الإيجابية التي تبدر من شريك الحياة، أو استثمار الفرص المتاحة لتحسين العلاقة، أو محاولة الاستمتاع بالحياة معه، وكلّما اقترح وسيلة لعلاج أو طريق لإصلاح قوبلت بالرّفض من أكثر الزوجين ألمًا، وهكذا يجرّ هذا النوع من السلوك الإنسانَ من فشل إلى آخر ومن إحباطٍ لآخر، وسيعيش الإنسان دومًا في معاناة وألم مستمرّيْن، وسيصاب بأمراض وأوجاع عديدة، وسيكثر من زيارة الأطباء، وسيبقى الحال كما هو متردّيًا إنْ لم يزدَدْ سوءًا.

إنّه فرق توقيت،

أراد مصالحتها بعدما يأستْ منه، أراد بعدما كفّت هي عن الإرادة، فعسر ـ إنْ لم يكن استحال ـ تحقيق الصلح،

أرادت مصالحته بعدما قنطَ منها، أرادت بعدما توقّف هو عنْ محاولات الرّجوع إليها، فولى ظهره عنها، فصار الصلح سرابًا.

إنّها من أسوأ مراحل الانْهيار الزوجي، ولذا يلزم هنا تدخّل المتخصّصين في الإرشاد الزواجي أو كبار من حكماء العائلتين لزرع الأمل ورسم الخطى للإصلاح بين الزوجين.



٢٨- غيابُ الرّومانسية

في ظلّ عصر السّرعة والإنجاز، وتحت ركام الانهماك في الحصول على لقمة الخبز والتجاوب مع الثقافة الاستهلاكية ازدادت الحياة جفافًا وخشونة، وصارت مليئة بالهموم والمسئوليات، واختفت كثير من الأمور الإنسانية بين الزوجين، ومن بينها الرومانسية.

إنّ الرومانسية هي البسمة والهمسة والكلمة والقُبلة واللمسة والاحتضان والتدليل والتدليك التي يجب أن تتمّ بين الزّوجين، إنها كلّ المراحل التي تسبق الجِماع، ولكن.. بغير أن تفضي إلى جماع، فليس بالضرورة أن يكون هدف الرومانسية من تواصل عاطفي وتلامس جسدي هو ممارسة الجنس، فالتواصل العاطفي والتلامس الجسدي احتياج مطلوب في ذاته، خاصّة لدى كثير من النساء.

فبالرومانسية قد تتقبّل الزوجة الحياةَ مع زوجها الذي لا يريحها كما ينبغي في المعاشرة الجنسية، وتصبر المرأة أكثر على خدمة زوجها ورعاية صغارها، وبها تنتعش أنوثتها وتمتلئ بروْعة وجودها مع رجل حلال، وتغلق قلبها دون غيره من الرّجال، بالإضافة إلى أنّها سبب من أسباب إنهاء المشاكل والخلافات، فقبلةٌ صغيرة قد تنهي جدلًا حادًّا، وملامسة عطوفة قد تزيل غضبَ يوم زاده العناد اشتعالاً.

عن أنس قال: خرجنا إلى المدينة (قادمين من خيبر) فرأيت النّبي - صلّى الله عليه وسلّم- يحوي لها (أي لصفية بنت حيي رضي الله عنها) وراءه بعباءة، ثمّ يجلس عند بعيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلَها على ركبته حتى تركب. إنّ هذا السلوك لأكثر احترامًا ورومانسية و«أتيكيت» ممّن يفتح باب

سيارته لتركب حبيبه أو مَن يزيح لها مقعد غرفة الطعام ليتيح لها الجلوس عليه لتتناول وجبتها. كما كفّف النبي- صلّى الله عليه وسلّم- دموعها بيديه الشريفتين عندما بكت بعدما برك بها بعيرها حينما خرج للحج. وهذا موقفٌ آخر راعى النّبي- صلى الله عليه سلم- مشاعرها وأظهر لها حنانه عليها واحتواءه لها.

رغم أنّ الرومانسية تمثّل حافزًا جيدًا للزواج فإنها لا يمكن أن تدوم بصورتها الأولى أبدًا، تلك الصورة ذات الألوان الباهرة والضّوضاء الصاخبة، فبالزواج تتكاثر المسئوليات والالتزامات والأعباء وتتوالى المشكلات والمعرقلات، فتبدأ الرّومانسية في الانحسار، ممّا يزيد الزواج جفافًا والحياة قسوة، لذلك كان ولا بدّ من وجود قدر من الرومانسية يناسب أشدّ الزّوجين احتياجًا لها، ليعينهما على المضيّ معًا في الحياة الممتلئة بالمسئوليات والالتزامات والأعباء والمشكلات والمعرقلات.

٢٩- عدمُ تعزيز ثقة شريك الحياة في نفسه

المرأة كإنسانة مكوّنة من نصفين؛ الأوّل: أنوثتها التي تنتعش في كنفِ زوج كريم تشعر معه بالألفة والودّ والأمان، والثّاني: أمومتها التي يُحيها وجودُ أطفال تهتمّ بهم وترعاهم وتسهر على خدمتهم وتربيتهم وتبذل لهم من وقتها وجهدها. فإذا ما أشبع في المرأة هذان النّصفان؛ الأنوثة والأمومة، امتلأت ثقة بنفسها.

وللرّجل أيضًا مكوّن من نصفين؛ الأوّل: رجولته التي تنتعش بجوار زوجةٍ تطيعه وتلبّي احتياجاته وتشعره باحتياجها إليه، والثّاني: أبوّته التي يزكّيها وجود أطفال يرعاهم وينفق عليهم ويسعى من أجلهم. فإذا ما أشبع

في الرّجل هذان النصفان، الرّجولة والأبوة ازدادت ثقة الرجل في نفسه.

ولكنْ كثيرًا ما ينسى الرجلُ أنوثة زوجته وأمومتها، ومِن النساء مَن لا تقدّر في زوجها رجولته وأبوّته، فيقوم كلاهما بالتّعبير عن عدم رضاه عن شريكِه بأقوال وأفعال مُسيئة فتضعف ثقة شريك الحياة بنفسه حتى يفقدها في نهاية المطاف، وسيبدو حينئذ منه أسوأ ما عنده.

ولذلك يجب أن يكون التّعبير عن عدم الرّضا عن بعض أقوال وأفعال شريك الحياة تعبيرًا يليق بزوجين يحترمان ويقدّران بعضهما البعض، تعبيرًا يحترم الرجلُ به أنوثة وأمومة زوجته، وتقدّر المرأة به رجولة وأبوة زوجها، تعبيرًا يعزّز ثقة شريك الحياة بنفسه، ويشعره بقيمته ويشجعه على انتهاج أساليب أفضل.

إنّ الأقوى المسيطر في العلاقة الزوجية ـ سواء كان الزّوج أو الزّوجة ـ هو الذي يتسبب في إضعاف ثقة الأضعف المُسيطر عليه في نفسه إنْ كانت العلاقة الزّوجية بينهما سيئة، ولذا ـ في الغالب ـ ما يكون الرجل هو الذي يضعف ثقة زوجته في نفسها، والعكس يحدث في بعض الحالات.

يتمّ تعزيز ثقة شريكِ الحياة في نفسه بالكلمات الرّقيقة حتّى وإن كان بها لوم، كلمات تخرج من القلب ويصدقها العمل الذي تعبّر عنه الجوارح. ومن الأمثلة على بعض العبارات التي تجمع بين اللّوم اللطيف وتعزيز ثقة شريك الحياة في نفسه ما يلي:

«أنا أعلم أنّك تستطيع أن تفعل أفضل من ذلك»،

«أنا لعَلَى يقين أنّك بإمكانك أن تستجيب بطريقة أكثر انضباطًا والتزامًا»،

«أنا لعَلَى ثقةٍ أنّك تستطيع أن تؤدّي ذلك العمل بكفاءة أكثر وليس كما أديته الآن»،

«أنت أفضل من ذلك»،



«أنت إمكانياتك تفوق ما تقدّمه»،

«ليس هذا ما تعوّدته منك»،

إنّ تعزيز ثقة شريك الحياة في نفسه سيعود بفوائدَ جمّة على الحياة الزّوجية واستقرارها وسعادتها، وسيصبح الزوجان أكثر قدرة على تحمّل مسئوليات الزواج وتبعاته.

٣٠- تغيّر الحياة بالزّواج إلى الأسوأ

إذا جلب الزّواج للإنسان حياةً أسوأ ممّا كانت عليه قبل الزّواج فذاك من قلة بركة هذا الزواج ونذير بأنْ تذروه الرياح في أيّ وقت.

لقد كانت أكثر قربًا من الله قبل زواجها منه، فلمّا تزوّجها لم يعنْها على طاعة الله تعالى، بل ساعدها على الابتعاد عنه عزّ وجل..

لقد كان أكثر ودًّا مع أهله قبل زواجه منها، ولمّا صارت له زوجه ساهمت في سوء علاقته بأهله وإقصائه وأطفاله كثيرًا أو قليلًا عنهم..

لقد كانت هادئة راضية واثقة من نفسها قبل الزّواج، وعندما تزوّجته صارت عصبية ساخطة فاقدة الثقة بالنفس..

لقد كان ناجحًا في عمله، ومنذ أن تزوّجها تدهور وضعه في عمله وتدنّى..

لقد جلب الزّواج منزوعُ البركة كلّ خيبة أمل ورجاء، ولو نظرنا للوراء حين بدأ الارتباط لوجدنا أنّ هناك أخطاء شرعيّةً قد ارتكبت، وقيمًا سامية قد وطئت، وأعرافًا سويّة قد أهملت، وطاعة ولي الأمر قد ديست، ففيم ستكون البركة إذًا؟

إنّ صحّة النّهايات بصحة البدايات، وكذا سوء النهايات بسوء البدايات..

وبما أنّ الزّواج قد تمّ، وأنّ بيتًا قد أقيم وزخر بالأطفال، و«اللّي حصل حصل»، فيجب التوبة والاستغفار، واستدراك ما فات، وإجراء محاولات إصلاح ما فسد، وترميم علاقات وأواصر ربّما تكون قد تأثرت وتفكّكت، والتعلم من الماضي حتى لا يتكرّر ما حدث من أخطاء شرعية ووطء قيم وإهمال أعراف وعصيان ولي الأمر.

٣١- الشّعورُ بالغربة

إنّها لنكبةٌ كبيرة أن تكون الزّوجة في كنف زوجها وفي بيته وتحتَ جناحه؛ وتشعرُ بالغربة، وكذلك أن يكون الزوج بجوار زوجته ويظلّهما سقف بيت واحد؛ ويشعر بالغربة.

تستبدّ مشاعر الغربة بالزّوجين ـ أو أحدهما ـ لأنّ كلّ واحد منهما لا يشعر بالآخر، ولا يفهم الآخر، ولا يأنس بالآخر، ولا يشارك الآخر، ولا يهتمّ بالآخر، ولا يتناغم مع الآخر، كلّ واحد منهما يحيا حياته بطريقته دون أن يرى وجودًا للآخر.

سيدفع الشّعور بالغربة الزّوجين إلى مزيدِ تنافرٍ وابتعاد، وإلى تلمّس الأنس مع غير شريك الحياة، واللّهث وراء مَن يشاركه ويهتمّ به ويتناغم معه، فيزداد التّنافر والابتعاد، والنهاية معروفة، عيش شقيّ أو لا عيش يبقى.

قد يشعر الرّجل بالغربة وهو في بيته مع زوجته ووسط أولاده حينما يجتمع عليه التالي:

– لا تطيعه زوجته في الصّغيرة والكبيرة، وتسير وفق رؤيتها هي دون اعتبار أنّ لها زوجًا يجب الرجوع إليه، فسيشعر هذا الزّوج ـ مع الوقت ودوام العصيان ـ أنّ هذه المرأة ليست زوجته.

- ترى زوجته أنّ أساليبه في تربية الأبناء غير مناسبة، فتنهره تارةً وتنتقده تارة وتدير أبناءها على غير الوجهة التي يريدُها تارة، وتجنّبه أداءَ دوره الأبوي والتربوي تجاه أبنائه، فسيشعر مع الوقت أنّه شبه أب وأنّ أبناءه ليسوا بأبنائه.

- ترى زوجته أنّ ذوقه في نظام البيت وترتيبه غيرُ ملائم فتفعل ما تراه هي صائبًا دون أن تعبأ بأنّ لها زوجًا ذا رأي أو ذوقٍ مختلف يجبُ أن يؤخذ في الاعتبار، إنّها بذلك تشعره أنّ بيتها ليس ببيته.

إنّ العيش سنوات طوال بجوار امرأةٍ تتعاملُ بهذه الأساليب سيجعل زوجَها مع الوقت يشعر أنّ زوجته ليست بزوجته وأنّ أبناءه ليسوا بأبنائه، وأنّ بيته ليس ببيته وسيشعرُ أنّه الغريب، وعليه إمّا أن يستسلم ويلغي وجودَه ويكتفي بأداء دور بنك التّمويل وينسحب كليّةً من حياةِ أسرته، وفي ذلك خسرانٌ ضخم لنفسه وللبيت، ثمّ قد يتساءل بينه وبين نفسه علامَ البقاء في هذا البيت الذي أشعرُ فيه بالغربة؟ وقد يجيب عن هذا السؤال عمليًّا بهجرانه وترك الجَمل بما حَمل، ربما بعد سنوات طوال من العشرة الزوجية الغارقة في الغربة.

يريدُ الرّجل أنْ يملأه الشّعور بأنّه في بيته الذي يستريح فيه والمنظّم بطريقة ترضيه، وبين أولاده الذين يبرّونه ويطيعونه، ومع زوجته التي تُريحه وتسعده وتطيعه وتشدّ من أزره. فإذا ما تمّ له ذلك ازداد لبيته وأولاده وزوجته ولاءً وقربًا، وكان لهم جميعًا خادمًا ناصحًا وراعيًا حاميًا.

كما قد تشعر المرأةُ بالغربة وهي في بيتها وفي كنفِ زوجها ووسط أولادها حينما يحدث التالي:

- لا يمنحها زوجها الحبّ والاحترام والرّعاية والاهتمام والرومانسية والأمان.

– تشعر أنّ زوجها بالنسبة لها غامضًا مبهمًا لا تعرف كيف تفهمه وتتفهّمه، ولا كيف تسعد به وتسعده، وتعيش تحت نيْره ذليلةً مُهانة، فلن تشعر أنّه زوجها الذي تمنّته طوال حياتها، وسيتملّكها الشّعور بالغربة.

– الزّواج متسارع الخطى والذي يتمّ بعد فترة وجيزةٍ أنجزت بها الخطوبة وعقد زواج والزّفاف قبل أن تألف الفتاة عريسَها، ولذا من الطبيعي أن تشعر أنّها سُرِقت، وأنّ عريسها مازال غريبًا عنها.

– ينفّذ زوجها رؤيته منذ بدء الزّواج في كيفية ترتيب بيته ونظامه ونظافته واختيار أثاثه وأجهزته ومطبخه وحمامه وديكوراته وستائره ومفروشاته؛ دونَ أي اعتبار ـ أو نذر يسير منه ـ لرأي زوجته وذوقها.

– إذا تدخّل زوجها في كلّ صغيرةٍ وكبيرة بالبيت دون أن يتركَ لها مساحة مناسبة تتحرّك فيها، «من حطّ الحاجة دي هنا؟»، شيلوا السّجادة دي، ده مش مكانها»، «السّتائر عايزه تتغسل»، الأكل مكانه مش هنا»، «ليه في ذباب كثير كده»،

– إذا أشعرها زوجُها بفشلها في تربية الأولاد، فكلّ خطأ يفعله ابنُها بسبب سوء تربيتها له، وكلّ هفوة تبدر من ابنتها سببُها أمّها، لقد استخفّ بمشاعرها كأمّ أمام أطفالها، وحقّر من طريقتها التّربوية وأهانها أمامهم، وعلّمهم الجرأة عليها، فعصوها وعقوها، فشعرتْ بالغربة.

ورغم ألمها فإنّها ـ في الغالب ـ لا تقوى على أنْ تدير ظهرها لبيتها وأولادها بسهولة، وتختار ـ في الغالب ـ العيش في جحيم ليس من صُنعها، نيرانه أقلّ حرقًا من نيران فراق بيتها وأولادها، أمّا إذا تفاقمت الأحوال فمن المُمكن أن تختار الفرار وتركَ الديار وقد تضعضعَ بالُها ورثى حالها.



٣٢- ضعفُ الالتزام الزّوجي

الالتزام الزوجي هو إصرارُ الزّوجين القويّ والدائم على الحفاظ على بقاء رباط الزّوجية المقدس قائمًا، ويتمّ ذلك بقيام كلّ من الزّوجين بما عليه من مسئوليات ومهامّ وأدوار ناهضًا بتحمّل تبعات وإرهاقات ومجهودات هذا القيام.

وهناك صورةٌ أخرى للالتزام الزّوجي أقلّ شأنًا وقيمةً من الصّورة السابقة وهي الاتّفاق على الإبقاء على البيت لرعاية الأطفال، أو للحفاظ على وجاهةٍ اجتماعية معيّنة، أو لعدم إلحاق الضّرر بمستقبل الأبناء والبنات الزّواجي، والالتزام بعدم الطّلاق، رغم افتقاد الزّوجين للحبّ والقرب والودّ، وتكاثر المشاكل، وتكالب الخلافات، وزحف المصاعب، ووقع المصائب.

إنّ الالتزام الزّوجي ـ كما بيّن ذلك «ستيرنبرج» في نظرية مثلث الحبّ ـ هو الركن البارد في علاقة الحبّ، وهو الذي يضفي على العلاقة نوعًا من الخشونة والجفاف، ولكنّه وحده كفيلٌ بالحفاظ على وجود العلاقة بين الزّوجين والإبقاء على البيت، وحينما يوهن الالتزام ويتلاشى فسيؤول مصير البيت قطعًا إلى التفكك والانهيار.

٣٣- وجودُ الأطفال؛ داءٌ ودواء

ربّما لا تظهر الخلافاتُ بين الزّوجين في أمرٍ ما قدرَ ظهورها في الأمور التي تخصّ الأولاد وتربيتهم وتعليمهم وعلاقاتهم.

ولكمْ ألقت الزوجة اللومَ على زوجها لأنّه لا يقوم بأدواره كأبٍ بالطريقة التي ترتضيها، فأضجّ هذا اللّوم مضجع الحياة الزوجية.

ولكم انْتقد الزّوج أسلوبَ زوجته في التعامل مع أطفالها، فأساء إليها وجرحها وَأهانها أمامهم، فأدمى أمومتها.

ولكمْ حالت زوجةٌ دون أن ينفّذ زوجها طريقته التي تراها خشنة في تربية أطفالهما، فأوغرت صدره.

ولكمْ سترت زوجه أخطاءَ أولادها عن زوجها خشية أن يتعامل معهم بطريقة تراها هي سيئة، فلمّا علم ما سترته عنه انقلبَ عليها قادحًا في تفكيرها ناقدًا لأسلوبها، معيبًا عليها سترها لهم.

وإنّه من الأهمية بمكان أنْ نعلم أنّ آراء الأمّهات وأساليبَهنّ ووسائلهنّ في رعاية وتربية الأولاد تختلف كثيرًا عن تلك التي للآباء، إنّ ذلك بسبب الفارق بين الأمومة كغريزة والأبوة كعاطفة.

إنّ الأمومة غريزةٌ تعمل في الغالب لتقديم الخدمات الآنيّة وتحقيق الأهداف التكتيكية، أمّا الأبوّة فهي عاطفة مكتسبة تقدم غالبًا الخدماتِ المستقبليّة وتعمل على الأهداف الاستراتيجية.

فالأمّ لازمة لخدمة الرّضيع والطفل الصغير، وهي في ذلك ماهرةٌ بارعة. فالطّفل الصغير يريد مَن يقوم على خدمته آنيًّا، فهو يريد مَن يرضعه الأن، أو ينظّفه الآن، أو ينيمَه الآن، أو يداويه الآن. فإذا ما كبر هذا الصّغير وبدأ يعتمد على نفسه في ارتداء بعضٍ مِن ملابسه وتناول بعضٍ من طعامه ودخوله الخلاء وحده والاستحمام وحده و...، و...؛ بدأ حينئذٍ في الاستغناء عن خدمات أمّه الآنية بالتدريج بعدما علّمته كيف يقوم بنفسه بالكثير من احتياجاته الحياتية وحده. أمّا الأب فيتسرب إلى حياة صغيره أيضًا بالتّدريج، بدءًا من مداعبته وملاعبته وهو رضيع، ثمّ يتضخّم دور الأب شيئًا فشيئًا مع تقدّم الصّغير في العمر ليؤدّي معه دوره الاستراتيجي معه، فيكتسب الصّغير منه ومعه مهارات الحياة المستقبلية.



بتقدّم عمر الطفل، تنسحبُ الأمّ من حياته بالتّدريج، ويتسلّل الأب إلى حياته بالتدريج.

فإذا ما استمرّت الأمّ في أسلوبها الآنيّ الخدمي بعدما يصبح ولدُها ذا ثمانية أعوام أو أكثر دون أن يتغيّر هذا الأداء بتولّي الأب مسئولياته في التربية فسيتحوّل ولدها إلى إنسانٍ اعتماديّ يبحث عمّن يقوم بخدمته باستمرار، وحينما يتدخل الأب ليربّي ابنه بطريقته المستقبلية الاستراتيجية سيصطدمُ مع زوجته ذات الطّريقة الآنية التكتيكية وستصطدم به، فالصراع بين الآنيّة والمستقبلية هو العاملُ الرّئيسي للخلاف بين الزوجين في شأن تربية الأولاد وتعليمهم.

فما الحلّ إذاً؟

لقد قامت الأمّ بأدوار أمومتها على خيْر وجهٍ حينما كان ولدُها رضيعًا ثمّ طفلًا صغيرًا حتى بلغ الثامنة من عمره تقريبًا، لقد قامت برعايته والاهتمام به وتعليمه كيف يقضي احتياجاته معتمدًا على نفسه، لقد منحته الحياة. وفي الثامنة من عمره ـ على الأكثر ـ يجب أن يتسلّمه والده ليقوده ويعلمه كيف يصارع الحياة، إنّه العمر الذي يجب أن تتقبّل فيه الأمّ طريقة زوجها في تربيته لطفله، والتي بالقطع ستختلف عن طريقتها هي في التّربية، فكما تقبّل زوجها بسهولة ويسر طريقتها الآنية راضيًا بواقعيتها عليها أن تتقبّل بهدوء وصبرٍ طريقتَه المستقبلية قانعة بواقعيتها.

إنّه سيرسل صغيره ليشتري بعضَ الأغراض، وعليه أن يعبر الشّوارع التي تعجّ بالسيارات، ويراجع الحسابات مع البائع، ويحمل ما تمّ شراؤه ـ

حتى لو كان ثقيلًا بعض الشيء ـ عائدًا إلى بيته، الأمر الذي لا ترحّب به الأمّ ويجعلها ترفض قيام طفلها بهذه المهمّة، فهو في نظرها مازال صغيرًا يحتاج إلى مَن يرعاه لا إلى مَن يحمّله مسئوليات خارج البيت، إنها لا تدركُ أنّه بطاعة صغيرها لوالده سيصير أكثر تحمّلًا للمسئولية والاعتماد على نفسه، وستزداد خبرته بالحياة، فعليها حينئذ الصّبر والدعاء ألّا يصيب ولدها مكروه.

إنّه سيوافق على اشتراك ولده في رحلةٍ أو معسكر وقد يغيب يومًا أو أكثر عن أمّه، فعليها آنذاك أن تصبر وتدعو الله بعودة ولدها إليها سالمًا معافًا غانمًا بعدما ينال قسطًا من التدريب على بعض مهارات الحياة من التواصل مع الآخرين والاعتماد على النفس واكتساب بعض الخبرات الجماعية.

إنّها ستتألم حينما يتركها ابنها الشابّ مسافرًا إلى بلاد بعيدة عنها طالبًا لعلم أو باحثًا عن رزق أو متجهًا إلى ساحات الجهاد ليزود عن الدين والعرض والأرض.

إنّها ستحتاج حينما يكبر الصّغار إلى كبح جماح غريزة الأمومة وتجاهل وجودها بعض الشيء، وتحمّل ألوانٍ من الضغوط طاعةً لزوجها تارة، ورحمة بمستقبل أبنائها تارةً أخرى، وهو أمرٌ جدّ عسير للغاية بالنسبة لأيّ أمّ، فكان هذا جهادها الأكبر الذي كتبه الله عليها بحكمته.

إنّ للوالدين أدوارًا مختلفة تجاه أولادهما، فالأب غير الأم، ﴿...وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ...﴾ (آل عمران: ٣٦)

ولأنّها تفهم الأطفال جيدًا، ولأنّه يفهم الحياة جيدًا..
انتهى الأمر إلى أنّ
الأمّ تمنح الحياة، الأب يعلم الحياة.

ومن هذا يتبيّن أنّ وجود الأطفال ـ ولا شكّ ـ سبب قويّ من أسباب الخلافات بين الزوجين، فكثيرًا ما يكون الأطفال من وراء انتهاء الحال بالزّوجين وهما يختلفان حول النّفقات المالية والعلاقة الجنسية وطرائق تربية الأولاد.

كما أنّ وجود الأطفال قد يكون سببًا في استمساك الزّوجين ببعضهما البعض بغرض بقاء البيت قائمًا لرعاية وتربية الأولاد، أو للحفاظ على وجاهةٍ اجتماعية من أجل تزويج البنات، أو غير ذلك من الأسباب، رغم أنّ حياتهما الزوجية قد يكون بها من التّعاسة ما بها بسبب هؤلاء الأطفال أيضًا.

كما أنّ عدم إنجاب الأطفال قد يشكّل تهديدًا خطيرًا على استمرار الحياة الزوجية، فربّما لا يطيق الرجل العيش بغير أنْ يكون له أولاد يحملون اسمَه وتقرّ بهم عينه، ويحيي بهم أبوّته بسبب عقم زوجته، وربّما لا تطيق المرأة الحياة مع زوج عقيم لن تنجبَ منه أطفالًا تحيا بهم ومعهم ولهم، وتنتعش بهم أمومتُها وحياتها، فاختارَ أحدهما أو كلاهما الفراق عسى أنْ يرزق بمَن تكون سببًا في جعله أبًا، أو ترزق بمَن يكون سببًا في جعلها أمًّا.

فبسبب الأطفال يختلف الزّوجان كثيرًا، ولكنّهما لا يزالان ببيتٍ واحد بسبب وجود هؤلاء الأطفال، فالأطفال هم الداء الذي يجلب الخلافات بين الزّوجين، وأيضًا هُم الدّواء الذي يجمع بينهما، فالأطفال هم الدّاء والدواء في نفس الآن.

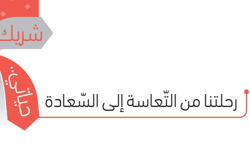
٣٤- إشعالُ نيران الغيرة

قد يثيرُ الرّجل غيرة زوجته حينما يتحدّث معها عن قصص الحبّ التي مرّ بها قبل زواجه منها أو عن زميلاته بالعمل وقدْر العلاقة الجيدة التي تربطه بهنّ، أو يذكرُ بعضًا من محاسنِ ومفاتن النساء في المجلّات أو ما يطالعه

في النت أو ما يشاهده بالفضائيات كنوع من إثارة زوجته لتبدّل من حالها لترضيه، أو بغرض اختبار غيرةِ زوجته عليه، أو كنوع من السّذاجة وسوء إدراك أثر ذلك على الزّوجة، فتلتهب الأجواء بلا داع.

كما قد نرى أنّ الزّوجة حينما تشعر أنّ زوجها لا يغير عليها بالقدر الذي سيريحها، تشعر بانتقاص قدرها عنده، أو أنه لا يحبّها بدرجةٍ ترضيها، فتتمخّض قريحتُها عن عدّة أفكار لتختبر قدرَ غيرة زوجها عليها، أو قد تشعل غيرة زوجها عليها دون قصد وبشيء من السّذاجة، فتمدح رجلًا أجنبيًّا أمامه بصفاتٍ تودّ رؤيتها في زوجها، أو تُبدي بعض الإعجاب بأحدهم في ملبسه أو حديثه أو رأيه.

إنّ أثر مثل هذه الأمور على استقرار البال سيّئ، والأولى هو احترامُ مشاعر شريك الحياة وعدم استثارة غيرته. وقديمًا أعطتْ «ذات النطاقين»، السيدة «أسماء بنت أبي بكر» ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ زوجة «الزبير بن العوام» ـ رضي الله عنه ـ درسًا للنساء في الحياء واحترام طبيعة الزوج الغيورة، وعدم فعل ما يغضبه حتى لو لم يكن حاضرًا، وتحسّس رضاه ومراعاة مشاعره، وعدم مخالفته في غيابه مثلما في حضوره، فتحكي ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تذهب إلى أرض «الزبير» التي كانت تبعد عن بيتها مسافة كبيرة، فتأتي بالنوى وتدقّه لتطعم بها فرس «الزبير»، وفي إحدى المرّات عند عودتها قابلت النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- وهو راكب دابّته ومعه نفرٌ من أصحابه، فأناخ النبي- صلّى الله عليه وسلّم- بعيره ودعا «أسماء» رضي الله عنها للرّكوب، قالت «أسماء»: فاستحيَيت، وذكرتُ «الزّبير» وغيرتَه، فلمّا شعر النبي- صلّى الله عليه وسلّم- أنها استحيتْ مضى.



لقد استشعرت غيرةَ زوجها عليها، وخشيتْ من الرّكوب مع خير خلقِ الله- صلّى الله عليه وسلّم- حياءً كأنثى واحترامًا لغيرة زوجها القويّة، فاجتمع بها الحياء والاحترام، فكانت خيرَ قدوة لِمَن خلفها مِن النساء.

والحقيقة أنّ الغيرة في نطاقها السويّ جيدة، فهي صمام أمان للإبقاء على الحياة بين الزوجين، ولكنْ إضرام نيران الغيرة على كلّ شاردة وواردةٍ قد يجرّ على البيت المشاكل والخلافات دون داع.

٣٥- الرّتابةُ والملل

مِن طبيعة الحياة الزّوجية أنّها طويلة مديدة، أحداثها متغيّرة، وأدوارها متبدلة، فإذا اجتمع مع طول المدّة الرتابة وعدم التّجديد والتّحديث والتّغيير سيحلّ الملل والسّأم، فيصير صبح الحياة الزوجية مثل مسائها، وغدها كيومها كأمسها.

هناك من الناس مَن هو بطبيعته لا يحبّ الخروج عن عاداته وأساليب حياته وطرق تفكيره، ويخشى تجربة الجديد، ولا يميل إلى إجراء أيّ تغيير بحياته، فيظلّ متوقّفًا والحياةُ مِن حوله تهرول. وتصير الحياة الزوجية مملّة راتبة إذا كان كلّ من الزّوجين ذا طبع مزاجي لا يحبّ تغييرًا ولا يتكيّف على جديد، أو إذا كان أحد الزوجين يحبّ التجديد ويميل إلى التغيير والآخر على نقيضه فسيحدث نوعٌ من الخلاف وربّما الصراع بما يعكر صفو الحياة الزوجية..

٣٦- الاستهانةُ باهتمامات شريك الحياة

منذُ بدء العلاقة الزوجية - وربّما من قبلها في فترةِ الخطوبة - يجب أن يعلم الزّوجان ما هي اهتمامات الطرف الآخر، حتّى يراعي عدم الاستخفاف بها والتقليل من شأنها.

هو أخبرها منذ خطبها أنّ رضا أمّه وراحةَ أمّه وصلتَها بأمّه أهمُّ عنده من طهي الطعام وغسيل الثياب وترتيب البيت ونظافته، فإذا آذته في أمّه فماذا تتوقّع منه؟ حبًّا وقربًا أم بعدًا وهجرًا؟

هي أخبرته منذ أن تقدّم لها خاطبًا أن ما يهمّها أن تظلّ هي زوجته الأولى والأخيرة، فهي لا تريده أن يتزوج عليها، فإذا به يهدّدها بعد زواجه منها المرّة تلو الأخرى بالزّواج بامرأة ثانية، فماذا ينتظر منها؟ رضا وسعادة أم قلقًا وتعاسة؟

هو أخبرها بعدما تزوّجها أنّ ما يهمّه هو ارتقاؤه في عمله وتقدّمه فيه، فإذا هي لا تعينه على ذلك، بل تقف حجر عثرة بطريقةٍ ما من الطّرق أمام تقدّمه المهني.. فماذا سيفعل بها ومعها؟ أسيشاركها الحياة أم سيتركها خلفه؟

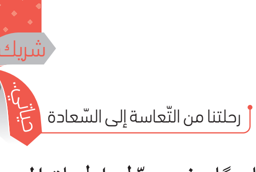
هي بعدما أصبحت أمًّا أكّدت عليه أنّ أطفالها هُم أغلى ما لديها، فإذا هو لا يقوم بحقوق أولاده عليه كما يجب، مضيعًا عليهم فرصَ الحياة الجيدة، فماذا ينتظر منها؟ رضًا عنه أم غضبًا منه؟

الاهتمامُ بالهامّ لدى شريك الحياة هو احترامٌ له وتقدير لنفسيته وقيمته.

٣٧- التمنّعُ حين المراضاة

يحتاج الإنسانُ الغاضب إلى نوعٍ من التّرضية والتهدئة ليعود إلى مزاجه المعتدل الذي كان عليه قبل أن تنتابه نوبة الغضب، وإذا لم يحصل على مراده من المراضاه ستطول ـ ولا شكّ ـ فترة الضيق والهجر والخصام.

والإنسان الذي يصعب إرضاؤه هو الذي يحتاج إلى وقتٍ طويل أو أسلوب معين حتى يرضى، فيجهد ـ ولا شكّ ـ شريك حياته، الذي في



الغالب لا يملك صبرًا طويلًا، ولا يعرف أسلوبًا مناسبًا، فتتحوّل الحياة إلى سلسلة من الكروب المتصلة.

يحتاج الرجل لإرضائه أن تعترفَ زوجته بخطئها، وأنْ تدنو منه برفق وأنوثة، وقد تتمّ المراضاة بمعاشرة جنسية تذهب ما في نفسه من ضيق نحوها لتصفو الحياة بينهما بعدها.

تحتاج المرأة حين إجراءِ المصالحة مع زوجها إلى نوع من المراضاة سواء بكلمة أو كلمات، أو همسة أو همسات، أو لمسةٍ أو لمسات، وكلّ ذلك تحت مظلّة تفهّم مشاعرها وإسباغ حبه لها.

والمرأة حين تتلقّى المراضاة التي تنشدها من كلمة أو همسة أو لمسة قد توغل في التمنع والإعراض معتقدة أن ذلك يجلبُ المزيد من المراضاة المنشودة ـ وهذا ما لا يعلمه الرجل ـ ممّا قد يثير ضجر الرجل وضيقه، فسقف الرجل في المراضاة منخفض، وصبره عليها قليل، وهذا ما لا تعلمه المرأة.

وما فعلته السّيدة «صفية بنت حيي» (رضي الله عنها) لإرضاء زوجها النبي– صلّى الله عليه وسلّم– لأمر يشقّ على النساء فعلُه لأنّها حينما حاول– صلّى الله عليه وسلّم– مراضاتها تمادتْ في حزنها فأغضبته فدفعت ثمنًا غاليًا لإصلاح الوضع. فقد روت السيدة «صفية» (رضي الله عنها) ما حدث بقولها: «حجّ النبي– صلّى الله عليه وسلّم– بنسائه، فلما كان في بعض الطّريق نزل رجل فساقَ بهنّ فأسرع، فقال النبي: «كذلك سوقك بالقوارير» يعني النساء، فبينما هم يسيرون برك لـ«صفية بنت حيي» جملُها، وكانت من أحسنهنّ مظهرًا، فبكت، وجاء رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– حين أخبر بذلك فجعل يمسح دموعها بيده، وجعلت تزداد بكاءً وهو ينهاها، فلمّا أكثرت زجرَها وانتهرها، وأمر الناس بالنزول فنزلوا، ولم يكن يريد أن ينزل،

قالت: فنزلوا وكان يومي، فلمّا نزلوا ضرب خباء النّبي ودخل فيه، قالت: فلم أدرِ علامَ أهجم من رسول الله؟ وخشيت أن يكون في نفسه شيء منّي، فانطلقت إلى «عائشة» فقلت لها: تعلمين أنّي لم أكنْ أبيع يومي من رسول الله بشيء أبدًا، وإني قد وهبت يومي لك على أنْ ترضي رسولَ الله عنّي، قالت: نعم، فأخذت «عائشة» خمارًا لها قد بردته بزعفران، فرشته بالماء ليزكى ريحه، ثمّ لبست ثيابها، ثمّ انطلقت إلى رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- فرفعت طرف الخباء: فقال لها: ما لك يا عائشة؟ إنّ هذا ليس يومك. قالت: ذلك فضلُ الله يؤتيه مَن يشاء».

وبهذا الموقف عدّة لفتات جديرة بالانتباه..

إنّ مسح دموع الزّوجة بيد زوجها كما صنع النبي- صلّى الله عليه وسلّم- مع أمّ المؤمنين «صفية بنت حيي» رضي الله عنها هو مواساة لها ومراعاة لعواطفها ومشاعرها في أرقى صورها، مع أنّ سبب البكاء قد ينظر إليه الزوج على أنه تافه، فالدّموع والبكاء من أجل بروك جمل يعدّ أمرًا لا يستحقّ بكاءً ولا حزنًا، ومع ذلك لم يحقر النبي- صلّى الله عليه وسلّم- عواطفَ ومشاعر زوجته «صفية بنت حيي» رضي الله عنها، بل احترمها ودعمَها وسعى لإرضائها وأنزل القافلة كلها من أجلها. فما فعله النبي- صلّى الله عليه وسلّم- لإرضاء زوجته فاق كلّ ما نعرفه عن الرقّة والودّ واحترام المشاعر. ولكنها استمرّت في بكائها رغم ذلك حتّى زجرها وانتهرها صلى الله عليه وسلم. إنّ الدموع تكون غالية وثمينة إذا لم يهدر الباكي قيمتها بمواصلة البكاء، خاصّة بعدما عرف الزوج قدرها وبذل وسعه للتّخفيف عنها ومواساتها.

ورغم أنّها- رضي الله عنها- لم تدركْ لماذا زجرها وانتهرها النبي صلى الله عليه وسلم، « فلم أدرِ علام أهجم من رسول الله»، فقد تنازلت عن يومِها الذي لا تقبل أنْ تمنحه لغيرها من ضرائرها أبدًا، «تعلمين أنّي لم أكن أبيع يومي من رسول الله بشيء أبدًا»، ولكنّها فعلت ذلك لشراء رضا زوجها عليها، «على أنْ ترضي رسول الله عني»، إنها فعلت كمَن لعق السمّ ليتداوى.

إنّ هذا من طبع النساء، يبدو هذا واضحًا حينما يبدأ زوجها في التّخفيف عنها فتزداد تمنّعًا وبكاءً، فهذا التخفيف يستجيش عندها المشاعر أكثرَ فأكثر، إنّه سلوك عند النساء طبيعي، ولكنّه يزيد من حيرة الرجال وربما غضبهم، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

لا بدّ من انتهاز فرص المراضاة لإزالة أيّة ضيق، كما أنّه من الضروري عدم الإيغال في التمنّع ورفض المراضاة، ففرصُ المراضاة قد تكون قليلة أو نادرة، وإضاعتها قد تزيد الأمور تفاقمًا.

٣٨- التّنقيبُ في ماضي شريك الحياة

كثيرًا ما ينتاب أحدَ الزّوجين أو كلاهما نوعٌ من الفضول لمعرفة ماضي شريك الحياة، خاصّة ذلك الذي يتناول علاقاته بالجنس الآخر. وقد يزدادُ الفضول إذا لم يفصحْ شريك الحياة عن ماضيه إذا ما سئل، أو حينما يرسل إجابات تثير الحيرة وتفتح الشّهية أكثر ممّا تسدّ الجوع، ومن ثمّ يندفع الفضولي للتنقيب في هذا الماضي المجهول والسعي لمعرفة المزيد عنه بشتى الطرق.

إنّ نبش ماضي شريك الحياة ليس بالتّصرف الحكيم، فقد يؤدّي إلى اكتشاف علاقات أو عواطف أو معاملات سابقة مع أفراد من الجنس الآخر، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، قصيرة أو مديدة، سطحية أو عميقة،

فيحل التوتر والقلق وربما الشّك وفقدان الثّقة والزّهادة في الآخر واحتقاره، ممّا يزيد من تعقيدات الحياة الزوجية. إنّ نبش الماضي والتحرّي عنه من شأنه أن يزلزل الحاضر ويضبّب المستقبل، وما هو إلّا ماض مضى بما له وما عليه.

العديدُ من الزّوجات يفتّشن في ماضي أزواجهنّ ونزواتهم السابقة المحتملة، ويستدرجنَ الزوج ليدلي بأوصاف مَن كانت خطيبته أو مَن كان ينوي الزّواجَ بها قبلها، تسأله عن حقيقة صلاتِه السابقة بقريباته وزميلاته وجاراته.

كما أنّ بعض الرّجال ينشغل كثيرًا بتعقّب ماضي زوجاتهم، ومحاولة معرفة تفاصيل ارتباط سابق أو حبيب ذاهب أو خطيب زاهد، وقد يتمادون فيبيحون لأنفسهم محاسبتهن على ماض لم يشاركوهن فيه.

إنّ مَن يحرص على نبش ماضي شريك حياته يؤكّد على أنّ في شخصيته بعضَ الصفات المرذولة مثل التدخل فيما لا يعْنيه وعدم احترام الخصوصيات، أو أنّ له خبرات سلبيةً سابقة عديدة مع الجنس الآخر، ممّا جعل الشكّ يساوره والفضول يأكله.

إنّ الماضي من حقّ صاحبه إنْ شاء أفصح عنه كلّه أو بعضه، وإنْ شاء حبسه في صدره، والإنسان يشاطر شريك حياته في حاضره ومستقبله ولكنْ ليس في ماضيه، فإذا ما نقّب الإنسان فيما لا يملك أضاع ما يملك.

٣٩- كثرةُ القنابل الموقوتة

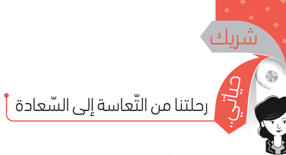
كثيرًا ما يصبر أو يتحمّل أحدُ الزّوجين مساوئ الطّرف الآخر. وبمرور الأيام والأعوام يجد هذا الطرف الصابر المتحمّل أنّ المساوئ التي بصنع شريك حياته قد تركت بصماتِها السلبية ليست عليه وعلى مستقبله المهني

والاجتماعي فقط ولكنْ أيضًا على أولاده، وربّما تكون قد تخطّت هذه الحدود وامتدّت إلي والديه وسائر أهله، فينفجر من كان يومًا صابرًا محتملًا ليزلزل بيتًا كان على المساوئ ساكتًا.

إنّها فوضوية للغاية، وهو حاول قليلًا أو كثيرًا لفتَ نظرها للاهتمام بالنظام والنظافة والترتيب فلم تستجب أو استجابت بدرجةٍ طفيفة، فصبر متذمّرًا، ومع الأيّام والأعوام وجد أولاده من البنين والبنات «فوضويّين» لا يعرفون نظامًا ولا يتقنون نظافة ولا يعبأون بترتيب، فبيتُ ابنته المتزوّجة مخزنُ كراكيب فتضرّر من ذلك زوجها كثيرًا وأضرّها، وبيت ابنه المتزوج لا يعبأ به، حتّى وإن صار مقلبَ قمامة، فانقلب الصّابر المحتمل إلى وحشٍ يريد افتراس زوجته الفوضوية، فمساوئ بيته رآها تتجدّد في بيوت أبنائه وبناته بعد زواجهم، فطاح صبره وطاش صوابه.

وإنّه كثير الصّراخ والغضب على أي شيء ومن أجل كلّ شيء وعلى أتفه شيء، لا يفقه أهمية إرساء الهدوء والسكينة ببيته، ولا يدرك أبعادَ هذا الصّراخ وذاك الغضب السيئةِ على مستقبل بيته، حاولت تسكينه وتسكيته ولكنه لم يستجب، ثمّ صبرتْ راغمة، وبمرور الأيام والأعوام وجدت أولادَها وقد أصابتهم بعض المشاكل النفسية، أو رسخت عندهم وعندهنّ تصوّرات سلبية عن الزّواج والحياة الزوجية، فتبخّر صبرها وثارت على زوجها.

كانت تسكتُ على مضض حينما كان يسيء إليها ويهينها بألفاظٍ جارحة أملًا من أن ينصلح حاله يومًا ما ويقلع عما يقول ويفعل، ولمّا وجدت طفلها قد ناله من ألفاظ أبيه ما نالها من قبل، ثمّ صار يقلّد أباه في التلفظ بمثل هذه الألفاظ؛ طفح بها الكيل.



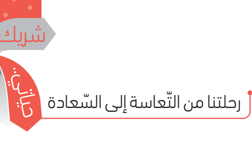
لكمْ صبرت على قراراته الخطأ في العديد من الأمور، ولكنّ هذا الصبر نفد، فهاجتْ عليه وماجت عندما رأت انعكاس نتائج هذه القرارات على مستقبل أولادها وتعليمهم.

لكمْ تحمّل سوء إدارتها لمصروفات البيت واستنفادها لكلّ موارده المالية أوّلًا بأول، فلمّا انقضى عمره ولم يجد معه مدّخرات مالية كأقرانه وزملائه انقلبَ عليها ونقم منها وحمّلها ما آل إليه حاله،

لكمْ صبر على سوء تنفيذها للبرنامج الغذائي الضارّ المبتسر، ولكنّه ثار عليها وغضب منها عندما كبر وتكالبت عليه أمراض التقدّم في العمر مثل مرض السّكري وضغط الدم وتصلب الشرايين والبدنه، والتي عجلت من إصابته بها التغذية غير الصّحية، بالإضافة إلى رؤية إنعكاس هذا النّظام الغذائي الضّار على ابنه الشاب الهزيل وابنته الفتاة البدينه، فازدادت ثورته عليها وغضبه منها.

لكمْ تحمّل إساءاتها لأمّه وأبيه وسائر أهله، واضطرّ في بعض الأحيان للوْمِهم وتقريعهم ومقاطعتهم وتجاهل برّهم ووصالهم، ثمّ، وافى الأجل أمّه وأباه وهُما عليه غاضبيْن بسبب انحيازه لزوجته ضدّهم باستمرار، فإذا به ينقلب على زوجته انقلابًا أدْمى مستقبلها معه.

إنّه لا يجبُ السّكوت عن الأمور السلبية التي تبدر من شريك الحياة منذ أوّل لحظة في الحياة الزوجية، خشية أن يتفاقم الأمرُ مع مرور الأيام والأعوام، وتعمل هذه الأمور السّلبية عملها وتظهر نتائجها السيئة في الحال والمال والعافية، وتمتد هذه النّتائج السيئة إلى مَن حوْل الزوجين من أولاد وأهل، بل يجب النّصح بصدقٍ ولين وصبر من طرف والاستجابة الفورية العملية من الطرف الآخر.



إنّ الآثار السّلبية لوجود مساوئ شريك الحياة ستؤدّي دور القنابل الموقوتة، والتي ستظهر نتائجها السيئة ـ ولا شك ـ بعد أعوام طوال من الزّواج، فتنفجر وتصبح سببًا مباشرًا في الفراق والطلاق بعد قرابة العقدين من عمر الزواج.

٤٠- إرسالُ بالونات الاختبار

قد يستشعر أحدُ الزّوجين أنّ شريكه لا يمنحه المشاعر والاهتمام الكافييْن، ويجد في أقواله وأفعاله ما يعضّد هذا الشّعور، فيلجأ إلى إخضاع شريك حياته لاختبارات وفحوصات ليمحّص بها قوّة مشاعره نحوه ودرجة اهتمامه به. وبالطبع لا يصرح مَن يريد اختبار شريكه بأنّه سيخضعه لعملية اختبار، بل يضمر ذلك في نفسه وينتظر ليرى النتيجة، والتي في الغالب تكون مؤسفة.

إنّها لعبة النساء المفضلة،

فكثيرٌ منهنّ تريد أن تتأكّد من أنّ زوجها يحبّها، وأنّ لها مكانة خاصّة عنده، وأنه يخاف عليها ويغير عليها ويرعاها ويهتمّ بها، فتخضعه لاختبارات يقيس كلّ ذلك.

– لكم انتظرت زوجةٌ من زوجها تذكّر عيد زواجها أو عيد ميلادها ومنحها الهدية المناسبة، فتحادث نفسها قائلة: «إن كان بيحبّني بجدّ حيفتكر عيد ميلادي»، ولكنه كان لهذه المناسبات ناسيًا..

– لكم أرادت زوجةٌ أن تشعر باهتمام زوجها بمشاعرها ورعايته لها وغيرته عليها قائلة في نفسها: «لو بيهتمّ بمشاعري حيحاول يراضيني ويطمّني»، فكانت ردّة فعله تبيّن لها ـ على غير ما يقصد ـ أنه يهملها، فازدادت قلقًا وظمأ،

- لكم ارْتدت زوجة فستانها ووضعت مكياجها وطلّت على زوجها بتسريحة شعَر جديدة متمنّية منه ثناءً على مظهرها وذكرًا لجَمالها محادثة نفسها: «لمّا اشوفه حياخد باله من تسريحة شعري الجديدة واللّا لأ»، فالتفت إليها ثمّ عنها ولم يلحظ الفارق، أو، لاحظه ولكنه لم يعلق.

- لكمْ رغبت أن يفكّر في دعوتها لتناول وجبة العشاء خارج بيتها في أجازة آخر الأسبوع قائلة لنفسها: «مش حاقوله يعزمني على العشاء وحاشوفه حيعملها لوحده واللّا لأ»، ولكنه كان لأفكارها ليس بقارئ..

إنّها بالونات اختبار فاشلة بالتأكيد لأنّها فوق قدرات الرّجل وإدراك الرجل، ولذا فهي تأتي دومًا بنتائج عكسية تجلب للمرأة المزيدَ من الألم والإحباط. إنّها اختبارات لن تحقق ما تصبو إليه امرأة من تأكيد حبّ زوجها لها وتأكيد مكانتها الخاصة لديه.

ولذا يجب أن تكفّ المرأة عن إرسال بالونات الاختبار رحمةً بنفسها، وبزوجها أيضًا، ومن جهة أخرى على الزوج أنْ يجتهد في ملاحظة واكتشاف مثل هذه البالونات ـ وهذا أمرٌ صعب للغاية بالنسبة له ـ وأن يتجاوب معها ويتفاعل ـ وهذا أمر آخرُ أكثر صعوبة ـ بما يحقّق لزوجته ما تصبو إليه، وأجره على الله.

٤١- إهدارُ الأبوّة والأمومة

وحتّى يشعر الزوج بكيانه كأب ينعم بأبوّته يجب ألّا تربّي الزّوجة أولادها على فعل أمر تعلم أنّ والدهم لا يحبّه، وألّا تستأثر الزّوجة بجلّ أمور التربية وحدها، وألّا تفرض نظرتها في تعليم الأولاد وتتجاهل رأي والدهم في شئونهم بدعوى أنها الأقدرُ على فهْمهم والأكثر مُكثًا معهم، وألّا تستنكف

طريقته في تربية أولاده أمامهم، وألّا تتصرف كما لو كانوا لا أب لهم، ولا تسفّه من عواطف الأبوّة أو تقلّل من شأنها بمقارنتها بغريزة الأمومة ودفئها.

ولكي تشعر المرأة بأمومتها يجبُ احترام انشغالها بالأولاد، وحسن تفهّم بذل جلّ وقتها عليهم، وعدم تجاهل رأيها بشأن تربيتهم، وعدم إهانتها وقهرها وتسْفيهها والحطّ من شأنها أمامهم (والأصل ألّا يحدث هذا لا أمامهم ولا من ورائهم)، وعدم التّقصير في تلبية احتياجاتهم، والإساءة إليهم بالتجريح والإهانات وتوقيع الضّرر عليهم بالكلمات واللكمات، خاصّة في حضرة أمّهم.

٤٢- شراكةُ العمل الأليمة

إنّ القوانين التي تضبط العملَ خارج البيت تختلف عن تلك التي تضبطه داخل البيت. ومن ضمن قوانين التي تحكم العمل خارج البيت تغليبُ المنطق على المشاعر والعواطف، ومعاقبة المخطئ أيًّا كانت مكانته، والاختلاف في وجهات نظر الشّركاء، وأخذ القرارات التي تصبّ في صالح العمل ولو كانت على حساب رأي ومصلحة ومشاعر بعض الشركاء، وكلها أمورٌ تتّسق مع طبيعة الرجل أوثق من اتساقها مع طبيعة المرأة.

فإذا ما تشارك الزّوجان في عمل يديرانه ويرتزقان منه فسيستدعي الأمر ـ ولا ريب ـ تجاهل المشاعر ومعاقبة المخطئ والاختلاف في وجهاتِ النّظر وأخذ القرارات الحاسمة، فلو صدرت هذه الآليات من الزوج لزوجته وشريكته في العمل لتوتّرت بالقطع حياتهما الزوجية.

إنّها تنظر إليه على أنّه زوجها، وتنتظر منه مراعاة مشاعرها والتجاوز عن أخطائها، وإنه ينظر إليها على أنها شريكة عمل ولا يصلح أن يكون بالعمل مشاعر ولا تجاوز عن الأخطاء.

كما أنّ مشاركة المرأة لزوجها في عمل مشترك يعطيها الحقّ في التدخل في هذا العمل بالنقد والتوجيه والنصح وإلقاء الأمر والسّيطرة، وكلّها آليات لا تلائم التعامل بين المرأة وبين زوجها، فإذا حدثت سيتعكّر الصفو ويتأزم الوضع.

إنّها حينما تنظر إليه كشريكٍ في العمل وليس كزوج وشريك حياة فهي توجّه وتنقد وتأمر وتسيطر، وإنه حينما ينظر إليها كزوجة وينسى أنّها شريكة عمل فسيضايقه توجيهها ونقدها وأمرها له والسيطرة عليه.

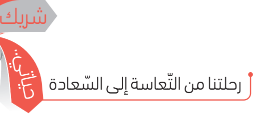
وإذا دخل الزّوجان الشريكان في العمل بيتهما وهما مثقلان بهذه المشاعر السلبية تجاه بعضهما البعض فسينقلان همّ خلافات العمل إلى داخل البيت فتتعكّر الأجواء، وسيدبّ بينهما الشجار على أتفه الأسباب، وسيزداد الاحتقان وتتعثر الحياة وتتعسر، ويصير البيت ليس مرفئًا للرّاحة والسكن؛ بل سيصبح موقعًا جديدًا للعمل والتوتر، ولذلك مَن كانا زوجين لا يفضل ـ في أحوال كثيرة ـ أن يكونا شركاء في عمل خاصّ بهما، يرتزقان منه وينشغلان به.

٤٣ـ زيجاتٌ ولِدَت ميتة

هناك بعضُ الزّيجات حملت معها منذ بدئها أسباب نهايتها، ومن أمثلتها ما يلي:

١- زواجُ الشّفقة:

لقد ارتبطا ببعضهما عاطفيًّا، واستعدّا نفسيًّا للزّواج وإتمام الزّفاف بعدما تمّ فرش منزل الزوجية بالأثاث والأجهزة المنزليّة والديكورات، وعلم الجميع بقرب ميعاد الزّفاف، لكنْ.. خبت رغبته هو في الزواج منها تدريجيًّا سواء بأسباب تتعلق بنفسيّته أو بضغوط من أهله أو بسبب آخر،



ولكنّه وصل الآن إلى درجةٍ صار معها لا يقوى على إتمام الزفاف، فانصرف عنها، ولكنه بات مشفقًا عليها، خشية من أنْ يكون ظالمًا لها ومتسبّبًا في كسر قلبها وتحطيم حلمها، كما أن أهلها عاملوه على أفضل ما يكون، فأمّها تحبّه تمامًا كأحد أبنائها، ووالدها يقدّره ويفتخر به، وإخوتها وأخواتها سعداء به أيما سعادة، فاستثقل عدم إتْمام الزّفاف وهو غير راغب فيها، ورغم ذلك تزوجها شفقة بها وبأهلها.

إنّها شفقة كاذبة خادعة، فإنْ كان بها شفوقًا حقًّا فيجب أن يتركها بالمعروف قبل زفافها عليه، فألم حياة زوجية تخيم عليها الشّفقة أشدّ من ألم حياة بلا زواج لفترة مؤقتة، وأنّ ألم الفراق قبل الزفاف أقل وطأة من ألم الفراق بعد الزفاف، من يردْ أن يشفق فعليه أن يترك، لا أن يتمّ زواجه بمَن يشفق عليها ثمّ يتسبب في تعاستها طوال الوقت.

ومثل ذلك أيضًا بالنسبة للمرأة التي تتزوّج برجل شفقة به.

٢- زواجُ المنفعة:

قد يتزوّج الشابّ من فتاةٍ بعينها بغرض رفع مكانته الاجتماعية أو المهنية أو المادية. فإذا ما تمّ له ما أراد بحث عن وسائل أخرى أو امرأة أخرى لترفع من مكانته درجةً أو درجات، فزواجه ابتداءً واستمرارًا مرهونٌ بمنفعته الشخصية، فإذا ما أنجزت المنفعة انتهت مهمّة الزواج، ليس من أجل ذلك شرع الله تعالى الزواج.

٣- زواجُ المضغوط:

بسبب ضغوط السّفر أو لتقدّم العمر، أو لوضع اجتماعي قد يضطر الشاب/ الفتاة إلى الزواج بمَن تقع عليها العين أو من يطرق الباب خاطبًا،

سواء كان هذه/ هذا مناسبًا أو غير مناسب، فالزّواج في نظر هذا الإنسان المضغوط أمسى احتياجًا بغض النّظر عن الزواج بمَن، وقد يصيب هذا الزواج وقد يخيب، ويناله التّوفيق أو الفشل، إنها بحق مقامرة، وإنه من الحكمة ألّا يتّخذ الإنسان قرارًا وهو تحتَ ضغط واحتياج شديدين، خاصّة إذا كان هذا القرار مصيريًّا كقرار الزواج.

٤- الزّواج بعد حبّ من طرفٍ واحد:

قد يخفق قلب المرء بحبّ إنسان، ولكن هذا الإنسان لا يبادله حبًّا بحبّ، إنه الحب من طرف واحد، وهو ليس بعلاقة، فالعلاقة هي التي تربط بين طرفين، وليس التي تكون بين طرف وبين خياله الخصيب.

إنّ الذي يحبّ من طرف واحد هو ضحية نفسه، حينما نسج من خياله قصّة حبّ متبادل بينه وبين محبوبه الذي لا يبادله حبًّا بحبّ. إنّه نوعٌ من إرْواء العطش العاطفي بسرابٍ يحسبه الظمآن ماءً حتّى إذا جاءه لم يجده شيئًا، هي التخاذل في اتخاذ القرار الصّحيح لوقف استمرار عاطفة مبتسرة غير صحية وغير صحيحة، هي اختيار رخوٍ تسيره الخيالات وتقوده الرغبات التي يريح النفس لبعض الوقت، ولكنّه يضمر القلق، ويلهب العاطفة لفترةٍ ويخمدها في فترات فتمزّق صاحبها بين شدّ وجذب ولا تحمل أدنى أملٍ في إقامة حياة زوجية مستقرة.

إنّ هذا الصّنف من «الحبّ» قد لا يجتمع معه احترامُ الذّات، فالمحبّ قد يتنازل بسهولة عن أساسيات أخلاقية وثوابت قيميّة لكي ينال القرب من «حبيبه» بأيّ طريقة وعلى أيّ وجه، ثمّ تتسارع وتيرة التنازلات فيهبط احترام الذات وينكمش، وتتقلّص الكرامة وتتبخّر، ورغم كلّ تلك «التضحيات» فلنْ يحصل من فقْد احترام ذاته وكرامته على الحبّ والقرب الذي يريد.

فإذا بني الزّواجُ على الحبّ من طرف واحد صار كلّه مرارات، فالذي يحب يبذل كلّ طاقته وجهده وكرامته واحترامه لنفسه، بينما «المحبوب» ليس لديه ما يبذله، وما عنده لا يستطيع إخراجه،

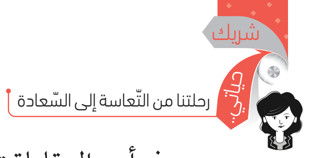
فإذا تزوّج إنسان محبّ بمَن لا يبادله حبًّا بحبّ كان قربه من «حبيبه» أشبه بالموت، لأنه لم ولن يجد عنده ما يريد ويصبو، وبعده عنه أقرب إلى الموت لأنّه لا يتصوّر له حياة بدونه، وكأنّ الموت حاق به وهو مازال على قيد الحياة.

وبالنّسبة للإنسان الذي تزوّج بمَن لا يحبّه فلن يجد لديه القدرة والطّاقة والرغبة على البذل، وقد يبحث عن الحبّ مع فرد آخر يعيش له وبه، ويستحقّ أن يبذل له ويضحّي من أجله، أو قد ينكفئ على بيته وأولاده صابرًا وصاغرًا في حياة أشبه بكوْنها خامدة هامدة.

٥- الزّواجُ بعد حبّ مبتسر، أو بعد عدم وجود الحب:

من الضّروري لكي يتمّ الزّواج بين رجلٍ وأمرأة أن يكون بينهما شيء من القبول، شيء من الانجذاب، شيء من الحب. أمّا إذا تمّ الزّواج بعد قصّة حبّ ناقص أو قصّة لا حبّ فيها، فهو زواجٌ حملَ بين طياته أسباب هزاله وضعفه أو حتى نهايته ووفاته. وتزداد قيمة الحبّ وضرورته كشرارة لبدْء زواج ووقود لاستمراره حينما يكون أحد الطرفين أو كلاهما عاطفيًّا رومانسيًّا.

فإذا ما تمّ الزّواج على غير قدرٍ ما من الحبّ، فالأولى الإبقاء على البيت وبذل الجهد في العناية بالصغار ومحاولة الاستمتاع بما هو متوافر من مزايا في شريك الحياة، فالبيوتُ لا تبنى على الحبّ فقط، كما قال الفاروق «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه.



وفي أحوالٍ قليلة تفشل الحياة الزوجية أو تتيبّس لعدم ارتواء الزّوجين-أو أحدهما- نفسيًّا وعاطفيًّا من الطرف الآخر، وتبدو هذه الحياة غيرَ مستقرّة، وقد يلوّثها ميول إلى أفراد من الجنس الآخر أو إقامة علاقة ما معهم سواء بالحلال أو حتى الحرام في غيبةٍ مِن تقوى وضعفٍ في إيمان لنيل الاحتياج النفسي أو العاطفي المفقود.



الباب الثّالث

مُنغّصات ذاتُ أبعادٍ تربويّة ومهارية

ترعرعتِ النّفوس البشريّة في محاضن تربويّة مختلفة ومُتباينة في أساليبها وقيمها وقوّتها وضعفها وصحّتها وخطئها، واكتسبت عادات منها الصّائب ومنها الخائب، واعتصرتها التّجارب الحياتية الإيجابية منها والسلبية، وتزينت بالقيم السامية أو تخلّت عنها، فتغيّرت متطهّرة بمزايا وسجايا، أو متلوّثة بمثالب وعيوب، فحسّنت تصرّفاتها بروعة الحكمة والفكرة والرؤية والدربة، أو ساءت نتيجة نقص الحكمة وضحالة الفكرة ومحدودية الرؤية وعدم الدربة.

من أجل ذلك جمعتِ النّفوس البشرية أخلاطًا من كلّ صنفٍ ولوْن، وسبحانَ الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى.

لقد تسبّب هذا الكوكتيل العجيب والمُتباين الذي تموجُ به النّفوس البشرية حينما تزوّجت وتعايشت معًا في خلق كثير من المنغّصات بين الزّوجين ذات الأبعاد التربوية والمهارية، والتي من أهمّها ما يلي:



١- عدمُ المرونة

إنّ وجود الاختلافات الطبيعيّة الفطرية بين الذّكر والأنثى في الرّؤية والتفكير والتعبير والسلوك أمرٌ لا يمكن إنكاره، وستبدو هذه الاختلافات في كثيرٍ من الممارسات وطرق تحمّل المسئوليات وأساليب القيام بالأنشطة والواجبات، ولا مفرّ من التّعايش بين الرّجل والمرأة كزوجين، ولذا يجب أن يمتلك الإنسان- ذكرًا كان أو أنثى- بعضًا من الوعي حتّى يتقبّل وجود هذه الاختلافات الطبيعيّة الفطرية بينه وبين شريك حياته، وأنْ يتعايش مع أمرٍ ما لا يحبّه فيه، فكانت المرونة ضرورة.

المرونة في الحياة الزوجية هي القدرةُ على التعامل مع المتغيّرات والتأقلم على التقلبات، وعلى إيجاد عددٍ من الحلول للمشكلة الواحدة، فإنْ لم تكنْ لدى الإنسان مرونةٌ كافية فسيظلّ متجمدًا في مكانه والتغيرات مِن حوله تتوالى تتْرا، وسيبقى مستمسكًا بحلّ واحد للمشكلة الواحدة ولو ثبتَ فشله، مكرّرًا إيّاه بدأب وبلا يأس منتظرًا نتيجة مختلفة، وهيْهات أن يجد بغيته.

عينُ الفشل هو الإصرارُ على اختيار وتكرار نفس الطّريقة الفاشلة لعلاج المشكلة الواحدة وانتظار نتيجة مختلفة.

لكمْ تسبّب فقدان المرونة لدى الذّباب في موته، فالذّبابة التي تحاول الخروجَ من نافذة مغلقة تحوم وترتطم بزجاجها وتعود وتكرّر الحوْمَ والارتطام مرّة تلو الأخرى حتّى تستنفد طاقتها وتهلك. إنّها لم تبحث عن طريق آخر وأسلوب آخر يخرجها سالمة، إنّها كرّرت المحاولات الفاشلة دومًا فهلكت.

كتب «تشارلز جيفينس» في كتابه «عظمة الذّات» أنّ: «تكرار نفس المحاولات التي لا تؤدّي إلى النجاح لن يغيّر من النتيجة مهما تعدّدت هذه المحاولات».

وبالنّظر إلى الحياة الزوجية قد نجدُ رجلًا يمارس كثيرًا من الضّغوط على زوجته لتزور معه أهله وهي غير راغبة في ذلك لتوتر العلاقات بينها وبينهم، وما تزيدها هذه الضّغوط إلّا بعدًا عنهم وجفاءً وكرهًا، ورغم ذلك لا يزال يضغط عليها ويضغط، فيزداد الأمرُ صعوبة فوق صعوبة، لماذا لا يسلك طريقًا آخر غيرَ هذا الضغط الذي لا يأتي بالنتيجة المنشودة؟، لأنه لا يرى إلّا هذا الحلّ الفاشل.

إنّها تلحّ في طلبها وتكرّر، وهو يغضب ويضجر، ثمّ لا يستجيب، ثمّ يسبّ ويهين، ومع ذلك مازالت هي تلحّ وتكرّر، لماذا لا تختار أسلوبًا آخر غير هذا الأسلوب؟ لأنّها لا ترى له بديلًا.

إنّ التّغيرات المتلاحقة بالحياة الزوجية والأسرية أكثرُ وأكبر من أنْ تحصر، ولن تظلّ الأمور ثابته على وتيرة واحدة أبدًا، ولذا كانت مرونةُ كلّ من الزّوجين في تشكيل علاقتهما وتغييرها وتطويرها لتتناغم مع هذه المتغيرات وتتعامل معها بإيجابيّة من الأمور الضّرورية لبقاء الحياة الزوجية ماضية بثبات واستقرار.

بالزّواج صارت هناك علاقاتٌ جديدة من نسب وأصهار، ثمّ حين إنجاب الطفل الأوّل سيتغير شكل الحياة وسيزداد جمالها ومسئولياتها، فلن يعود البيت هادئًا كما كان بغير أطفال. وإنّ وجود طفل آخر سيزيد من الأعباء والأنواء، كما أن وجود أطفال إناث فقط يختلف عن وجود أطفال ذكور فقط يختلف عن وجود أطفال من كلا الجنسين، وأيضًا كان وجود

أطفال صغار بالبيت يختلف عن وجود مراهقين، ويختلف عن وجود خليط بينهما، ومن هنا كانت أهمية المرونة.

إنّ تقلّص دخل الأسرة تارة وازدياد دخلها تارةً أخرى أمرٌ وارد في أيّة فترة، فلن يستقرّ البيت على حال مادي واحد، ولذا كانت هناك حاجة ماسّة إلى التكيف والمرونة.

إنّ الصّحة في تقلّب، ومع تقدّم العمر هي في تدهور، فلا يمكن فعل ما تعوّد الإنسان فعله دومًا بذات الطريقة ونفس السّرعة والكفاءة، فالأمر حينئذ يتطلب نوعًا من التأقلم والمرونة.

هو جاء من بيت أبيه وقد ألفَ عاداتٍ واكتسب مهارات، وأثْقِلَ بتصوّرات وقناعات واهتمامات تختلف عن تلك التي جاءت بها زوجته من بيت أبيها.

.. ثمّ،

جمعهما بيتهما الجديد،

كلّ منهما اعتقد ـ خطأ ـ أنّ ما جاء به من بيت أبيه من عادات ومهارات وتصوّرات وقناعات واهتمامات هو الأصوب والأجدر بالتّطبيق، وأنه سيستطيع تنفيذه بحذافيره في بيته الجديد، كلّ منهما اعتقد ـ خطأ ـ أنه يجبُ إرضاخ الآخر على ما تربى هو عليه، فيبدأ النّقاش ومحاولة إقناع الآخر، فيتطوّر الأمر إلى جدالٍ عقيم أقرب إلى المشادات، فيحدث الصّدام المقيت، ثمّ يفرض أحدهما سيطرته، فتشتدّ مقاومة الآخر، ثمّ يخيّم القهر، ثمّ الكرّ والفرّ، فقد صارت هناك معركة.

- هي جاءت من بيت أبيها وقد اعتادت على أنّ برنامج نظافة البيت وترتيبه هو من أهمّ الأمور المنزلية شأنًا، ولذلك فهي توليه أولوية خاصّة، وهو

جاء من بيت أبيه لديه قناعة مختلفة وهي أنّ برنامج النظام الغذائي هو الأهمّ والأجدر بالاهتمام. فماذا يصنعان؟ وأيّهما الأصوب والأجدر بالتطبيق؟

ابتداء، كلاهما صائب، وكلاهما جديرٌ بالتطبيق، ولكنّ الوضع يلزمه قدرٌ كبير من المرونة، فلن يتمّ إنجاز الأمرين في ذات الوقت، وهنا يجب أن تتحلّى الزوجة بالمرونة ـ لأنّها هي التي تقوم بتنفيذ البرنامجين ـ بحيث تغيّر ترتيب أولوياتها ليحتل برنامج النظام الغذائي المرتبة الأولى، وبذلك تُدخل الرّاحة إلى نفس زوجها ممّا سينعكس إيجابًا على حياتها الزوجية.

– هو ألفَ مشاركة أقاربه في كلّ اجتماعيّاتهم، ولذا فهو لا يترك مناسبة إلّا وكان فيها حاضرًا، وأرادها أن تشاركه كلّ اجتماعياته وحضور كلّ مناسبات عائلته، بينما هي ليست اجتماعية بالدّرجة الكافية التي ترضيه، فقد خرجت من بيت أبيها وقد اعتادت على قضاء الزّيارات في أضيق الحدود ولأناس معدودين، كما أنّ قلبها لا يميل إلى كثيرٍ من أقربائه. فما الحلّ؟ هو يريد أمرًا وهي لا تميل إلى ما يريده.

لا يجب أن يجبرَ الرجلُ زوجته على الانفتاح على الناس، فذاك أمرٌ يتنافى مع طبيعتها وما ألفته وما ارتاحت عليه، كما لا يجب إرغامُها على زيارة مَن لا تحبّ زيارتهم ـ باستثناء والديه إلى حدّ كبير ـ فعليه توجيهها بكل رفق لأهمية ودّهم وزيارتهم.

وهنا يجب على الرجل أن يتّفق مع زوجته على حدّ أدني يريحها، وأن يكون لديه قدر من المرونة فيقنع بالقيام بالعديد من زيارات عائلته بمفرده، ولا يحدّه امتناع زوجته عن مرافقته أثناء الزيارات العائلية وغيرها عن قيامه بصلة رحمه، فالأوفق هنا أن يكون هدف الرّجل راحة زوجته النفسية، والتي ستعود عليه ـ ولا شكّ ـ بالراحة وهدوء البال.

- هو شابّ دلّلته أمّه فصنعت له كلّ شيء، وقدّمت له كلّ شيء، فعاش في بيت أمّه وكأنه ملك متوّج، أو ـ إن شئت قلت ـ تنبل من التّنابلة، وأراد مِن عروسه أن تفعل له ـ كأمّه ـ كلّ شيء، وتقدّم له ـ كأمّه ـ كلّ شيء، أراد أن يعيش في بيته مع زوجته كما كان يعيش في بيت عائلته مع أمّه، أراد أن تكون زوجته مثل أمه، فلمّا لم يجدها كما يريد ثار وغضب.

لقد افتقد هذا الشابّ المرونة، فلم يعدْ يقبل إلّا أن تقوم زوجته بما كانت تقوم به أمّه.

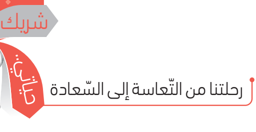
- إنّه علم أنّ إصراره على إجبار زوجته على زيارة أخته التي لا تحبّها يضرّ بعلاقته الزوجية، وإنها علمت أن دأبها على معارضته وعدم طاعتها له سيضرّ بحياتها الزوجية، ومع ذلك استمرّا في أفعالهما الضارة بزواجهما، إن رفض التغيير والاصرار على الجمود والتيبس تعني ـ ببساطة ـ رفض العيش بسلام.

تتطلّب الحياة الزوجية من الزوجين تغييرَ بعض الخطط، والتخلّي عن بعض الطموحات، وتقبّل بعض التعقيدات، وأداء بعض التّعديلات، والتّضحية ببعض العادات، وبذل بعض التنازلات لتتماشَى مع رغبات وآمال واحتياجات شريك الحياة.

إذا ما تمتّع الزوجان بالمرونة الكافية؛ فكثيرٌ من المشاكل المعتادة التي تنخرُ في أيّ حياة زوجية لن تجد لها موقع قدم بينهما.

٢- غيابُ الكبير

حينما تعتري الحياة الزوجية المشاكل، وتدبّ بين الزوجين الخلافات، ولا يفلحا في حلّها؛ فيجب اللّجوء إلى الكبار ليتمّ الفصل والنصح والحلّ. وحينما لا يوجد كبير لأحد الزوجين أو لكلاهما صارت هذه المشاكل بلا حل.



ويقصد بالكبير رجلٌ عاقل راشدٌ حكيم ينصاع لحكمه ونصحه الزّوجان، والأصل في الكبير أن يكون هو الأب، فإن كان متوفّيًا أو مغيّبًا رغمًا عنه بسبب ما مِن الأسباب فيجوز أن يحلّ محلّه العمّ أو الخال أو الجد، فإن لم يتوافر أحدٌ منهم جاز ـ حالَ غياب ولي الأمر الشرعي ـ الاستفادة من المتخصصين والخبراء.

إنّ غياب الكبير في حياة أيّ إنسان سببه فقد الأب بوفاة أو طلاق، وانفراد الأمّ وحدها بتربية أبنائها في معزل عن جميع الأقارب من الرجال ممّا يسبّب عدم وجود كبير للأم، وبالتالي لن يتاح وجودُ كبير للأبناء، فصار الأمر أنّه لا كبير للأمّ ولا لأولادها كذلك.

إنّ غياب الكبير في حياة أيّ إنسان سببه عيوبٌ في تربيته منذ الطفولة حيث التدليل والاستجابة لكل الطلبات وعمل ألف حساب لبكائه وغضبه، وعدم تحمّله لأيّ مسئولية وعدم احترام الكبير، مع الشعور بالاستقلال التام والاعتماد على النفس في كلّ شيء منذ الطفولة، والاستغناء عن الاحتياج إلى الكبار، ورأي الكبار، ومشورة الكبار في حلّ الأمور، والاستغناء بالعقل عن عقل الآخرين، والتفرّد بالرأي، وعدم وضع اعتبار إلّا للنفس، وعدم رؤية أحد إلّا الذات.

وإذا حدث خلافٌ زوجي ولجأ أحدُ الزوجين إلى كبيرٍ من الرجال ليفصل ويحكم وينصح فلن ينصاع الذي/ التي لا كبير له، ولن يرضى بالفصل، ولن يقنع بالحكم، ولن يسمع النصح إنْ كان على غير هواه ولا يتوافق مع ما يراه.

إنّ الذي ليس له كبيرٌ يرفض النصح والنصيحة لأنّه يرى أن كلماته هي الصحيحة، ومشاعره هي الدقيقة، وآراءه هي الصّائبة، لأنه يريد أن يهيم في الدنيا على مزاجه وهواه، ويتبع ما يمليه عليه عقله القاصر.

إنّ التي ليس لها وليّ من الرجال أو لم تعتدْ أن يكون لها كبيرٌ من الرجال ـ لا شكّ ـ ستشقى شقاءً مريرًا في هذه الدنيا، لقد تعوّدت ألّا يكون لها وليّ أمر من الرجال، وعندما تزوّجت لم تستطع أن تضعَ زوجها في مكانه كولي أمرها وكبيرها، فتصرّفت بنسق أضرّ برجولته وقوامته فبدأ يضرّ بأنوثتها ورقّتها، ممّا سيلحق الأذي ـ ولا ريب ـ بحياتهما الزوجية واستقرارها وربما استمرارها.

إنّ الذي ليس له كبيرٌ سيمتطي أيّ كبير لينال ما يريد، حتّى إذا أصاب هدفه وانتهى دور هذا «الكبير» ولي عنه وأدبر، وأدار له ظهره، وبحثَ عن «كبير» آخر لمهمّة أخرى. إنّه سيأخذ معه خاله ليخطب له مَن أرادها زوجة في أول جلسة تعارف لأنّ خاله ذو ذكاءٍ اجتماعي، يجيد معسولَ الحوار ورقّة الكلمات ممّا يزيد من الألفة ويسهل إقامة العلاقات، ويجعل أول لقاء بين أهلي العروسين بديعَ الإيقاع رائع الأثر. وفي الجلسة الثانية حيث ستتمّ الاتفاقيات المادية والوقتية يأتي بعمّه التاجر الشّاطر الذي يجيد المفاوضات وعقد الاتفاقيات وإبرام المساومات حتّى يحصل على أكبر فائدة بأقلّ غرم. ويوم أن يحدث خلافٌ بينه وبين زوجته سيستجلبُ حكمًا من أقاربه أو أقاربها الذي دومًا يقف في صفّه حتى لو كان ظالمًا، ولن يستجلب من يصلح بسديد رأي وقويم نصح.

إنّ الذي ليس له كبيرٌ هو كبيرُ نفسه، وهل نجا مَن كان كبيره نفسه الغرورة الأمارة بالسوء من الوقوع في كثير من العثرات وارتكاب سلاسل من الأخطاء؟

إنّ الذي حفظ البيوت قديمًا من التفكّك والانهيار والفراق والطّلاق إنّه كان هناك كبير من الرجال أمين عدول مسموع الكلمة يدخل بين الرجل

وزوجته حين خلافهما فيعرف القصّة ثمّ يصدر أوامره وتوجيهاته التي لا بدّ وأن ينفّذها الزوجان راضيان أو راغمان فينصلح الحال، فوجود الكبير الحكيم العادل بجوار الزوجين هو صمام أمنٍ لحياة زوجية مستقرة.

٣- استيرادُ المشاكل من الخارج

كثيرةٌ هي المشاكل التي يتعرّض لها الزوجان من أشخاص غيرهما ومواقف خارج البيت، وإذا بالزّوجين يدفعان بهذه المشاكل لتكون بينهما، فتتحوّل المشاكل الخارجية التي قد يسهل التّعامل معها وعلاجها أو تجاهلها وإهمالها إلى مشاكل داخلية وجراح نازفة يعسر مداواتها ويصعب اندمالها.

إنّ المشكلة التي مع الغير يجب أن تظلّ مع الغير ولا تدخل بين الزوجين، وأنّ المشكلة التي خارج البيت ينبغي أن تظلّ خارج البيت، إنّ استيراد المشاكل هي من أكثر وأشيع ما يعكر صفو الحياة الزوجية بلا داع.

- هو على غير وفاقٍ مع حماه، فتراه يعاتبُ زوجته على أفعال والدها، ويؤنّبها على ما يقول والدها، ويعيد على مسامعها ذكرياته المؤلمة مع والدها مرارًا وتكرارًا، إنّه بذلك يعاقبها على أخطاء غيرها، فلماذا لا يذهب هو إلى والدها ليعاتبه على أفعاله ويؤنّبه على أقواله ويعيد على مسامعه ذكرياته المؤلمة معه؟ إنّه ينتقدها هي لعجزه هو عن ـ أو خوفه من ـ التعامل مع والدها، إنّه ينتقدها هي لضعف شخصيته هو أمام والدها، إنه ينتقدها هي لضعف حيلته هو في مواجهة والدها.

من الظّلم معاتبة أو معاقبة الرّجل لزوجته لأنّ إساءةً نالته من أهلها، إنّه توجيه الغضب إلى غير وجهته الصحيحة، وتحميل الزوجة عواقبَ أفعال ارتكبها أشخاصٌ آخرون، وهذا كله ظلم، ولا ينتهي ظلم بخير أبدًا.

لقد أرادَ الله تعالى ـ بعدله ـ أن يكون كلّ إنسان مسئولًا عمّا يقول ويفعل، وليس هناك مِن بشر سيسأل يوم القيامة عن فعْل غيره، ولكن سيسأله الله- عزّ وجلّ- عن فعله هو وفقط، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر، ٣٨).

- عندما يعود الرجل إلى بيته متعَبًا مكدودًا بعد يوم عمل عصيب مليء بالمشاكل والإخفاقات فقد يثور في وجه زوجته حينما يبدرُ من أطفاله قليلٌ من صخب كعادة الأطفال، إنّه بذلك يفرغ حنقه فيها معاقبًا لها بغير ذنب اقترفته، لقد وجّه غضبه الوجهة الخطأ، لقد وجّه غضبه إلى البريء.

- إنّها متضرّرة من معاملة مديرها في العمل الذي يسيء إليها على أقلّ هفوة ترتكبها، فإذا بها تنبري بتفريغ غضبها وحنقها في زوجها أو في صغارها عند عودتها إلى المنزل.

- هو لا يستريح مع أخيها، فإذا ما حادثه أخوها ببضع كلمات لم تعجبه انقلب على زوجته يلومها، لقد استورد مشكلة خارجية بينه وبين أخيها وأدخلها بينه وبين زوجته.

- امرأة لها ميراث من والدها المتوفّى، وهي من الضّعف والهوان ما جعل أشقّاءها يطمعون في هذا الميراث ويحرمونها منه، فاغتاظت منهم، والتفتتْ إلى زوجها، وألحّت عليه ليأخذ حقّها من أشقّائها، فلمّا تقاعس أو تراجع أو تجاهل أو قصر انكبّت عليه تلومه لأنّه لم يقاوم إخوانها ولم يستطع أخذ ميراثها منهم.

إنّ السبب الرئيسي في حرمانها من الميراث هو ضعفها هي وهوانها هي على أشقّائها، ثمّ عابت عليه ما هو موجود بها من تقاعس أو تراجع أو تجاهل أو تقصير أو هوان.

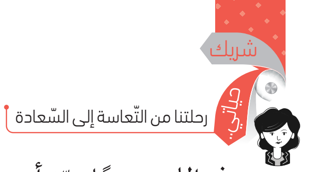
كما أنّ هناك نوعًا من المشاكل المستوردة التي تأتي من داخل الأسرة الواحدة نتيجة الخلط بين أنواع العلاقات الأسريّة المختلفة، والتي تضمّ

العلاقة الزوجية التي تجمع بين الزوجين، والعلاقة الوالدية التي بين الوالدين من جهة وبين الأولاد من جهةٍ أخرى، والعلاقة البنويّة التي بين الأولاد من جهة وبين والديهم من جهة أخرى، ثمّ علاقة الإخوة والأخوات. إنّ أهمّ وأقدس علاقة من بين هذه العلاقات هي العلاقة الزوجية، لأنّها هي الأساس الذي ستنبني عليه العلاقات الثلاث الأخرى، وهي بصلاحها تنصلح ـ في الغالب ـ سائرُ العلاقات الأخرى، ولذا يجب أن تقف العلاقة الزوجية على رأس العلاقات الأسريّة، وفي مكانةٍ أعلى من تلك التي تحتلّها العلاقة الوالدية والعلاقة البنويّة وعلاقة الإخوة والأخوات.

– صغارها أتعبوها وأجهدوها ولم يطيعونها، فبمجرّد دخول زوجها البيت صرخت في وجهه طالبة منه لزوم البيت وعدمَ الخروج منه والمكثَ معها لرعاية أطفالها بسبب عجزها وحدَها عن ضبطهم، إنّ هذا العجز عيبها هي، وإنها تعلق هذا العجزَ على عدم وجوده هو بالبيت، وهي حينما ثارت بوجهه ردّ عليها الثورة بثورة أعنف، فتحوّلت المشكلة من والدية (بين الأمّ وأطفالها) إلى مشكلة زوجية (بين الزوجين).

– هو يضرب ولدَه لتقصيره في الاستذكار وحصوله على درجاتٍ منخفضة في الاختبارات، فإذا بأمّه تنبري مدافعة عن صغيرها ناعتةً والده بالقسوة والغلظة، فارتفع صوتُه عليها وكالَ إليها بعض الاتهامات، فتحوّلت المشكلة من والدية (بين الأب وابنه) إلى مشكلة زوجية (بين الزوجين).

– لعب شقيقان معًا ثمّ لم يلبثا إلّا وتشاجرا، فتدخّلت الأمّ تدخلًا غير حكيم بغرض إنصاف مَن تراه مظلومًا، فحادت المشكلة من بين الشقيقيْن (مشكلة أخوة) إلى مشكلة بنويّة (بين الصّغيرين وأمّهما) أو والديّة (بين الأمّ والصغيرين)، ثمّ بعد دقائق نسيَ الصّغيران ما كان بينهما من شجار وشرعا



في اللعب معًا مرّة أخرى، نسيا ما بينهما من مشاكل ولكن بقيت مشكلة الأمّ معهما عالقة في ذهن الأمّ على الأقل.

المشكلةُ التي مع الغير يجبُ أن تبقى مع الغير ولا تدخل بين الزوجين.

٤- سوءُ إدارة الغضب

إنّ الشّعور بالغضب شعورٌ إنسانيّ طبيعي ينتاب الإنسانَ تحت نيْر ظروف معينة، ولذا فهو ليس السبب الرئيسي في كثيرٍ من الخلافات الزّوجية، ولكن الطريقة التي يتمّ بها التعامل مع ثورات الغضب هى التي قد تجعل العلاقة الزوجية مستقرّة صحيحة أو مضطربة متوترة.

إنّ الأثر السّلبي للشّعور بالغضب لا ينطفئ ولا يزول من تِلقاء نفسه إلّا بإرجاع الحق لصاحبه الغاضب أو بالتنفيس عن الغضب بطريقةٍ ما من الطّرق أو بمسامحة المظلوم للظالم.

أثناءَ التنفيس عن الغضب يجب عدمُ استخدام سرٍّ أباح به شريك الحياة في أوقات الصّفا والأنس، فذلك ليس من المروءة والأخلاق الحميدة. ولمّا كان كلّ من الزوجين يعرف بالضبط مكامنَ الضعف لدى الآخر فعليه أن يحذر أثناء الغضب تسديد ضربةٍ قاسمة قاسية إلى مَن أحبّ وعاشر.

أثناء التنفيس عن الغضب يجب الحرصُ على ألّا يتمّ التفوّه بكلمات أو القيام بأعمال تترك جراحًا نازفة يظلّ قيحها يسيل لأعوامٍ مديدة، فتخلق أزماتٍ مزمنة يصعب محْوها من العقل والقلب والصدر.

وفي العموم، يجب أنْ يحترم الإنسان المشاعرَ السّلبية الغاضبة التي تنتاب شريك الحياة، ثمّ بعد أن تهدأ الأجواء ينبغي معرفة أسباب الغضب ثمّ العمل على إزالتها.

٥- التّجريحُ والإهانة

في العادة، تبدأ الحياةُ الزّوجية على أسسٍ من الودّ والحبّ والاحترام والتقدير. فالعروسان وهما يجلسان متجاورين في حفل زفافهما ينظران إلى بعضهما البعض وكلّهما أمل وشوقٌ ورجاء في أن تكون حياتهما الزوجية أروع حياة، فلا يوجد عروسان في هذا الموضع وأحدُهما يقول في نفسه: «والله لأصبنّ عليك سيولًا من الإهانات، وسترى منّي ما لم تتوقعه»، هذا لا يحدث أبدًا، ولكن بعد أسابيع أو شهور أو سنوات إذا بأحدهما أو كلاهما يصبّ سيول الإهانات على رأس شريكه، ويُري مَن كان يومًا حِبّه ما لم يتوقّعه منه أبدًا.

تبدأ دراما الإهانة بقول أو فعل يثير حفيظة أو اشمئزاز أو ضيقَ شريك الحياة كالحطّ من الكرامة والتقليل من القيمة وإهدار الأنوثة أو الرّجولة وعدم الطّاعة وتجاهل الرّغبات وإهمال الاحتياجات والتّحقير من الإداء والمعايرة بعدم القدرة على تحمّل المسئوليات والعجز عن الإنفاق المادي ورعاية الأبناء، فيلجأ المُهان إلى لفت النّظر أو التنبيه أو التحذير من هذا القول أو الفعل المرفوض، ورغم ذلك يتكرّر ذات القول أو الفعل مرارًا بطريقة تزيد النّيران استعارًا، فيفيض كيل المهان ويخرج من فمه ردود أفعال أو أقوال تجرح وتؤلم.

تبدأ دراما الإهانة بانحراف الحوار عن موضوع النّقاش الأصلي واتجاهه إلى مهاجمة شخص شريك الحياة والنيل من كرامته وإهانته والحطّ

من شأنه، عندئذٍ يجنح الحوارُ من اختلاف في الآراء ووجهات النظر مع شريك الحياة إلى اختلاف في القلوب، فتخرج الحوارات عن نطاق السيطرة، ويتمّ الاشتباك مع شريك الحياة اشتباكًا قوليًّا بالسيّئ من الألفاظ والعبارات و/ أو اشتباكًا يدويًّا بالدّفع جانبًا أو بالضرب.

وقد تجبر الإهانات شريكَ الحياة على الإذعان على المدى القصير أملًا في تغيّر وضع، أو عجز عن تصرف، أو حرص على شعور، أو إبقاء على بيت، إنّه إذعان المضطر الذليل الخانع غير القانع قليل الحيلة الذي يريد الحفاظ على بيته بأيّ وضع.

على المدى الطويل سيمتلئ شريك الحياة بالمرارة والألم والاستياء، وتصبح العلاقة الزوجية قيدًا داميًا، وقد يسعى الطّرف المضارّ إلى التخلّص منه، فلا تمّ التّوقف عن الهجوم على شخصه ولا هو أصبح عاجزًا عن ردّة فعل قاسية بعدما نفد صبره وفقدَ الأمل في إصلاح الأمر، وأضحى غيرَ حريص على مشاعر مَن تفانى في جرح مشاعره، وصار يردّ الإهانة بإهانة، وأمسى كلّ شيء يدفع في اتّجاه أنّ هذا البيت لا يجب الحفاظ على بقائه قائمًا.

وفي الغالب قد يبدأ مسلسلُ الإهانات الأليم متغلّفًا بالحبّ أو الخوف أو التعود،

فإنْ كان الحبّ هو سببَ تحمّل المهان إهانات شريك الحياة، فالنتيجة معروفة، ذبول الحبّ وجفافه تدريجيًّا حتى ينقرض تمامًا، ويحلّ محلّه الكره والبغض.

أمّا إذا كان الخوفُ هو السببَ في منع المهان من مجرّد الاعتراض على تجاوزات شريك الحياة وإهاناته، خوف من جرح المشاعر أو مِن فقر متوقّع أو من حرمان من ممارسة الأمومة/ الأبوّة، أو من مستقبل مُبْهم بعد الطلاق أو من وضع اجتماعي مخز أو غيره من سائر أنواع المخاوف، عندئذ سيظلّ المُهان يتجرّع وحده آلامَ الإهانات حتى يأتي الوقت الذي قد يفيضُ فيه

الكيل، ويتحطّم جدار الخوف، وتهين فيه العشرة الهينة، فتحدث ثورة على حياة الإهانة والتحقير، قد تنتهي بتقويض البيت وانهياره، أو على الأقلّ زلزلته وتوتّره وعدم استقراره.

وإنْ كانت العادة على إيقاع أو تلقّي الإهانة منذ الصّغر هي السببَ الذي جعل المُهين يتمادى في توقيع الإهانات والمُهان يتحمّل الإهانات؛ فستستمرّ هذه الحياة الزّوجية المؤلمة «العادية» دون تحسن إلى ما شاء الله تعالى.

إنّ السكوت على الإهانة من الطرف المُهان يجعله ضليعًا في استمرارها، فمسلسلُ الإهانات يصعب وجوده إلّا إذا كان لكلّ من الزوجين- المُهين والمُهان- نصيب في وجوده.

فيجبُ أن ينظر المُهان إلى أسبابِ الإهانة التي سببها لنفسه، فإنْ لم يكرم هذا المُهان نفسه فلن يكرمه أحد؟ ومن هانت عليه نفسه كانت على غيره أهون؟ كقول المتنبي:

مَن يهن يسهل الهوانُ عليه   ما لجرح بميّت إيلام

إنّ إهانة الشّخص والتقليل من شأنه يمكن أن يحدثَ بالنّظرة أو بالإشارة أو بالكلمة أو بالعنف، فالنظرة المهينة هي التي تنبعث منها شراراتُ الازدراء والاحتقار والاستهانة واللامبالاة، والإشارة الاستفزازية هي التي ترسل مغزاها المؤلم لشريك الحياة، والكلمة القاسية الجافّة هي التي تحقر فتدمّر، كقول أعرابي في ذمّ امرأته:

وتفتح ـ لا كانت ـ فمًا لو رأيته   توهّمته بابًا من النار يفتح

والعنف الواضح مهدرٌ للكرامة، جالبٌ للخوف، نازعٌ للأمان، وكلّها معاول تجرح وتؤلم وتهدم فتفرّق القلوب وتشتّت مَن كانوا يومًا ما أحبابًا.



... إنّها حياة مريرة،

سيفضي التجريح والإهانات إلى انزواء الاحترام واختفاء التقدير وجفاف العاطفة وفرار المودة والرحمة الذي يعقبه نفور النفوس من بعضها، وسينتهي المطاف ـ على الأقلّ ـ بعيش ذليل وضيع لا يرضي ربًّا ولا عبدًا، أو لا عيش على الإطلاق.

ومن وسائل الإقلاع عن تبادل الإهانات أو التخفيف منها ما يلي:

(١) تقوى الله عزّ وجلّ، فالفائدة الدّنيوية الكبرى من الزواج بالتّقي المتديّن حقًّا هو أن يكرم حينما يحبّ، ولا يظلم عندما يكره، كما قال «الحسن البصري»: «إذا أحبّها أكرمها، وإذا كرهها لم يظلمها».

(٢) النّظر بعين الاعتبار إلى وزن وقيمة شريك الحياة والذي لا يعدله وزن ولا قيمة إنسان آخر في الحياة.

(٣) التّفرقة بين الفعل وشخص الفاعل، والتّركيز على التعامل مع الفعل وعدم الانتقاص من قدر الفاعل، والفصل التّام بين نقد الفعل ونقد ذات الشخص الفاعل.

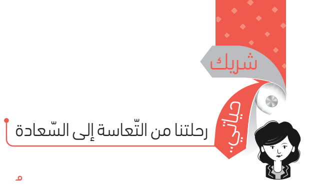
هكذا صنع النبي - صلّى الله عليه وسلّم - مع الغامدية التي زنت ثمّ تابت، احترمها ولكنه عارض ما فعلت، ولقد كانت تلك قصّة رائعة، وكانت كالتالي،

بينما كان النبي - صلّى الله عليه وسلّم - جالسًا يومًا في المسجد مع صحابته، وإذا بامرأة تدخل من باب المسجد، حتى وصلت إليه، ثمّ وقفت أمامه، وأخبرته أنّها زنت، وقالت: «يا رسول الله، أصبت حدًّا فطهّرني»، فاحمرّ وجه النبي - صلّى الله عليه وسلّم - حتى كاد يقطرُ دمًا، ثمّ حوّل وجهه إلى الميْمنة، وسكت كأنه لم يسمع شيئًا، فقالت: «أُراك يا رسول الله تريد أن تردّني كما رددتَ ماعز بن مالك، فوالله إنّي حُبلى من الزنا»، فقال لها النّبي

صلّى الله عليه وسلم: «اذهبي حتى تضعيه». فلما وضعته أتت به وقد لفَّته في خرقة، وقالت: «يا رسولَ الله، طهّرني من الزنا»، فنظر النبي- صلّى الله عليه وسلّم- إلى طفلها، وقلبُه يتفطر عليه ألمًا وحزنًا، مَن يُرضع الطفل إذا أقيم عليها الحدّ؟ ومَن سيقوم بشئونه؟ فقال لها صلى الله عليه وسلم: «ارْجعي وأرضعيه، فإذا فطَمتيه فعودي إليّ». فذهبت إلى بيت أهلها، فأرضعت طفلها حتى فطمته، وأتت به وفي يده خبزٌ يأكلُ منه، فقالت: «يا رسولَ الله قد فطمته فطهّرني»، فأخذ- صلّى الله عليه وسلّم- طفلها وقال: «مَن يكفل هذا وهو رفيقي في الجنّة»، وأمر بها فدُفنت في الأرض إلى صدرها ثمّ رُجمت، فطاش دمٌ من رأسها على «خالد بن الوليد» رضي الله عنه، فسبّها على مسمع من النبي صلّى الله عليه وسلم، فقال صلّى الله عليه وسلم: «مهلًا يا خالدُ، والله لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لقُبلت منه»، وفي رواية أنّ النبي- صلّى الله عليه وسلّم- أمر بها فَرُجمت، ثمّ صلّى عليها صلى الله عليه وسلم، فقال له «عمر» رضي الله عنه: «تُصلي عليها يا نبيّ الله وقد زنت؟» فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد تابت توبة، لو قُسّمت بين سبعين من أهل المدينة لوسِعَتْهُم، وهل وجدتَ توبة أفضل مِن أن جادت بنفسها لله تعالى؟».

إنّ النبي- صلّى الله عليه وسلّم- احترم شخصَها وأكرم روحَها، فقد تابت توبةً مقبولة ستجعلها- برحمة الله ومشيئته- في الجنة، ولكنّه رجمَ فعلَها لفاحشة الزنا، لقد فرّق النبي- صلّى الله عليه وسلّم- بينها وبين فعلها، درسٌ عظيم من نبي عظيم صلّى الله عليه وسلّم، درسٌ فرّق به النبي- صلّى الله عليه وسلّم- بين شناعة الفعل وإنسانيّة الفاعل التائب.

فمَن أراد لبيتٍ استقرارًا ولحياةٍ زوجية استمرارًا؛ عليه بالتوقّف الفوري عن اتّخاذ الإهانة والتحقير نهجًا بينه وبين شريك حياته.



٦- رجولةُ الأنثى، أنوثة الرجل

منذ عقودٍ عديدة مضتْ عانت البشرية كلّها- برجالها ونسائها- من اعتلاء وسيادة الفكْر الذكوري على مجريات الحياة، تعرّضت خلالها المرأة للاستضعاف واستلاب الكثيرِ من حقوقها. وكردّة فعل طبيعيّة وبإيعاز من جهالة وشرور بعض الرجال لَجأت المرأة ـ حتّى تؤمّن لنفسها حياةً إنسانية «كريمة» وسط «الضّواري» التي تحوم من حولها ـ إلى اكتساب صفات الرجل وأساليب الرجل وتأدية أدوار الرجل، متصدّية لكلّ متاعب ومشاقّ الدنيا، متصدّرة لكلّ مشاهد حياتها المادية والمهنية والاجتماعية، فامتهنتْ أعمالًا طلبًا للمال أو الشّهرة أو لشغل أوقاتها، امتهنتْ أعمالًا لا لتأكل خبزها ولا لتستر جسدها بل لتنعم بالحياة أكثر، وتفيض في الإنفاق على نفسها أغزر، ولتثبت ذاتها خارج بيتها، حتّى صار هناك فئة من الفتيات بحثت بنفسها عن عريسها، أو ارتبطت بشابّ من وراء أهلها، واتّفقت معه على كلّ شيء، ودبّرت معه سيناريوهات مستقبلهما قبل أن يتقدم خاطبًا لها، وكأنْ لا أهل لها ولا عزوة، ولا وليّ أمر لها ولا كبير، فتحمّلت باجتهادها راغبة أو راغمة ما يجب أن يتحمله الرّجال، وصار هناك من الفتيات مَن تصرّ على أن تجعل موافقة مَن يتقدّم إليها من الشباب على تركها تمارس مهنةً ما شرطًا محوريًّا للقبول به كعريس لها، وكأنّها تنتقي مِن بين مَن يتقدّم إليها أقلّهم غيرة عليها وصيانة لها واهتمامًا بها، فخرجت ـ بإرادتها ـ من فطرتها الجميلة الخلّابة، وأضاعت ـ برغبتها أو غفلتها ـ روْعةَ الأنثى وجمال الأنثَى ورقة الأنثى، وانزلقت إلى رهق لعب دور الرجال بأساليب الرجال وشدّة الرجال وغلظة الرجال التي لا تلَيق بأنوثتها النّاعمة الرقيقة، خرجت من أنوثتها ولم تستطع الدّخول إلى الرّجولة، فتاهت بين الجنسين، فلا نالت عنبَ اليمن ولا جنت بَلح الشام.

كما أنّ بعض الفتيات قد غاب عن حياتهنّ وجودُ رجلٍ راعٍ (كأب أو عمّ أو خال أو أخ) يتولّاهنّ ويرعاهنّ، ويهتمّ بأمرهنّ، فتحمّلنَ الكثير من المهامّ التي كان من المفترض أن يقوم بها الرّجل الراعي، غاب عنهنّ الرجل الراعي نتيجة اليتم أو العيش ببيتٍ مُنهار مهترئ عجّ بالمشاكل الزوجية والأسرية الطاحنة، واتّسم أفراده بالأنانية والذاتية، أو تأرجحنَ بين أبوين مُنفصلين لا يقومان بالتّربية على الوجه السليم، أو غاب عنهنّ الرّجل الراعي بوفاة الزوج أو الطلاق منه، فلعبت الأرملة أو المطلّقة دورَ الرجل في تربية الأولاد ورعاية الأسرة والإنفاق عليها.

كما أنّ بعض الآباء تعمّدوا تربية بناتِهم كالرّجال، وتجدهم يفتخرون قائلين: «أنا ربّيت بنتي زيّ الراجل»، ربّوهن على اتّخاذ القرارات وتحمّل نتائجها وتوابعها والاعتماد على أنفسهنّ في كلّ أمورهنّ، حتّى في الأدوار التي من المفترض أن يقوم بها الرّجل الراعي ممّا أنشأ جيلًا من البنات هُم للذكور أقرب منهنّ للإناث.

لقد اعتقدت المرأةُ بسذاجةٍ أنّ «رجولتها» هي الأمان، ولو كان في «رجولة» المرأة خيرها وأمانها لمنحها الله هذه الرّجولة، ولكنّ الخير والأمان كلّه في كونها أنثى كما خلقها الحكيم القدير، الخير والأمان كلّه في أن تفكّر كالأنثى وتتصرّف كالأنثى وتتحرّك كالأنثى وتعيش كالأنثى.

فإذا ما تزوّجت شعرَ زوجُها أنّها ليست أنثاه، فهي تنتهج التّسلط والعند والنّكد أساليب تعامل، وتنهكُه بالطلبات، وتتعبُه باللّوم والعتاب والزّجر والهجر والتّوجيه والأمر، ولا تعتني بنفسها، ولا تهتمّ بارتداء الملابس المناسبة في حضرته، ولا يكاد يحصلُ منها ـ أو لا يحصل بالفعل ـ على حقوقه الشّرعية إلّا نذرًا يسيرًا لا يكفيه، أو عدمًا قاحلًا لا يحييه، وانهمكت في

العناية بأولادها، ودفنتْ نفسها في رعايتهم وتربيتهم وتعليمهم كأمّ مُتناسية مهامّها مع زوجها كأنثى.

وتمرّ الأيام الثّقال، ويولي ظهره لمَن هي زوجته، ويبدأ الشّيطان في العبث بمَن هو متزوج بأنثى ليس بها من رائحة الإناث شيء ذو بال، والشّيطان ماهرٌ في هذا العبث مع مَن هو في مثل حالته، فيتيه به بين النّساء بالحرام في الإنترنت والشّارع والنادي والعمل والسّكن، أو يتّجه إلى مَن يكمل معها مشوار حياته بالحلال.

إنْ لم تكن زوجتُه أنثى فسيدير ظهرَه لها ويُقبل على أخرى يلتمسُ لديها أنوثة تُشبعه وترويه.

وكمْ من امرأةٍ نالت من زوجها مآربها بدلالٍ لطيف مستكين، أو بكلمةٍ رقيقة تنساب من بين شفتيها، أو بدمعة حارّة تنحدرُ من عينيها، إنّها الطريقة الفاعلة التي تشعر زوجها بأنوثتها وضعفها واحتياجها إليه فيندفع ليحتويها ويرعاها ويهتمّ بها، إنّها الطريقة الرّائعة التي تجعله يظهر لها حنانه ورقّته ولطفه ورجولته وهو سعيد مجْبور، إنّها الطريقة الفطرية التي تلائم الأنثى وتريحها وتشعرها بقيمتها، وتتلائم أيضًا مع الرّجل وطبيعته الفطرية.

زوجُك بالأنوثة والدّلال واللّين سيلين، وبالرّجولة والخشونة والشّدّة معه ستتألّمين

كما تنصّل العديدُ من الشباب عن أداء بعض أدوار الرجال، وعن تحمّل مسئوليات الرّجال، وعن التحلّي بصفات الرّجال، فترى الرجلَ يترك زوجتَه

تزاحم الرّجال في الطّرقات والمواصلات وأماكن العمل، وتختلط بهم بدرجةٍ فاقت شروط الزّمالة، وتخطّت حدود الشّرع الحنيف حتّى ترتزق مثله وتساعده في تحمّل جزء من نفقات البيت وتلبية مطالب الأولاد، حتى أنّ العديد من الشباب الآن يقبلون على الزواج بمَن تمتهن عملًا لأنّها تدرّ دخلًا من وراء ذلك، ومنهم مَن لم يحم بيته من الفساد الإعلامي والموادّ الإباحية، بل منهم مَن شارك أهله في مشاهدةِ هذا الفساد وهذه الإباحية، ومنهم مَن لم يستنكر أو يستنكف ارتداءَ إناثه ـ زوجته وبناته ـ ملابسَ كاشفة واصفة، فحلّت وضاعةُ الدّياثة المقيتة محلّ نخوة الرجولة الأبية.

فإذا ما تزوّج شعرتْ زوجته بأنّه ليس حلمها، وأنّه ليس برجلها، إنّه لا يتحمّل مسئولياته كرجل، ويدفعها أو بتقصيره لتقوم هي بدور الرجال ومهامّ الرّجال، ولا يقوى على اتّخاذ القرارات المناسبة في الأوقات المناسبة، ولا تجده بجوارها عند احتياجها إليه، ولا تشعر أنّه سندها الذي يقوّي ظهرها، ولا يسكب في أذنها وقلبها مشاعر الحبّ والرومانسية، ولا يعفّها بمعاشرةٍ جنسية تُرضيها وترويها، وبه من صفاتِ الخنوع والخضوع والاستسلام وميلٍ للعيش في سلام ولو على حساب كرامته وإنسانيته وعزّته وإبائه، وكلّها أمورٌ تقلّله في عينها، وتقلّصه في قلبها، وتفتح عليها أبواب الجحيم والفتن.

فستمرّ الأيام وتسترجع في ذهنها ذكرياتِ مَن كان يومًا حبيبَها الذي عرفته قبل زواجها بزوجها، وتتذكّر أنها رأت فيه ما لم تره بعدُ في زوجها، أو تشرع في إعطاء أذُنها وإرسال بصرها إلى سائر الرجال من حولها، وتنزع إلى عقد المقارنات المدمّرة بين ما بهؤلاء المحرّمين عليها من سجايا ومزايا وبين ما بزوجها الحلال من عيوب وخطايا، والنتيجةُ بغضُ الحلال، ثمّ.. الاقترابُ

من الحرام، ثمّ.. التوجّه إليه والانغماس فيه والاستغناء به عن الحلال، وما أسوأها من نتيجة؛ أو تلتف حول صغارها وتفني عليهم- وفيهم، وبهم- ما بقي من عمرها.

> **إنْ لم يكنْ زوجها رجلًا فستبحثُ عن آخرَ تجد فيه الرجولة، أو تنكفئ على بيتها وأولادها مهتمة راعية..**

إنّها أزمة العصر المدمّرة، فلم يعدْ هناك رجل بحقّ، ولا أنثى بحقّ، إلّا مَن رحم ربي، وهو الأمر الحقيقي الخفيّ الذي ساهم بقوّة في جعل معدّلات الطلاق ترتفع ارتفاعًا غير مسبوق..

إنّ ضياع الكثير من سماتِ رجولة الرّجل أتبعها خفوتُ الكثير من صفات أنوثة المرأة، فلو أنّ هناك رجلًا بحقّ لألزم نساءَه بحدودهنّ كإناث، مصداقًا لقول الشاعر:

وما عجبت أنّ النّساء ترجلت ولكنّ تأنيثَ الرجال عجاب

كما تحلم الفتاة بالزّواج من رجل تتمثّل فيه كلّ معاني الرجولة الرّائعة وصفاتها الجاذبة من مروءة ونخوة وقوّة وغيْرة وتضحية واحتواء ولطف وحنان ومشاركة ونبل وكرم وقوة شخصية واستقلال تفكير وتحمّل للمسئولية؛ ليهتمّ بها ويرعاها ويتفهّم مشاعرها ويحترمها ويدعمها ويساندها ويغذّي أنوثتها بالحبّ والرومانسية ويحميها ويشعرها بالأمان. وسيكون زواجها كارثيًّا إذا كان مِن نصيبها زوجٌ ضعيف الشخصية وقليلُ الحيلة ومتردّدٌ وغير حازم وخشن الطّباع، ولا يعرف مهامّه، ومقصّر في القيام بمسئولياته، ولا يغارُ عليها، ولا يجيد احتواءها، ولا تتلقّى منه الدّعم



والمساندة الكافيين، ولا يكاد يفهمُ أهمية الرّومانسية ولا يمارسها.

فلا بدّ مِن أوْبة الشابّ إلى رجولته الأبيّة، وعودة الفتاة إلى أنوثتها الخلّابة، ولا تبديل لخلق الله.

٧- عدمُ النّضج الكافي لتحمّل مسئوليات الزواج

في هذا العصر، اهتمّت كثيرٌ من الأسر بوصول الأبناء والبنات إلى أعلى الدّرجات التعليمية والمراتب المهنية، وهذا شيء طيّب للغاية، وهدفٌ رائع في ذاته، ولكن، كان ذلك ـ في بعض الأحيان ـ على حساب تعلّم وممارسة مهارات الحياة المختلفة، وعلى رأسها تلك المهارات التي تجعل الزواج ناجحًا، إنّ كثيرًا من الأسر لم تهتمّ بتهيئة البنين والبنات للزواج وتدريبهم على القيام بالمسئوليات الزوجية والتّربوية الاهتمامَ الواجب، فبزغَ جيلٌ يخشى من تحمّل أعباء ومسئوليات الزواج، ويرتعدون من التكيّف مع قيود الحياة الزوجية. فالفتاةُ لم تتدرّب على القيام بشئون البيت وهي تحت كنفِ أبيها ورعاية أمّها، فأصبح من العسير ـ في بعض الأحيان ـ أن تحبّ النّهوض بشئون بيتها حينما تتزوّج. والشابّ تنصّل وتقاعس عن القيام بمسئوليات الرجال وهو في بيت أبيه ولم يتلقّ أيّة تدريباتٍ للنهوض بهذه المسئوليات، فعسرَ عليه أن يقبل على الزواج في عمْرٍ مبكرة، أو حينما تزوّج تنصّل أو تقاعس أو أهملَ أو عجزَ عن القيام بمسئولياتِ الزواج فكان عبئًا على زوجته أو على أهله أو أهل زوجته.

يجبُ تدريب الفتيان والفتيات في سنّ مبكرة على القيام بما سوف يتحمّلونه حينما يتزوّجون ويتزوّجن. إنّ تهيئة الشاب والفتاة للزواج هو من أهمّ وأبقى ما يجبُ أن يفعله الأبوان لهما.

٨- تناسي قيمة شريك حياتك

إنّ قيمة شريك الحياة لا تدانيها قيمةُ إنسان آخر، فقيمةُ شريك الحياة أفضلُ من قيمة أيّ شخص، وأغلى من أيّ شيء، وأعلى من أيّ موقف، إنّها قيمة تفوق ما تناله في الواقع مِن تبجيل وتقدير واحترام.

إنّ قيمة الزّوجة بالنسبة لزوْجها تتعدّى قيمة أيّ شخص آخر ـ بعد الوالدين بالطبع ـ فهي حاضنة أبنائه وراعيتهم ومربّيتهم، وطاهيةُ طعامه وطعامهم، وغسّالة ملابسه وملابسهم، وراعية بيته ترتيبًا وتنظيفًا، تفرح بفرحِه، وتواسيه في حزنه، ويكفيه الله بها عن الحرام.

وكذلك قيمةُ الزوج عند زوجته أعْصى من أنْ تحصى، ففي ظلّه تعيش، ومِن ماله تنفق، وعن مطاحنات كسب الرزق يعْفيها، ومِن غلبة الآخرين يصونها ويحميها، وفي الضّوائق يحتويها، وعفّها الله تعالى به عن العالمين.

أيّة قيمة تلك التي تداني قيمة شريك الحياة؟

والعجيبُ أنّ الإنسان لا يشعرُ بقيمة شرِيك حياته إلّا حينما يحتاجه ولا يجده، أو عندما يمرض ويوشك المرض أن يهلكَه، أو حينما يغادر دنيانا إلى الدّار الآخرة، ويترك الطّرف الآخر يصارع الحياة وحده، عندئذ- فقط- يتمّ تقدير قيمته وإدراك قدْره، كما في تغريدة (تويتة) له بعد وفاة زوجته أثر حادث أليم كتب العالم السّعودي الجليل «سلمان العودة» راثيًا زوجته: «حين رحلتِ أدركتُ أني لا أستحقّك..»، فلماذا يكون شريك الحياة دومًا هو أهون موجود وأعزّ مفقود؟

معجزةُ الأنثى:

من الأهمّية أنْ يشعر الرجل كم أنّ زوجته ـ كأنثى ـ معجزة بكلّ ما في الكلمة من معاني، واستشعار الرجل بكوْن زوجته معجزةً ينبع من شعوره

بعظم المهامّ التي تقوم بها زوجته في حياته، وصعوبة ـ أو استحالة ـ الحياة بدونها، فتتعاظم لديه مكانتها عنده، ويزداد استمساكًا بها احتياجًا واحترامًا وحبًّا وقربًا.

حقًّا، إنّ الأنثى بالنّسبة للرجل معجزة، ولذلك قصّة طويلة تبدأ مع الأنثى منذ صغرها، يوم أن كانت تلهو بدميتها، على الأرض بحجرتها، تقضي لها ما تخيّلته من حاجتها، وتتفنّن في خدمتها، وكأنّها في الحقيقة ابنتها، إنها تزرع بها ومعها أمومتها، وارتدتْ من ملابسها ما أظهر براءتها، وتخيّرت كلمات أفصحت عن رقّتها، معجزة.

كبرتْ مع الأيام، وكبرت معها حلاوتُها، فحلمتْ إبّان طفولتها بفتى وسيم يدخل دنياها، وينتشلها من وحدتها، ويؤنس غربتها، حتى قبل أن تظهرَ أنوثتها، وقبلَ أن تبدأ مراهقتها، معجزة.

عندما غلبتها مظاهرُ أنوثتها، دقّ قلبها لِمَن ظنّت أنه حبيب عمرها، أحبّته حبّ مراهقين، وكتمت في صدرها حبّها، لم تبحْ لأحدٍ بدفين سرّها، فقد منعها حياؤها، وتمنّت أن يطرق عليها بابها، خاطبًا لها من أبيها وأهلها، لم يكنْ يومًا الاختيار لها، بل الرّفض أو القبول من نصيبها، سكتت وسكنت على النّيران التي ماجت بفؤادها، معجزة.

ظلّت شهورًا وأعوامًا تدعو ربّها، في يومِها كما في ليلها، أنْ يأتيها مَن في بالها، العريس المنتظر الذي داعب خيالها، ربّما جاء عاجلًا أو آجلًا لها، فستحتسب عند الله تأخّر ميعاد رزقها، وستزيد من دعائها ورجائها، معجزة.

جاءها عريسٌ تلو آخرَ ممّن لا يناسبونها، فاستقبلتهم بما هُم أهله من رفضها، فلمّا أتاها مَن كانت ترجوه زوجًا لها، انفرجت أساريرها، واستخارتْ ربّها، وأطاعت أباها وأمّها، وأدخلت السّرور على أهلها وأقربائها، وقبلته

بعدما دقّ ورقّ له قلبُها، وقدّم لها حليّها وذهبَها فشبكَها، وسرعان ما كان كتبُ كتابها، وارتدت بجواره ما كانت تحلم به طويلًا، طرحتها وفستانها، وأصبح واقعًا ما كان يومًا حلمًا في خيالها، إنّها الآن في ليلة زفافها، معجزة

صارتْ زوجة سعيدة بزوجها، تخدمُه بيدها وقلبها وعينها، لا تطلب إلّا رضاه ودعاءه لها، معجزة.

وبعد قليل تكوّن بداخلها جنينها، ومكثَ يرتع في أحشائها، تسعة شهور من عمرها، يأخذ غذاءه من دمائها، ويلقي بفضلاته في جوْفها، كم أكلتْ له وليسَ لها، واستراحتْ من أجله وليس لنفسها، ولم تأخذ دواءً رغم مرضها، خوفًا من أن يضرّه وهو شفاؤها، وكم أذهبَها إلى طبيبها، راجيةً أن تراه متعافيًا بعينها، وهو يتفنّن في إيلامها بركلاتٍ يُظهرُها أنينُها، وعندما حان وقت وضْعها، أسمعت الكونَ صراخها، فخرج الوليد مربوطًا بها، بحبل موصول بجسدها، وقطع الحبل وانتهت آلامُها، بنوع جديد من آلامِها، فالتقم الصّغير ثديها، وانسابَ اللّبن من روحها، لتغذّيه وتغذّي نفسها، لقد أمست من اليوم أمًّا مثل أمّها، معجزة.

معجزة؛ لأنّها رغم آلام حملها، كرّرت آلامَها، وعدّدت حملها، وهنًا على وهن، ووضعت بطلق بعد طلق، وأرضعت عامًا بعد عام، لتكونَ أنت الأب، يحمل نتاجُها الثّمينُ اسمَك، ويمتدّ بهم لقبُك.

معجزة؛ لأنّها التي طهتْ طعامك، وأراحت منامك، واعتنتْ بأولادك، واهتمّت بثيابك، وأسكنت جنانك، وصانت مالك، وكانت حلالك.

معجزة؛ لأنّ مديحك لها يسعدُ قلبها، وهديةً بسيطة تبهج وجدانَها، وابتسامةً رقيقة تشرح صدرها.

معجزة؛ لأنّ خالقها- جلّ وعلا- صمّمها لتكون تحتَ الطلب، صمّمها لتلبي نداءَ صغيرها فورًا إذا أراد منها مساعدة في استذكار دروسه،

صمّمها لتغيّر جدول أعمالها حينما تلحظ ابنتها وقد ارتفعت درجةُ حرارتها لتمكث بجوارها تخفّف عنها آلامَها، صمّمها لتهبّ بتجهيز الطعام لزوجها حينما يدخل بيتَه بعد عناء عملٍ تاركة ما بيدها، صمّمها لتنهض مسرعة لتنجد وليدَها من صراخه طالبًا رضعته، صمّمها لتسرع دونَ تأخير لتنظيف صغيرتها حينما ابتلّت ثيابها، صمّمها كي لا تتأخّر برهة عن تلبية أيّ نداء يطلب منها العون والمساعدة سواء من قريبٍ أو غريب، حقًّا لأنّها تحت الطلب؛ فهي معجزة.

إنّها لا تملّ الخدمات الرّاتبة الآنية، والأعمال الرّوتينية الدّؤوبة لعشرات السنوات، معجزة

فكلّ يوم تعدّ الطعام لخمسة أفراد أو ستّة هم أسرتها، فأعدّت في ٢٥ عامًا ما يقربُ من ١٥٠٠٠٠ (مائة وخمسون ألف) وجبة!! أيّ مطعم هذا؟!! وأيّ طاهٍ ذاك ؟!!، معجزة.

كلّ يوم تقوم بغسل الملابس ونشرها وطيّها أو كيها لها.. وله.. ولهم؛ لمدّة ٢٥ عامًا، فكان الحصاد أطنانًا من الملابس بين غسلٍ ونشرٍ وطيّ وكيّ، معجزة

كلّ يوم توقظُ صغارها لأداء صلاة الفجر، ثمّ تذهب إلى مطبخها وتعدّ لهم وجبة الإفطار، وتسرع إليهم لتعاونهم في تجْهيز أدواتهم الدّراسية وارتداء ثيابهم، وتعدّ لهم ما سيتناولونه من طعام بمدارسهم، وتودّعهم أو توصلهم إلى مدارسهم، وتغلق عليها بابها لتبدأ وحدَها في جمْع ما على الأرض ممّا خلعوا من ثيابهم، فهذا جوربٌ وذاك قميصٌ وتلك ملابسُ داخلية، وترتّب الفرش، وتكنس الأرض، وتنفضُ التّراب عن الأثاث، وتعيد ترتيبَ ما تركوه بالحمّام من توكةِ شعْر وخاتم وفرشاة أسنان ومشط شعْر و..، و...، ثمّ تتذكّر أنها لم تتناول إفطارًها فتفطر أو لا تفطر، وتغسل الملابس وتنشرها

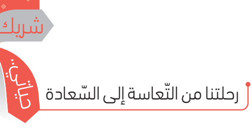
وتجمع غيرها لتكويها، ثمّ تتّجه إلى مطبخها لتعدّ طعام الغذاء في ساعةٍ أو ساعتين، وقد تستريح قليلًا أو لا تستريح، ثمّ تتأهّب لاستقبال الصّغار العائدين من مدارسهم، أو تذهب لتأتي بهم، وتجتهد وتجهدُ معهم ليغيّروا ملابسهم ويغتسلوا من غبار اليوم، وتضع لهم الغذاء، وتخوض جولةً تلو أخرى ليتناولوه، معجزة.

وانتهت معركةُ تناول الطعام، وبدأت معركة الاستذكار، وميدانُها ليس جبهة واحدة ولكنْ في عددٍ من الجبهات تساوي أعداد البنين والبنات مضروبًا في عدد المقرّرات الدّراسية، وعندما يحمي الوطيس يأتي الزّوج من العمل خاوي البطن متعبَ الجسد يبحث عن لقمةٍ وسرير فتهبّ لتلبّي له احتياجاته، لتأخذ هدنةً من معركة الأولاد المديدة بمعركة الزّوج الجديدة، فإذا ما امتلأتْ بطن زوجها وسكن جسدُه بذلت جهدًا حتّى تعيد للصّغار تركيزهم في دروسهم تارة أخرى، معجزة.

ومضى اليوم سريعًا في إيقاعه بطيئًا في ثقله، وصغارها يتناوشونها بطلباتهم وأهوائهم فهذا يريدُ مشاهدة برنامج فضائي، وذاك يريد اللعب، وهذه تريد شراءَ ملابس جديدة، فحاولت أن تريح الجميعَ ولو على حساب راحتها، فإنها ترى سعادتَها في إسعادهم وراحتها في بسمتهم، معجزة.

أعدّت وجبة عشائهم وأطْعمتهم، ثمّ أنامتهم، فسكنت أجسادهم، وسكن على الفور وجدانها وجفنُها، معجزة.

كم ضاقتْ بزوجها وضجرتْ ولكنّها لا تريده أن يبيت يومًا بعيدًا عنها، كم ضاقتْ بأبنائها وضجرتْ ولكنّها لا تقوى على أن يغيبوا عن عيْنها، كم ضاقت بأبيها وضجرتْ ولكنّها لا تفتأ تدعو له بالعافية وطول العمر، معجزة.



معجزة تضحّي لترى النّجاح في غيرها، في زوجها وأولادها، فذاك نجاحها، معجزة تشقى لتسمع ضحكات غيرها، معجزة تذوبُ ليكبر غيرها، معجزة تبذلُ ولا تطلب أجرها، معجزة تضحّي حتّى يفنى عمرها.

معجزة لأنّها ماهرة في ما لا يُجيده الرّجل، مبادرة فيما لا يقدرُ عليه الرجل، فاعلة ما لا يقوى على فعله الرجل، مؤهّلة لأداء ما يعجز عن عمله الرجل.

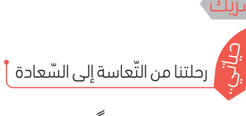
إنّها معجزة لأنّ زوجها لم.. ولن يستطيعَ أن يفعل- مطلقًا- مثلها، معجزة تكتمل حياته بها، ويستقرّ قلبه بجوارها، ولا يستريح بالُه إلّا معها.

معجزةُ الرجل:

وعلى نفس القدْر يكون استشعارُ المرأة أنّ زوجها ـ كرجل ـ معجزة حقيقية؛ مساعدًا على تقديره والثّقة به وقبوله وحبّه. فالرجل بالنّسبة لزوجته معجزة، كيف هذا؟

فمنذُ طفولته البريئة وقبل أن يعرف أنّه سيحمل يومًا الهمومَ الثّقال والتّبعات الجسام والزّود عن العرض والأرض ونشر الدّعوة وإقامة الدين، انتقى مِن لعبه ما يدرّبه على المنافسات والصراعات والمغالبات، انتقى كرة أو سيارة أو بندقية أو سيفًا، يقضي معهم وقتَه وينعش بهم حماسته، ويتلمّس فيهم وبهم مستقبلَ رجولته، ويتدرّب على ما سيجد من تحديات ومسئوليات بمستقبله، معجزة.

كبرَ قليلًا واهتمّ كثيرًا بالقوّة والبأس، فازداد خشونة وغلظة وودّع الوداعة والرّقة، كبر قليلًا فكثرت حركته وازدادت مشاغباته وقلّ تعلّقه بأمّه معلنًا استقلالًا يتوق إليه،



كبرَ قليلًا ولم يهزّه وجودُه بجوار البنات فلم يعبأ بالتّفكير في زواج، بل كان يستمتع بإلحاق الأذى بهنّ والتّفنن في ضربهنّ وركْلهنّ ودفْعهنّ، وكأنّه يتقرّب بهذا الأذى إلى الله الحكيم الخبير، معجزة.

كبرَ قليلًا وكثرتْ معه اهتماماته وتطلّعاته واستكشافاته وأخطاؤه، معجزة.

ولمّا بلغ وأصبح مراهقًا أرهقَ مَن ربّاه، في صولاته وجولاته وغدواته وروحاته، تمرّد وعاند وشكّ وتاه، غضب وأحجمَ وأطاع وعصى، هكذا دنياه، معجزة.

وانتبه إلى وجود البنات، وأخذه الانجذابُ الفطريّ إليهنّ كلّ مأخذ، فغضّ البصر مرّة ولم يغضّ مرّات، وروادته نفسه بالتحدّث مع إحداهنّ، أو قد فعل، ولكنّه لم يفكّر في الزواج بعد، معجزة.

والتفت إلى ما يبني مستقبله، وأقبل على ما يفيده في غدِه، فمضى قدُمًا في دراسته، حتّى أنهى ما ناءت به كواهله، واستقرّت نفسه باستلام شهادته، معجزة.

وجدَ عملًا يأكل منه لقمته، ويدّخر بعضًا من أجرته ليوم حديث عهدٍ بأجندته، يوم دفعته إليه أمّه وجدّته، يوم زواجه وانتهاء وحدته، معجزة.

بحثَ عنها من بين بنات حوّاء ببلدته، واختارها بعينه وقلبه وخبرته، وسأل عنها جارها وقريبته، واستخار ربّه العليم بحالته، وطرق بابَها مصطحبًا أسرته، طالبًا يدها لتكون في الحياة شريكته، معجزة.

سرعانَ ما خطبها وقدّم إليها شبكته، وزارها كثيرًا لتتعرّف على شخصيته، وقدّم لها الهدايا مظهرًا حسن نيته، وانساب منه عذبُ الحديث وروعته، حتّى ألفته وارتضت بكلامه وطريقته، ووثقت في حُسن خلقه وطيب طبيعته وسلامة هويّته، وتمّ كتب كتابه وأتبعه بدخلته، معجزة.

أصبحَ زوجًا رحيمًا شفوقًا بزوجته، وجعل راحتها ورعايتها همّه

ومسئوليته، وأطفأ فيها تعبه وجنى منها راحته، وصرفَ عليها من ماله وغلّته، بكلّ سخاء وطيب نفس فذاك من شيمته، معجزة.

يشقى النّهار كلّه وشطرًا من ليلته، ويضع بكرم ما كسب بين يدي زوجته، شاعرًا أنّ ذلك رمز رجولته، وعنوان مسئوليته وقوامته، معجزة.

كم حسمَ أمرًا طالت هُلاميّته، واستردّ حقًّا أكلته غيبته، ودافع عن حمى بيته بكلّ قوته، ومنح اهتمامًا تحتاجه زوجته، معجزة.

كم قتلَ من فأر أطلّ بهيبته، وقضى على صرصار حرّك من شواربه، وهكذا فعل بكلّ مَن أفزع حبيبته، وتجاسر على إخافة شريكته، معجزة.

جاءه رزقُه من الأطفال فقرّت به عينه واستيقظتْ بهم ولهم أبوّته، فسعى الليل والنهار ليتكسب مالًا يسدّ به احتياجاتهم وحاجته، فرزقه البارئ بقدرِ أرزاقهم ما تستقرّ به قناعته، وما حافظ به على سعادة أهله وراحة أسرته، معجزة.

وقف بجوار أولاده صاحبًا ناصحًا موجّهًا معاتبًا معاقبًا بكلّ قوته، اجتهد في تربيتهم ليكونوا قرّة عين له ولشريكته، رآهم يكبرون وتتبلور لكلٍّ منهم شخصيته، كم استلبوا من أعصابه وصحّته، واقتطعوا من عمره وقوّته، ليكبروا ويتمايزوا ويشق كلّ منهم طريقه بطريقته، فملأوا عليه الدّنيا صلاحًا ونجاحًا حتى لاحت شيبته، معجزة

عادَ مثل الشابّ الصغير عندما رأى أولاده يتزوّجون، ومع أزواجهم وزوجاتهم يتمتعون ويتحملون، ومنهم ومنهنّ ينجبون، وما حدث له ولزوجته منذ زمان يكرّرون، وصار جدًّا كطفلٍ كبير يلهو بأحفاده وعليه يركبون، معجزة.

إنّه معجزة لأنّ الزوجة لم.. ولن تستطيع أن تفعلَ مطلقًا مثله، معجزة لا تكتمل حياتها إلّا به، ولا يسكن قلبها إلّا بجواره، ولا يستريح بالها إلّا معه.

وبعد أعوام سريعًا ما تنصرم سينفضّ الأبناء عن الوالدين، وسيشقّ كلّ واحد منهم طريقة في الدنيا، وسيعود الزوجان الشّريكان كما بدءا معًا أوّل مرّة وحيدين، يعيشان على ذكريات أيّام خوالي مرّت بحلوها ومرّها، اقتطعت من أعصابهما وأموالهما وأوقاتهما وعمرهما أثمن ما لديهما.

ورغم كلّ ذلك، فبمجرّد أن يزحف على أحد الزّوجين بعضُ الشّعور بالمعاناة من شريك حياته فإنّه ينسى ما كان يفعله له، وما كان يتحمّله عنه وما كان يقوم به من أجله، ينسى كلّ المميّزات التي جعلته يومًا ما أقرب الناس إليه، ينسى الوقت الطّويل الجميل الذي قضاه معه مُنجذبًا إليه، ينسى العلاقة الطيبة التي ارتوى منها فترةً من زمان خلت، ينسى أن شريك حياته معجزةٌ حقيقية بكلّ ما في الكلمة من معنى، ينسى ذلك كلّه ويشرع في صبّ كلّ تركيزه على عيوبه وسلبياته التي بدت له، ويضع ثقلًا لأمور أقلّ وزنًا من شريك حياته.

٩- الانشغالُ عن شريك الحياة

في هذا العصر، انشغل الإنسانُ عن نفسه- وعمّن حوله- بعمله ومسئولياته وهمومه ومزاجه وهواه، فجدول أعماله مشحونٌ للغاية، مُجهد للغاية، مُؤلم للغاية، قاسٍ للغاية. انشغل الرجل بالسّعي الدؤوب لجلب الرزق، وتقلصت بالتبعيةٍ الأوقات التي يمنحها لزوجته وأولاده وبيته إلى درجةٍ كبيرة، وانشغل بتصريف الأمور أكثرَ من انشغاله بترتيب حياته وحياة أسرته، وانشغلَ بقضاء ما بقي من أوقاتٍ مع أشخاص أقلّ أهمّية من زوجته، وانشغل خارج البيت في أعمال أقلّ قيمة من إنماء علاقته بزوجته، فاشترى الرّخيص الخسيس وباع الغالي النفيس، فأدبرتْ عنه السّعادة، فلا وقتَ للراحة، لا وقتَ للترفيه، لا وقتَ للحرية، لا وقتًا خاصًّا مع الزوجة،

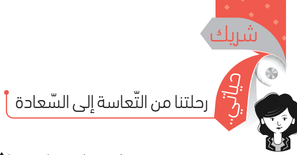
ولا وقتًا ممتعًا مع الآولاد، أغلب الوقت للعمل، وما بقي فللغير البعداء وليس للأحباب الأقرباء، ثمّ الاسترخاء والنوم، حقًّا إنّها حياة مؤلمة للزّوجة التي ينشغل عنها زوجُها لهذه الدرجة، ومؤلمة للزوج أيضًا لأنه اختارَ برغبته عدم تمتّعه بكوْنه زوج وله زوجة وكوْنه أب وله أولاد.

كما يتألم الرجل أنْ وجد زوجته منشغلةً عنه بأولادهما أو بأهلها أو بعملها المهني وأنشطتها العديدة خارج البيت، ولم يتبقّ له مكانٌ وسط هذه الانشغالات المتلاحقة. إنّ الزوجة ـ في هذه الحالة ـ قد حرمت نفسها من الاستمتاع بكونها زوجة لها زوج بأيّ صورة من صور الاستمتاع، حرمتْ نفسها من أحد أكبر متع الدنيا وهو الوجود مع أليفٍ حلال من الجنس الآخر تستمدّ منه وتمدّه وتأخذ منه وتعطيه وترتوي منه وترويه.

ولكي يقضي الزوجان المزيدَ من الوقت معًا، يجب أن يتوافر لدى كلّ منهما عاملان: أولاهما: الرّغبة القوية في المكث معًا، وثانيهما: تحيّن أو اختلاق الفرص وسط ركام الانشغالات ليلتقيا ويتواصلا ويتحاورا ويتفاهما، إنّ أتعسَ الأزواج من يفتقدون هذه الرّغبة، ولا يتحيّنون الفرص للتقارب والتواصل والتحاور والتفاهم.

١٠- إهمالُ النظافة الشخصية

للنّظافة الشخصية للإنسان وضعٌ خاصّ لأنّها لا تمسّ صاحبها فقط، ولكنّ أثرَها يعمّ جميعَ المحيطين به، فلا يتصوّر مطلقًا أن يتقارب الزوجان ويتلامسان جسديًّا وأحدُهما تعلوه القاذورات وتنبعث منه روائحُ تثير اشمئزاز الطرف الآخر وتنفره من مجالسته والقرب منه واحتضانه وتقْبيله وتجنّب مضاجعته أو الاضطرار إليها على سبيل تلبية حاجة أو تأدية واجب.



تشتمل مفردات النّظافة الشخصية للرجل والمرأة على الاستحمام الدّوري المنتظم وحين الحاجة، والاستنجاء، واتّباع سُنن الفطرة من؛ حفّ الشّارب ونتفِ الإبط وحلق العانة وتقليم الأظافر، فسننُ الفطرة كلّها ترنو إلى النظافة الشخصية، فقد روى «أبو هريرة»- رضي الله عنه- عن النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- أنه قال: «الفطرة خمس: الختان والاستحداد ونتف الإبط وقصّ الشارب وتقليم الأظافر» (رواه البخاري)، والاهتمام بغسل اليدين قبل وبعد الأكل، وغسل الأسنان قبل وبعد تناول الطّعام، والتسوّك بالسواك، والتطيّب بالعطور، واستخدام المستحضرات الحديثة التي تجعل البشرة نضرةً نظيفة مثل مزيلات العرق ومزيلات الرؤوس السّوداء...، إلخ.

يعتبر العرقُ وما يبعثه من روائح نتيجة نموّ البكتريا وتكاثرها، خاصّة في منطقة الإبط؛ من الأمور التي تسبب حرجًا وضيقًا وإزعاجًا لكلٍّ من الفرد ولَمن حوله من الناس، وكذلك بالمثل روائح الفم الكريهة.

إنّ حلقَ شعْر العانة ناهيك عن أنّه مِن سنن الفطرة فهو أمرٌ ضروري لنظافة هذا المكان وسلامته من الناحية الصحية، وأيضًا للقيام بجماع جذّاب وازدياد الشّعور بالمتعة الجنسية، فوجود شعر العانة بالإضافة إلى أنّه قد يضفي شكلًا غير مستحبّ فإنه ـ حال التقصير في القيام بالنظافة ـ قد يكتنزُ روائح غير مقبولة تتسبّب عند انبعاثها نفورًا أثناء الجماع.

إنّ تنفيذ برنامج النّظافة الشخصية يجب أن يكون دائمًا وليس قاصرًا على أيّام معينة أو مناسبات خاصّة أو ظروف قاهرة أو مواقف عابرة أو مرهونًا بالحالة المزاجية، إنّما هي ثقافة تمارس وتترجم إلى واقع دوري روتيني.

وقد يكون سببُ عدم اهتمام المرأة بزينتها ونظافتها هو إهمالَ زوجها لها وعدم انتباهه إليها، وعلام تتبرج وهو لا يلحظ ما تصنعه لأجله ولا يعلق تعليقًا مريحًا.

فقد حدث في عهد النبي- صلّى الله عليه وسلّم- أنْ ذهب «سلمان الفارسى»- رضي الله عنه- ليزور صديقه وأخاه فى الإسلام «أبا الدرداء» رضي الله عنه، فرأى «سلمان» «أمّ الدرداء»- رضي الله عنها- منكسرة النفس وغير مهتمّة بأمر نفسها، فتعجّب من ذلك، وقال لها: ما لي أراكِ هكذا؟ فقالت «أمّ الدرداء»: أخوك «أبو الدرداء» لا حاجة له فينا.. ففهم «سلمان»- رضي الله عنه- أنّ «أبا الدرداء»- رضي الله عنه- يهمل زوجته، ولا يعطيها حقّها، فدخل «سلمان»- رضي الله عنه- على «أبي الدرداء» فوجده صائماً منشغلًا بالعبادة والطّاعة وذكر الله، فقال «سلمان» رضي الله عنه: إنّ لربك عليك حقًّا، وإنّ لبدنك عليك حقًّا، وإنّ لزوجك عليك حقًّا، وإنّ لنفسك عليك حقًّا، فأعطي كلّ ذي حقّ حقّه، فذهب «أبو الدرداء»- رضي الله عنه- إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- وأخبره بما قاله «سلمان»، فقال صلى الله عليه وسلم: صدق «سلمان».

إنّ أساليب اللّوم والتنبيه والتّوبيخ والتّصريح لشريك الحياة بضرورةِ الاهتمام بنظافته الشخصية قد يفوح منها إيلام وتجريح، وقد يحول الخجل أو الحرص على مشاعر شريك الحياة دون نصحِ هذا الشريك وتذكيره بالاهتمام بنظافته الشّخصية. فليس هناك مانعٌ ألبته مِن أن يقوم أحدُ الزّوجين المتضرّر من سوء نظافة شريكه بإجراء الاستحمام له، وكأنّ هذا الشّريك مازال طفلًا يحتاج إلى مساعدة غيره لينفّذ هذا البرنامج، إنّ في ذلك إشارة من المتضرّر للطرف الآخر ليهتمّ بنظافته الشّخصية، كما أنّ فيها تجديدًا وتدليلًا مستحبًّا، وسيؤدّي ذلك ـ إن شاء الله ـ إلى نتائج إيجابية بشأن النظافة الشخصية وبشأن- أيضًا- العلاقة العاطفية الرومانسية بين الزوجين.

١١- رؤيةُ أخطاء شريك الحياةِ والتّعامي عن الأخطاء الشخصية

في خضمّ المشاكل والخلافات لا يكاد يرى الإنسانُ إلّا أخطاءَ وتجاوزاتِ شريك حياته، ويتعامى عن الأخطاء والتّجاوزات التي يرتكبها هو في حقّه، كلّ من الزوجين يركّز بشدّة على أقوال وأفعال شريك حياته التي تسبّبت في وقوع المشاكل والخلافات، ويتناسى ما صنعَه في هذا الشريك مِن أذى، كلّ منهما يرى أنّه الضحية بينما الآخر هو الجاني.

إنّ هذا دأبُ الشّيطان مع الإنسان، يشغله بما لن يُسأل عنه يوم القيامة عمّا سوف يسأل عنه، يوسوس له حتى يركز على أقوالِ وأفعال غيره التي لن يُحاسب عليها بدلًا من أن يركّز على أقواله وأفعاله هو التي سيحاسبه الله تعالى عليها.

وكما قال «أبو هريرة» رضي الله عنه: «يبصر أحدُكم القذاةَ في عين أخيه، وينسى الجذل ـ أو الجذع ـ في عين نفسه»، كقول الشاعر:

أعجبُ مِن ذا أنْ يرى عيب غيره عظيمًا وفي عينيه عن عيبه عمى

إنّ الذي يريد أنْ تتغيّر حياته الزّوجية إلى الأفضل؛ عليه أن يتغيّر هو أولًا إلى الأفضل، وأوّل خطوة هي أن يرى نفسه على حقيقتها بعيوبها ومزاياها، وأنْ يبدأ في معالجة عيوبه والتخلّص منها، فلن يلتفت الإنسانُ إلى تغْيير نفسه ما دام منشغلًا بعيوب الآخرين، فالبداية تكون بتغْيير النفس، ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ...﴾ (الرعد: ١١).



١٢- كثرةُ ذكر الطلاق

كثيرٌ من الزّوجات إذا اختلفت مع زوجها وتشاجرت معه تجدُها تصرخ فيه قائلة: «طلّقني». إنّها أقرب وأسهل كلمة في الخروج من فمها، ولكنّها في الواقع أبعدُ كلمة عن قلبها. إنّ طلبَ المرأة للطلاق من زوجها هو ـ في الغالب ـ بمثابة بالونة اختبارٍ تقيس بها مدى تمسّكه بها ليس إلّا، فنادرًا ما تطلب امرأةٌ الطلاقَ من زوجها وهي تعنيه بالفعل، الأمر الذي لا يفهمه الرّجل ولا يدركه.

إنها تريد بطلبِ الطّلاق أنْ تشعر باستمساك زوجها بها وحرصِه على بقائها معه.

ولذا- وتحتَ ضغوطها المتكرّرة بطلب الطلاق- قد يستجيب زوجُها ويطلّقها، فتندهش الزوجة وتستنكر استجابته لها، وتقول بينها وبين نفسها: «هو مستعجل كده ليه؟»، «هو ما صدّق إني قلت طلّقني وعملها»، فقد كانت تريد منه أن يقول لها: «أنا أطلّق روحي ولا أطلّقك»، «قطع الله لساني قبل أن أنطقها».

إنّ ما يفهمه الزوج هو أنّ زوجته تريد الطلاق بحقّ، ممّا ينزع منه الأمان بسبب شكوكه في إمكانية استكمالها لحياتهما الزّوجية معًا.

إنّ كثرة طلب الطلاق من الزوجة تنزع الأمان من زوجها.

فإذا ما كرّرت الزوجة طلبَ الطّلاق فاعلمْ ـ أيّها الزوج ـ أنها في ضيق منك الآن وغضب، فالحلّ ليس في إلقاء يمين الطّلاق؛ بل.. في أن تهدّئ من روْعها وتحتضنها وتقبّلها، وتعتذر وتتأسّف، وتؤكّد لها حبّك لها بشتى الوسائل، فستجدها ألينَ في يدك، وأطوعَ وأسرعَ في المسامحة والغفران.

كما نجد في بعض البيئات والمجتمعات أنّ العديد من الرجال يكثرون من القسم بيمين الطلاق والتهديد بتوقيع الطلاق عند نشوب سوءِ تفاهم أو خلاف، وَهُم في الحقيقة لا يقصدون إيقاعه، وما القسمُ بالطلاق والتهديد به عندهم إلّا كلمات تلوكها ألسنتهم كنوع من العادة التي قد تتسبّب بالفعل في التطليق، تصبح الزوجة على أثرها أجنبيةً.

إنّ هذه العادة السّيئة تعدّ استهانة بقدسية الزّواج وحرمة الميثاق الغليظ، بالإضافة إلى أنّها تنزع الأمان من الزوجة وتهدّد استقرار الحياة الزوجية.

١٣- ابنُ أمّه، وبنتُ أمّها

لا تحبّ أيّ امرأة أنْ ترى زوجها تابعًا لأمّه، يأتمرُ بأمرها وينتهي بنهْيها، وتحرّكه كيفما شاءت، وتسكته حينما تريد، خاصّة لو حدثَ هذا على غير مرادها. وفي الغالب يترسّخ في ذهن المرأة أنّ الرجل الذي من صنف «ابن أمّه» ضعيف الشّخصية ومتردّد وغير حازم، والأمرُ على غير ذلك، وإنّما هي بيئة أسرته وطرق التربية وأساليب التعامل بينهم هي التي أفرزت هذه التركيبة.

بيئةٌ تكوّنت منذ عقود مضت وتصَخّرت على هذا الوضع، ولنْ تُجدي محاولات التغيير في قليل أو كثير، بل ستجلب هذه المحاولات الضيقَ والضّجر والكره بين زوجين، إنّه أمر ليس وليدَ اللحظة بل هو نتاج حياة طويلة بدأت منذ مولده ومستمرّة معه إلى ما شاء الله، فيجب

أن تتعامل الزّوجة في هذه الحالة بواقعية، حيث يكادُ يكون من المستحيل تغيير هذه التّركيبة، وإلّا ظلّت الزوجة طوال حياتها تحارب في معركة خاسرة معروفة النهاية،

.. ولكن،

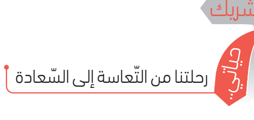
على الزّوج أن يوازن الأمورَ بين أمّه وزوجته، فمن حقّ أمّه أن يطيعها، ومن حقّ زوجته أن يريحها، وهذا أصعب ما في الأمر، ولكن لا حلّ سواه.

في بعض الأحيان قد تركنُ المرأة إلى أهلها عقب زواجها، فتتردّد عليهم كثيرًا وتقيمُ بينهم طويلًا، إنها تسمع وتطيع نصائحَ وتوْجيهات أمّها أكثرَ من استماعها لنصائح وتوجيهات زوجها، وقد تصل إلى درجةِ أنّها تقريبًا تتصرف كما لو كانت لم تتزوّج بعد، ولم تستقلّ ببيت، ممّا يشعر زوجها بتدني مكانته عندها، وأنّها تتصرّف بطريقةٍ غير مسئولة، وأنّها لم تنضج بعدُ النّضجَ الذي يؤهّلها للقيام بدور الزوجة الناضجة المستقلّة وربّة المنزل الواعية.

إنّ أهل الزوجة لم يعينوها على استقرارها في بيتها، ولم يساعدوها على حُسن إدراكها لمسئولياتها الزوجية الجديدة، وإنّهم احتضنوها في بيتهم، وسهّلوا لها الفرارَ من الاهتمام بزوجها وتحمّل مسئوليات بيتها، إنهم شرعوا لها الخروج على زوجها وعدم طاعته، فاسترختْ واستراحت هي، ولكنّ زوجها كان على النّقيض من ذلك، متوترًا متضرّرًا ضجرًا غاضبًا.

وقد يحملُ حنين المرأة وشوقُها إلى أهلها في طيّاته رسالة إلى زوجها مفادها أنّ زوجتك لا تستريح معك ولا تشعر بالانتماء إلى بيتك ولا إلى الأمان بجوارك؛ فعدّل من نهجك الخشن، وكفّ عن طريقة كلامك السيئة وأفعالك المنفرة لتجعل منك ومن بيتك مبعثَ راحة وأمان لها.

والحقيقة التي يجب أنْ تعلمها المرأة، ويعينها عليها كلّ مَن أحبّها مِن



أهلها هي أنّه ليس لها بعد زواجها إلّا بيت زوجها، مادام قد توافرتْ به مستلزمات الحياة المادية الأساسية من فرش ومتاع وطعام وكساء، وشعرت هي فيه بالراحة النفسية في كنفِ زوجها الّذي يحبّها وينفق عليها ويهتمّ بها ويرعاها ويحترمها.

إنّ هناك درجةً أعلى بوضوح من مجرّد أن يكون الرجل «ابن أمّه» والمرأة «ابنة أمّها» وهي أن تكون شخصية الإنسان بها اضطرابٌ يسمّى باضطراب «الشخصية الاعتمادية»، وسوف يأتي توضيح صفات هذه الشخصية لاحقًا.

١٤- الحياةُ الزّائفة

كثيرًا ما يجاري الإنسانُ شريكَ حياته، ويتصنّع ويتظاهر ويتكلّف بما ليس فيه خوفًا من أن يتركه هذا الشريك أو يرفضه أو يؤلمه، فيضطرّ إلى تقمّص شخصية غير شخصيّته، واكتساب مظهر لا علاقة له بطبيعته، كلّ ذلك حتّى يبدو أنه مُنسجم معه، إنّ هذا لَهُوَ الزّيفُ بعينه.

قد تتفوّه المرأة دومًا أمامَ زوجها بكلام يناقض ما تشعر به وما تريده، وتقوم باستمرار بأفعال على غير رغبتها وطَبيعتها حتّى لا تغضبه، فتعيش أدوارًا ليست أدوارها، وتمثّل شخصية غير شخصيتها، ومع الوقت ستتبخّر هويّتها وتختبئ شخصيّتها الحقيقيّة خلف شخصيةٍ كاذبة، فتزداد نفسيّتها وحياتها مع زوجها سوءًا.

وكذلك بعضُ الرّجال ـ خاصّة العاطفيّون منهم ـ أيضًا.

ليس المطلوبُ هو المجاراة أو التصنّع أو التظاهر أو التكلف لإرضاء شريك الحياة أو أهله أو أي شخص آخر، ولكنّ المطلوبَ هو أن يكون الإنسانُ على أفضل صورةٍ ممكنة في حدود شخصيته وطبيعته وعلى قدر

نفسيته، وفي إطار ملكاته وقدراته. فقد يستطيع إنسانٌ ما أنْ يجاري ويتصنّع ويتظاهر ويتكلّف ويخرج عن طبيعته بعضَ الوقت، ولكنّه لن يطيق فعل ذلك طوالَ الوقت، وإنِ استطاع أن يفعل ذلك فقد بدّل من شخصيته وطبيعته وسجيته، ومَن يفعل ذلك يلقَ آلامًا، وتمتلئ حياته الزّوجية بالزيف والخداع، وتنتهي بأنْ يعصف بها خيبة الرجاء وفقدان الثقة في النفس.

إنّ مِن أجمل ما في الـزّواج أن يكون الإنسانُ على طبيعته، سعيدًا باستقلاليّته، متمتعًا بسجيّته.

١٥- استغلالُ المميّزات في غير موضعها

للرّجل نصفان: نصفٌ خشن ليتعامل به مع الناس خارج البيت، ونصفٌ ناعم ليتعامل به مع زوجته وأولاده داخل البيت.

ومن مواصفات النّصف الخشن للرجل تحكّمه في التعبير عن عواطفه وشدّة بأسه ورباطة جأشه وقدرته على المنافسة والمغالبة،

إنّها أروع ما في الرجل من مواصفات، فهي تعينه على كسب رزقه ورزق مَن يعول، وخوض صعاب الحياة وتحدياتها خارج بيته ووسط مجتمعه، والذّود عن الأرض والعرض.

فإذا وجّه الرجل نصفَه الخشن إلى مَن هُم داخل بيته من زوجته وأولاده؛ فسيقتلُ العواطف ويثير العواصف ويجلب الصّراعات والخلافات والمشاحنات، ممّا يؤدّي إلى إفساد حياته الزوجية والأسرية، لقد وجّه أفضل ما فيه إلى الوجهة الخطأ فدمّر.

أمّا نصفُه الناعم وما فيه من رومانسية ورقّة وحنان وعطف ولطف وليونة وودٍّ يجعله أهلًا لرعاية زوجته وأطفاله وبناءِ بيت على المودّة والرحمة،

وهذا النصفُ من روائع الرّجل التي يستحوذ بها على قلب زوجته ويأسرها بجمال رجولته ويسبغ عليها الرّاحة والأمان والسعادة والاطمئنان.

وللمرأةِ نصفان: نصفٌ أموميّ لتتعامل به مع أطفالها، ونصفٌ أنثوي لتتعامل به مع زوجها.

من مواصفات النّصف الأمومي عند المرأة كثرةُ الكلام لتعليم أطفالها وتلقينهم بعض المعلومات وأساليب بناء التفكير، والإلحاح لتؤكّد على المعلومات وتغرس القيم والمبادئ فيهم، واستخدام الحدس لتتعرّف على احتياجاتهم ورغباتهم ومشاعرهم، خاصّة عندما يكونون صغارًا، والاهتمام بالتفاصيل وملاحظة الدّقائق لترعاهم جيدًا، وغير ذلك كثير، وهذا من أروع ما في المرأة لتكون أمًّا رؤومًا.

فإذا تعاملتِ الزّوجة بنصفها الأمومي مع زوجها أضرّته كثيرًا، فإذا ما أكثرت من الكلام معه أرهقته، وإذا ألحت في طلباتها منه أتعبته، وإذا استخدمت حدْسها لتقرأه فلنْ تفهمه ولن تعرفه جيدًا، وبالتّالي ستخطئ في تعاملها معه، وإذا أطلعته أو طلبتْ منه بعض التفاصيل في أمرٍ ما من الأمور أجهدته، لقد وجّهت أفضل ما فيها إلى وجهة خطأ.

أمّا نصفها الأنثوي فهذا ما يريدُه منها زوجها، نصفها الزّاخر بالدلال والاستضعاف والرقّة والسخونة، وهذا من روائع المرأة التي تسلب بها عينَ وقلبَ زوجها.

يجب أن يوجّه الرجل نصفَه الخشن إلى خارجِ البيت ونصفَه النّاعم إلى داخل البيت..
يجبُ أن توجّه المرأة نصفها الأموميّ إلى صغارها، ونصفَها الأنثوي إلى زوجها.



الباب الرّابع

مُنغّصات ذاتُ بُعْد نفسي

إنّها المنغّصات التي نشأت نتيجة وجـودِ حيودٍ في النفس الإنسانية عن الاستواء، سواءً نتج هذا الحيود من استعداد وراثي ساعدت على إظهارِه البيئةُ، أو من عيوب في السّلوكيات أو الأفكار أثناءَ مرحلة الطفولة لم يتمَّ تعديلها أو تصويبها بطريقة صحيحة، وتُركت حتّى تضخّمت في الشخصية الإنسانية، وتجذّرت، وباتَ من العسير ـ أو مِن المستحيل ـ التخلّص منها، أو نتاج ضغوط قاهرة أو تقليد غيرِ الأسوياء، وغير ذلك.

ومِن هذه المنغّصات ما يلي:

١- ضعفُ الثّقة بالنفس

الثّقةُ بالنّفس هي الإيمانُ بالنفس وبقدراتها الذّاتية على مواجهة ما تُلقيه إليها الحياةُ من مشاكل وأزمات ونكبات وفوضى، وهي التي تدفع الإنسانَ إلى الإقْدام على العمل والإنجاز دون خوف أو تردّد، وعدم الشعور بالقلق الناتج من قبول أو عدم قبول الآخرين به، وتفضيل خياراته بدلًا من الخضوع لما يفضّله الآخرون.



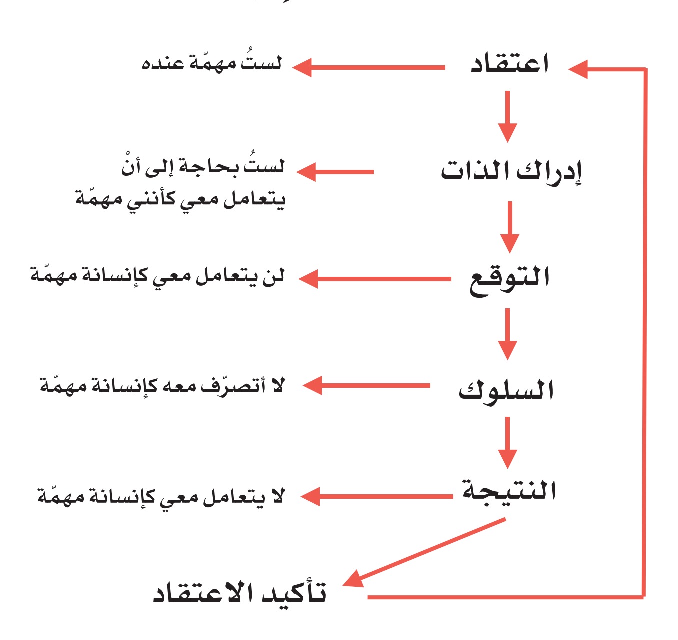
إنّها ليست حبّ الذّات النّرجسي، أو شعور الإنسان بأنّه لا يُقهر، أو أنّه لا يعرف الفشل، أو أنه يسيطر على مجريات حياته، كما أنّها ليست الغرور الذي هو انخداعُ المرء بنفسه وإعجابه الزّائد بها، وليست الاعتقاد بأنّ الإنسان عظيم بقدر ما هو الفهْم الصّحيح للكيفية التي تجعله في مَصافّ العظماء.

ودون الثّقة بالنفس يتأرجحُ الإنسان بين أفكار كثيرة تشتّته عمّا يجب أن يكون عليه، فينسى نفسه ولا يفهمها، ولا يتعرّف على حقيقتها، فيظلّ واقفًا حائرًا، والحياةُ مِن حوله تجري، أو يخطئ الطّريق ويتخبط السبل فتزداد ثقته بنفسه ضعفًا على ضعف.

إنّ علاقة الإنسان مع نفسه هي أهمّ العلاقات، فقناعتُه بنفسه وبشخصيته هي المفتاح لقناعة الآخرين به. فالناس ينظرون إلى المرء من نظرةِ نفسه إليها، فإن اعتقد الإنسان أنّه جديرٌ باحترام الناس فسيحترمه الناس، أمّا إذا رأى نفسه كمًّا مُهملًا فسيعامله الناسُ ككمّ مُهمل، وإذا بخسَ قدر نفسه واعتبرَ نفسَه فاشلًا سيلقى ممّن حوله معاملةً يبخسون بها قدره، ويعتبرونه فاشلًا، والخطأ هو خطأ المرءِ نفسه، وفي النّظر إلى نفسه، فهو البادئ بالاعتداء على نفسه بإهمالها وبخْسِ قدرها وفتح الباب للآخرين ليهملونها ويبخسون قدرها.

وكذلك التّوقعات في الحياة الزوجية، يعامل الإنسانُ شريك حياته طبقًا لنظرة هذا الشّريك إلى نفسه، فالزوجة التي تعتقد في نفسِها أنّها ليست مهمّة عند زوجها، فينمو إلى إدْراكها لذاتها أنّها ليست بحاجةٍ إلى أن تكون مهمّة عند زوجها، ثمّ تتوقّع أن يعاملها زوجها وكأنّها ليست مهمّة عنده، ثمّ يكون سلوكُها الذي بنته على هذه التوقّعات هو عدم التصرف مع زوجها بطريقة تبيّن أنّها غير مهمّة عنده، فكانت النتيجة أنْ عاملها زوجها على أنّها غير مهمّة، ممّا يؤكّد اعتقادها الذي بنتْه لنفسها في السّابق بأنّها ليست مهمّة عنده، كما هو موضّح في الشكل التالي:

توقّعات تعامل زوجةٍ مع زوجها



إنّ الثّقة بالنفس سمةٌ يمكن اكتسابها وتنميتها بالتّدريب والممارسة، وهي تتقلّص وتنخفض، أو تتضخّم وتعلو تبعًا لشخصيّة الإنسان ونفسيّته كما تتأثر – أيضًا– بالظّروف التي يمرّ بها.

يتعرّض الإنسان لإضعافِ ثقته بنفسه إذا كان يمارس التالي:

١) التماس الحصول على الثقة بالنفس من الآخرين:

يهفو الإنسانُ قليلُ الثقة بنفسه إلى تلقّي القبول والرّضا من الآخرين بشكل كبير، فهو يضع الآخرين في مكانة تعلو مكانته، فتتحوّل حياته إلى سلسلةٍ من محاولات إرضاء الآخرين، ولو على حساب نفسه وإهمالها وعدم الاعتناء بها.



فكثيرًا ما تنتظر الزّوجة من زوجها أن يثني عليها ويمدحها، أن يكون رومانسيًّا لطيفًا، كريمًا رحيمًا، وفيًّا أليفًا، لينًا رقيقًا، فلم يكنْ كما أرادت بالضبط، بل طالها منه الإهانةُ والإساءة والازدراء والتّجاهل والضرب والتهديد بالزواج عليها أو بالطّلاق، وتفنّن في إيذاء أنوثتها بشتّى الوسائل، لقد رجتْ فيه ما ليس فيه، وأرادتْ منه ما لا يملكه ولا يتقنه، فاكتظت حياتها الزّوجية بشتى ألوان الضغوط، ومن ثمّ خاب رجاؤها فيه، فأضعف كلّ ذلك ثقتها بنفسها.

وكذلك الرّجل - أيضًا - تضعف ثقته بنفسه ـ ولكنْ بدرجة أقلّ ـ حينما ينالَ من زوجته سيولًا من النقد واللوم والتوجيه والتّوبيخ على ما يقول وما يفعل، وعندما تبدي رفضَها لأيّة بادرةٍ طيبة من همسة أو لمسة، وحينما تثير المشكلات على أيّ شيء ولأي شيء، وحينما تطعن في رجولته وتهدر قوامته وتقدح في قدراته الجنسية.

٢) محاولةُ إدراك الكمال المستحيل:

يحيل السّعيُ وراء إدراك الكمال المستحيل حياةَ الإنسان إلى سلسلةٍ من المحاولات المضنية المجهدة، تتبدّد فيها الطاقة ويبذلُ لأجلها الوقت، وينفق في سبيلها المال دونَ جدوى، فيستبدّ بالإنسان الشعور بالتقصير وعدم الكفاءة وتأنيب الضمير وجلْد الذات، فتضعف الثّقة بالنفس وتتقلص. إنّ محاولات إدراك الكمال أمرٌ من المستحيلات، فالبشر من طبيعتهم التقصير وسوء التقدير والجهل بالأمور.

إنّها لن تقوم بالطّهي وترتيب البيت ونظافته ورعاية الصّغار والقيام بشئونهم بطريقة كاملة طوال الوقت، ولن تقوى على تلبية احتياجات زوجها والقيام بواجباتها كاملةً تجاهه طوال العمر. إنّه لن يقوم بمهامه داخل البيت



وهو في حالة نشاط دائم دائب طوال العمر، ولن يساندها في كلّ المواقف ويدعمها عند كلّ حاجةً.

٣) القلقُ الدّائم وتوقّع الأسوأ:

يسبّب القلق إرهاق الأعصاب وإنهاك القوى وتشتيت الذّهن، وأغلبُ أسباب القلق غير المرضي من صنع الإنسان وخياله، وكثيرًا ما يمارس الإنسانُ الوقاية من القلق المحتمل بالمستقبل عن طريق صنع هذا القلق مقدّمًا. قال «توماس جيفرسون»: كمْ من الآلام تكبّدناها بسبب الخوف والقلق من وقوع مصائب لم تقعْ أبدًا.

فكمْ من زوجة عاشتْ في قلق خشية أن يتزوّج عليها زوجها أو أن يفارقها بالطلاق، وما ينجم عن ذلكٍ من تشتيت أطفال أبرياء، وفقْد عائل يهتمّ، وهدم منزل يضمّ، ولكنه عاش معها عمره كلّه ولم يتزوّج عليها ولم يطلقها ولم يتشتت الأطفال ولم يفقد العائل ولم يهدم البيت.

وكمْ من رجل خشيَ من أن تهجره زوجتُه أو تسعى للطّلاق منه، فينفرط عقد بيته وييتيه أطفاله بينهما، ورغم وجود المشكلات الدّاعية للهجر والطلاق فإنّها لم تهجره أو تسعى لطلاقها منه ولم ينفرط البيت أو ييتيه الأطفال.

٤) عقدُ المقارنات:

من أشهرِ عوامل قتل الثّقة بالنفس هو ميلُ الإنسان لمقارنة نفسه بالآخرين، والاستسلام للشعور بالتضاؤل أمام الآخرين، ومحاولة تقلّد أدوار وطرق وأساليب الآخرين.

إنّها تريد تقليدَ امرأة في دلالها لأنّ تلك المرأة لفتتِ انتباهَ زوجها وهي تتدلّل، وتريد تقليد تسريحة شعر مذيعة بالفضائيّات لأنّ زوجها أبدى إعجابه بتسريحتها، وتريدُ تقليد هذه في كذا.. وتلك في كذا، ونسيت أنّها

نفسها وليس أحدًا آخر، نسيتْ أنّ أيّ إنسان لن يستطيع أنْ يكون غيرَه، نسيت تعزيز ثقتها في نفسها والاهتمام بمظهرها والاعتناء بهندامها وتحسين أناقتها بطريقتها ولنفسها، ثمّ، سينعكس ذلك على زوجها، فمَن تهتمّ وتعتني وتحسّن من نفسها ثقةً بنفسها سيهتمّ بها زوجها ويعتني بها.

لقد اختارها زوجُها من بين جميع بنات حوّاء القريبات من عمرها لكي تكون زوجةً له وأمًّا لأولاده، ولم يرغمه أحد على ذلك، بل كان زواجُه منها باختياره هو، وبمحْض إرادته هو، فكيف تقارنُ نفسها بمَن تمشي في الشارع عابرة أو مَن تظهر على الشّاشات عارضة، إنّها أثمن وأغلى وأعزّ وأقيم منهنّ كلهنّ بمراحل، فلمَ تضع نفسَها في كفّة وأيّ واحدة منهنّ في كفّة أخرى؟! لماذا تقلّل من شأن نفسها لهذه الدرجة؟..

، والإجابة..

لأنّ ثقتها بنفسها ضعيفة.

٥) الإكثارُ من النّقد واللّوم والتأنيب للذات:

ضعيفُ الثّقة بنفسه يرى في نفسه أنّه كثيرُ ارتكاب الأخطاء، ولا يفعل صوابًا إلّا نادرًا، فيداوم على لوم نفسه ونقدها وجلْدِ ذاته وتأنيبها.

ولأنّه كثيرُ النّقد واللوم لنفسه، فلا ينقصه مزيدُ لوْم ونقدٍ من أحد، فجَرْعة النقد واللّوم التي يعطيها لنفسه تكفيه وزيادة. ولذلك كان لومُ الآخرين ونقدهم له يزيدُ من إضعاف ثقته بنفسه ويزيد من شعوره بالألم.

٦) لعبُ دور المفعول به وليس دورَ الفاعل:

يعتقد قليلُ الثّقة بنفسه أنّ جلّ مشاكله تأتي من غيره، وأنّ حلولها بأيدي غيره، وأنّه ضحية ظروف وأقدار خارجة عن سيطرته، وأنّ الظروف هي التي صنعت به ذلك، فيضعُ نفسه في خانة المفعول به وليس في خانة الفاعل، والمفعول به لا يستطيعُ السيطرة على أي شيء أو أنْ يغير أيّ وضع.



٧) عدمُ الإيمان بقدراته:

يهيمنُ على ضعيف الثّقة بنفسه الشّعورُ بأنّه ضعيف الإمكانيات، بسيط المواهب، محدود القدرات، الأمرُ الذي يجعله يثقُ في الآخرين أكثرَ من ثقته بنفسه.

٨) صعوبةُ قبول المجاملات:

رغم أنّه يستطيع فعلَ ما عجز عنه الآخرون فهو يستشعر أنّ ذلك أمرٌ عاديّ لأنه دائب التقليل من شأنه، ولذلك فهو في نظره لا يستحقّ تعبيرات المجاملة ولا كلمات الثناء ولا عبارات الشكر .

٩) سيطرةُ الشّعور بالفشل عليه:

يشعرُ ضعيف الثّقة بنفسه بأنّه لا فائدة تُرجى من ورائه ولا نفع يأتي به، وأنّ كلّ ما سيفعله سيناله الفشل، ولذا فهو متشائمٌ، دائمُ الشّعور بالإحباط واليأس.

١٠) تجنّبُ الظّهور الاجتماعي:

يتجنّب ضعيف الثّقة بنفسه حضورَ المناسبات والحفلات والرّحلات قدرَ استطاعته؛ لأنّه يشعر بأنّه أقلّ من الآخرين الذين يشاركون في تلك الاجتماعيات.

١١) منخفضُ الأداء قليل الإنتاجية:

مَن يشعر بالدّونية واليأس وعدم القدرة أو الرّغبة في اقتحام الجديد، كثيرُ النّقد لنفسه سينخفضُ أداؤه المهني والأسري والاجتماعي.

وبداية استعادة الثّقة بالنفس هي بالاتّجاه إلى داخل هذه النفس والنّظر فيها، واستكشافها بكلّ ما فيها من مزايا وعيوب، والتّصالح معها، والرضا بها والاعتماد عليها، فالثقة بالنفس صفةٌ تكمُن في داخل الإنسان وتنبع من ذاته، صفة لا يستوردها من خارجه.



والثّقة بالنفس عبارة عن مركّب من ثلاثة مكوّنات هي كالتالي:

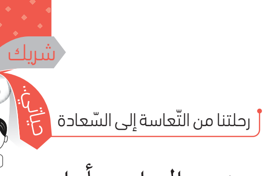
(١) إدراكُ الذّات: هو تقييمُ الإنسان لنفسه تقييمًا دقيقًا، والذي به يدرك ذاتَه الحقيقية وما بها من إمكانيات وقدرات ومواهب، وغير ذلك من المميّزات والمحاسن التي تعدّ نقاط قوّة، كما يدرك ما بها من مساوئ وعيوب التي تعتبر نقاط ضعف.

(٢) قبولُ الذّات: هو تقبّل الإنسان لنفسه بكلّ ما فيها من تعقيدات، وما تحويه من مميزات (والتي تعتبر نقاط قوّة) وعيوب (والتي تمثل نقاط ضعف). إنّ قبول الذات يزيدُ من قدرة الإنسان على مواجهة سلوكه السّلبي، والتعلم منه بدلًا من تبريره والتّغاضي عنه، والعيش باستسلام تحت نيْره، إنّه إعطاء النّفس قدرها، وشعور الإنسان بأنّه يستحقّ حياة كريمة كما يستحقّ باقي البشر، وأنّهم كما يمتازون عنه بأمور فهو- أيضًا- مميّز عليهم في أمور.

(٣) الاعتمادُ على الذات: هو التّركيز على تطوير المميزات أو نقاط القوة ومعالجة العيوب أو نقاط الضعف، وإنها القدرة على الاستفادة من نقاط القوّة والتميّز البنّاءة وتقويتها واستثمارها، وفي نفس الوقت مواجهة نقاط الضعف الهدّامة ومحاولة القضاء عليها أو تقليص آثارها أو عدم تسببها في تأخير الأهداف وتعطيل الحياة.

وبذا يتمّ تحقيق كثير من الإنجازات الذاتية، فالإنجاز برهانٌ على النجاح، فالتّرقي في العملً إنجاز، والنجاح الدراسي إنجاز، والحفاظ على العبادات إنجاز، وصلة الرحم إنجاز، وهكذا.

وبالاعتماد على النفس تتمّ تنمية وتحقيق طموحات وإنجازات الإنسان في كافّة جوانب حياته، والتي هي كالتالي:



الجانب الرّوحي: وهو قربُ العبد من ربّه، ومدى التزامه بأوامره واجتنابه لنواهيه.

الجانب الشّخصي: وهو المتعلّق بمهارات الإنسان المختلفة.

الجانب الأسَري: وهو ما يتعلّق بالعلاقات الأسرية من زوجية ووالدية وبنويّة وأخوية.

الجانب الاجتماعي: وهو تفاعل الإنسان مع مجتمعه.

الجانب الصّحي: وهو أسلوب الإنسان في المحافظة على بدنه صحيًّا وغذائيًّا ورياضيًّا ونفسيًّا.

الجانب المِهَني: وهو ما يتعلّق بالمهنة والرّضا بها والانتماء إليها والحرص على إتقانها.

الجانب الماديّ: وهو ما يتكسّبه الإنسان ليغطي احتياجاته واحتياجات مَن يعول.

خطواتٌ عمليّة لبناء الثقة بالنفس:

١- التخلّصُ من الأفكار السّلبية: ويتمّ ذلك بتسجيل الأفكار السّلبية التي تدور بالرأس، ثمّ.. كتابة الأدلة الداعمة لكلّ فكرةٍ سلبيّة، وكذلك كتابة الأدلة الدّاحضة لها، ثمّ.. التركيز على الأخيرة.

مثالُ الفكرة السلبية:

لم أحصلْ من زوجي على مديح وثناء على الطعام الذي أعددتُه له.

الأدلّة الدّاعمة: تناول زوجيً الطعام ولم يعلّق بشيء، لقد بدا من قسمات وجهه أنّه غير سعيد.

الأدلّة الدّاحضة: لقد تناول الطّعام بنَهَم ـ ربما كانت تشغله مشاكلُ

عمله الكثيرة، ولذا لم تبدُ عليه السعادة ـ لقد نام فورَ تناوله للطّعام ممّا يدلّ على استمتاعه بالطعام وشدّة إجهاده.

ولا شكّ أنّ مخاطبة النفس بالأدلّة الداحضة للأفكار السلبية تسهمُ كثيرًا في التخلص منها، بينما استحواذ الأدلة الداعمة لهذه الأفكار السلبية على الذهن سترسّخها فتؤلم صاحبها نفسيًّا، وتقلّل من ثقته بنفسه.

٢- مخاطبة النفس إيجابيًّا: وذلك بتذكّر ما تمّ النجاح فيه وإنجازه سابقًا ولقي استحسانًا وقبولًا من الآخرين، وكيف كانت المشاعرُ- آنذاك- إيجابية ومحفّزة لمزيدِ نجاح، وكيف أنها تسبّب الشعور بالسعادة والأمل عند استرجاعها، خاصّة في أوقات الفتور والإحباط.

أمثلة:

لقد نال ذوقي في اختيار ملابسي استحسانَ زوجي كثيرًا.

وقفتْ بمروءة موقفًا كريمًا مع زوجتي حينما وضعتْ طفلنا الأول.

دعّمت زوجي بالكلمات والصّبر والتدبير في النفقات حتى مرّت أزمته المالية على خير.

٣- معرفةُ المواهب والقدرات: بعد خوض سلسلةٍ من التجارب الحياتية، واقتحام العديد من الأنشطة؛ يبدأ الإنسان في التعرّف على مواهبه وقدراته، أو قد يخضع الإنسانُ نفسَه لمختصّين يساعدونه على كشف مواهبه وقدراته.

٤- قبولُ الذات: وهي الرضا بكلّ ما في النفس من مزايا وعيوب.

٥- مسامحةُ النّفس: كلّ ابن آدمَ خطّاء، والنّفس أمّارة بالسوء إلّا مَن رحم ربي، ولذا كانت مسامحة النفس حيث ارتكاب الخطأ أو فعل السوء صارتْ ضرورةً إنسانية، تقي الإنسان من تمزيق نفسه حين ارتكاب الخطأ أو فعل السوء.

٦- طلبُ العلم والثقافة: قضاء الإنسان وقتَه في نهل العلوم المفيدة وزيادة ثقافته في شتّى المجالات تزيد من ثقته بنفسه.

٧- الاهتمامُ بالصّحة والجسم: النّوم الكافي والنّظام الغذائي الصحّي وانتهاج الأساليب الصحية للوقاية من الأمراض، والتّداوي حين الإصابة بالمرض، وممارسة الرّياضة وأساليب الدفاع عن النفس؛ تضفي على الإنسان ثقة بنفسه.

٨- وضعُ أهْداف: حتّى يتّضح كيفية المسير لا بدّ من وجود هدف محدّد قابل للتحقيق ويتّسم بالواقعية، ويتمّ في توقيت محدّد. والأهداف ما بين التّكتيكية والاستراتيجية، بين الصّغرى والكبرى. وممّا لا شكّ فيه أن تحقيق الأهداف ولو كانت صغيرة تزيد الثّقة بالنفس..فالعيشُ في هَناء وهدوء بالحياة الزوجية هدف، وتدريب الأبناء على ممارسة الرياضة هدف، وحفظ ما تيسّر من القرآن الكريم هدف، وتقدّم الأولاد الدّراسي هدف، وتعميق صلة الرّحم هدف....، إلخ.

٩- مواجهةُ التّحديات: طريق تحقيق الأهداف ليس ممهّدًا سهلًا، فيجب مواجهة التحديات والاجتهاد في تخطّي العقبات التي تقف أمام تحقيق الأهداف، والصّبر على ما يلقاه الإنسان في طريقه منها، كقول المتنبي:

لا تحسبنّ المجد تمرًا أنت آكلُه   لن تبلغَ المجد حتى تلعق الصبر

١٠- مصاحبةُ الإيجابيّين والنّماذج الناجحة: تنتقل الإيجابية كالعدوى بين الأصدقاء والمعارف، كما تنتقل السلبية أيضًا بذات الطريقة، ولذا كانت رفقة الإيجابيّين والنّماذج الناجحة في الحياة الزوجية تبثّ في النفس دوافع النجاح في الـزواج. ولا شكّ في أنّ مَن يجالس ويصاحب ويستمعُ إلى المُحبطين والمثبطين والمجروحين والمتألمين والضّحايا نتاج حياة زوجية فاشلة ماجتْ بالخلافات والمشاكل والهموم، وعصفت بها الإهانات والتجاوزات

وعدم الاحترام؛ ستتسمّم ـ بلا داع ـ حياته الزوجية بما يسمعه ويراه منهم أو منهنّ. وهذا ما نراه واقعًا، حيث يتوجّس الشباب والفتيات المقبلين والمقبلات على الزواج من الإقدام إليه لكثرة ما رأوه فيمَن حولهم من زيجاتٍ منهارة، أو هي في طريقها للانهيار.

١١- التعلّمُ من سِيَر الناجحين: تعتبر سيَرُ الناجحين زادًا للسّائرين، تمدّهم بالقدوات الفالحة والأساليب الناجحة، تزيد من حماستهم وتدعم أفكارهم وتحفّز هِمَمَهم.

١٢- مكافأةُ النّفس: حين النجاح في أمر ما فمِن المفضّل أن يكافئ المرءُ نفسه بفعل أمرٍ يحبّه ولو كان بسيطًا، وفي ذلك نوعٌ من تقدير الذات، كما تدرّب مكافأةً النفس على تقبل مجاملات الآخرين حين النجاح.

تلعب ثقةُ المرأة بنفسها دورًا مؤثّرًا للغاية في انْجذاب زوْجها إليها وامتلاءِ عينه بها كأنثى، فالواثقة من نفسها لا يكاد يرى زوجُها غيرها من النّساء، حتّى لو كان نصيبُها من الجَمال والرّشاقة والملاحة قليلًا، والعكس من ذلك فالمرأةُ ضعيفة الثّقة بنفسها قد لا تملأ عينَ زوجها كأنثى حتّى لو كان نصيبها من الجَمال والرّشاقة والملاحة وفيرًا.

كما تلعب ثقةُ الرّجل بنفسه في تمسّك زوجته به وشعورها بنعيم وجودها في ظلّ زوج تفوح منه الرجولة والمروءة، زوج قويّ الشخصية، واثقٌ من نفسه، يعتني بها ويهتمّ، ويغمرها بقوامة راشدة وبعاطفة دافئة. والعكس كان الرجل ضعيفَ الثقة بنفسه ينقصُه ما تريده منه زوجته كداعم وسند وقوّام وذي شخصية قويّة، تستقيم لها به الحياة وتستند عليه عند الحوائج.



٢- عدمُ العفْو والمسامحة

ستحفلُ الحياة الزوجية- قطعًا- بالزّلّات والأخطاء والسّقطات والتّجاوزات المتبادلة بين الزوجين، فلا بدّ وأن تتزيّن أيضًا بالعفْو والمسامحة على الزّلات والأخطاء والسّقطات والتّجاوزات حتّى تستمرّ هذه الحياة وتستقرّ.

فإنْ لم يُسامَح شريكُ الحياة ويُعفَى عنه ويُصفَح حينَ زلّته وخطئه وسقطته وتجاوزه؛ فمَن سيُسامَح من العالمين؟ إنّ الناس دَرجوا على مسامحة أشخاص أقلّ من شريك الحياة مكانةً وقيمة، درجوا على العفْو عنْ آخرين لا يمتّون إليهم بصلة، ولا تربطهم بهم أيّة رابطة ذات بال، فمَن أجدر بالمسامحة: القريب الحبيب أم الغريب البعيد؟

إنّ الذي لا يعرف العفْو والمسامحة سيفعل التالي:

- سيستخرج مِن كلّ ما يدور حوله مِن أحداث، وما يشاهده من أفلام، وما يسمعه من حوارات، وما يقرأه من أخبار وقصص، وما يقرأه من صحف ومجلات وكتب؛ ما يذكّره بمراراته، ويحكم على ما يسمعه ويشاهده ويقرأه من أوضاع وأحداث بنظرة سوداوية تشاؤميّة.
- سيفسّر تصرّفات وأقوال شريك حياته تفسيرات سلبية، وكأنّ هذا الشريك شيطانٌ مَريد لا يفعل إلّا الأخطاء، ولا يتفوّه إلّا بالمنكر، ولذا فهو يشعر أنّ شريكه يستحقّ العقاب، وقد يغدو النّيْل منه هدفًا بحدّ ذاته.
- سيصبح أسيرَ الألم والعذاب وحبّ الانتقام وضيق الصّدر وعسر العيش.
- سيكتنز في ذاكرته أرتالًا من زلّات وأخطاء وسقطاتٍ وتجاوزات شريك الحياة، فيتعرّض للانفجار لأتفه سبب وأهْوَنه، وقد يشعرُ بأعراض مرضيّة كثيرة: كالصّداع بالرأس، والأوجاع بالبطن، والآلام بالساقين

والظهر، وغير ذلك نتيجة تخزين الآلام وعدم تصريفها أو التخفيف من آثارها بالمسامحة والعفو.

إنّ المرأة ـ في الغالب ـ هي الأقدرُ مِن الرجل على العفْو والمسامحة، ويبدو هذا واضحًا في استطاعة المرأة ـ في كثير من الأحيان ـ مسامحةَ زوجها على بعض هفَواته ونزواته ومغامراته مع غيرِها من النّساء، بينما هو لا يقوى على هذا الصنف من المسامحة إذا تجاوزت زوجته حدّها في التواصل مع غيره من الرجال.

إنّ المسامح هو أوّلُ المنتفعين، وأكبرُ الفائزين لما تضفيه المُسامحة من صفاء الذهن وسلامة الصدر، وستبقى المسامحة بين الزوجين على رأس القيم التي تهيّئ للبيت استقرارًا، وللسعادة استمرارًا، وستظلّ المسامحة هي الباب الرئيسي لولوج السكينة إلى الحياة الزوجية.

٣- لعبُ دوْر الضحية

عندما تدبّ الخلافاتُ الزّوجية وتشتدّ قد يظنّ أحد الزوجين ـ أو كلاهما ـ أنّه ضحية هذا الزواج، وأنه دومًا الطرف المظلوم والمجني عليه، ولذلك لن ينتبه إلى أصلِ الخلاف الزوجي، ولن يكتشف دورَه في بدء وتنامي هذا الخلاف، وبالتّالي لن يتمّ تشخيص المشاكل تشخيصًا صائبًا، ولن تتّضح طرقُ العلاج الصحيح، وستظلّ المشاكل تتراكم وتتجذر حتى تقتلع الرّاحة من البيت.

لعبُ دوْر الضّحية دومًا يضلّل الوصول إلى الحل المناسب.

يجب أنْ يعلم هذا «المجني عليه» أنّ حدوث الخلافات الزوجية هو مِن صنيعته هو وشريك حياته وليس من صنيعة شريك حياته فقط، فليس هناك في العلاقة الزوجية مَن يلعب دورَ الملاك دومًا، بينما يؤدّي الآخر دور الشيطان باستمرار، ولكنْ هناك مَن يسكب البنزين والآخرُ يشعل الكبريت، فتشبّ النيران التي تأكل البيت. كلّ مِن الطرفين ساهم فيما آلت إليه العلاقة الزوجية من سوء، قد يكون أحدُهما أكثر مساهمةً في تنامي الخلاف من الآخر في موقف، وربما ينعكس الوضع في موقف آخر.

ولذا كان مِن الواجب أنْ يعلم كلّ طرفٍ مقدارَ مساهمته في دمار بيته وتحطيم أسرته حتّى يتدارك الموقف ويؤدي أدواره بالكفّ عن مساهماته التدميرية، ويتحمّل مسئولياته في إنقاذ بيته وأسرته.

٤- العدوانُ الخفيّ على شريك الحياة

يتمّ الاعتداءُ على شريك الحياة عدوانًا خفيًّا حينما يظهر الإنسانُ موافقته على طلبات شريك حياته وإعطائه وعودًا بتنفيذ ما يريد، وبمساعدته في حلّ بعض مشكلاته، ومساندته في بعض المواقف، وهو في قرارة نفسه لا ينوي أن يفعل شيئًا من هذا كلّه، بل وقد يعطّل ما يسعى شريك حياته لتحقيقه.

إنّ الذي يعتدي على شريكه عدوانًا خفيًّا سيفعل الآتي:

- يوافق على اقتراح شريك حياته، ثمّ.. بعد قليلٍ يتحدّث بما يعرقل هذا الاقتراح ويفشله.

- يتمارض أو يدّعي أمورًا طارئة لإعاقةِ تنفيذ ما يريده شريكُ حياته، فهي توافق على الخروج معه ليلًا لزيارة أخته وزوجها وهي تضمرُ في نفسها ألّا تقوم بهذه الزيارة، فلمّا حان ميعاد الخروج من البيت اعتذرت بتعبٍ أصابها فجأة.

- يحجب عن شريك حياته ما يحتاجه وما يسعده، وفي نفس الوقت يذكر له ما يضايقه ويتعبه.
- يعدُ ويُخلف وعودَه، ويتنصّل منها بطرق خبيثة، حتّى زعزع ثقة شريك حياته في إمكانية مساعدته ودعمه والوقوف بجانبه.
- يفتعل المشكلاتِ ويختلق الأزمات ليتنصّل من واجباته والقيام بمسئولياته، وقد يفتعل مشكلةً ويشعل عراكًا بسبب تافهٍ أو بغير سببٍ وجيه لينجو من معاشرة جنسيّة لا يرغبها.

إنّ هذا عدوانٌ خفيّ من شأنه تبديدُ جهد شريك الحياة وتشْتيت ذهنه وإضاعة وقته وإتلافِ أعصابه وإرباك جدول أعماله، إنّه أسلوبٌ يفقده الثقةَ فيه، ولا يجعله يعتمدُ عليه، إنّه أسلوب خبيث في إيذاء وإحباط وعزلِ وتدمير شريكِ الحياة، إنه أسلوبٌ يملأ الحياة الزوجية بالأكاذيب والغش والخداع.

٥- انتهاجُ المغالبة لا المشاركة أسلوبًا في الحياة الزوجية

في حياةٍ زوجية تكثرُ بها المغالبة وتتقلّص فيها المشاركة يصيرُ الزّوجان خصميْن أو عدوين يقفان وجهًا لوجه، ويتحوّل الاحترامُ المحمود بين الزّوجين إلى احترابٍ مذموم بين غريميْن، ويستبدل التكافل والتكامل والتفاهم والتكاتفٍ وتلبية الاحتياجات والتّضحية والبذل والتعاون والدعم المتبادل بالتنافس والصّراع والمدافعة والتقاتل من أجل فرض نفوذ وسيطرة وإثبات جدارة وغلبة رأي.

من علامات العلاقة التي تسودُها المغالبة ما يلي:

- لا مسامحةَ على نقائص أو أخطاء شريك الحياة.
- ينصبّ الاهتمام على إثبات خطأ الطّرف الآخر، ونيل اعترافه بأنّه أخطأ، «لازم يعترف بخطئه، لازم تعترف بغلطتها».

- سيسودُ أسلوب الدّفاع وطرق المقاومة عند النّقاش العادي وتقديم الطلبات الطبيعية وطرح الرؤى وإسداء النصائح.

- لن يتمّ عملٌ أو عطاء أو دعم إلّا ويُنتَظَر من ورائه مغنمٌ أو مكسب.

- ادّعاء أحدِ الزوجين بأنّه يقوم بعمل أكثر ممّا يقوم به شريك حياته.

- تقديم الخدمات بطريقةٍ تفاوضية، أو بفرض الإرادة في الأوقات الحرجة، بدلًا من منحها كهديةٍ من حبيب لحبيبه.

- هناك ارتيابٌ وتخوّف من تصرّف به ودّ ورقّة من شريك الحياة تحسّبًا لأن يكون من ورائه دفع ثمنٍ ما.

- الحرص على تعريف شريك الحياة قدرَ العبء الذي تمّ تحمّله حين تقديم خدمة عادية أو دعم واجب.

- الاستعانة بحُلفاء من الخارج كالأهل والأقارب والأصْدقاء والزملاء حين الخلافات ليتكوّن جيشٌ يتدخّل بانحياز لكسب «المعركة».

- استخدام الجدل الطويل المجهد، أو الحسم الدكتاتوري المرير.

- انتهاج الطريق المريح لأحد الطّرفين لحلّ المشاكل واتّخاذ القرارات دون الوضع في الاعتبار راحة الطرف الآخر.

إنّها سلسلةٌ أليمة من المشاعر والسّلوكيات تحوّل الحياة الزوجية إلى ساحة معركةٍ واقتتال، فأسلوب المغالبة من أكثر الأساليب هدمًا للحياة الزوجية، فهو يهدم في كلّ وقتٍ؛ صباحًا ومساءً، وعند كلّ حوار أو مناقشة، وحين تبادل الآراء ووجهات النظر، وعند أيّ موقف وقضية، وفي أيّ أزمة أو مشكلة، ورغم ذلك لا ينتبه لوجوده ولا لخطورته أغلب الأزواج والزوجات.



٦- الشّعورُ بالهزيمة النفسية

قد يعيشُ الزوجان ـ أو أحدهما ـ حياةً زوجية ذات مستوًى غير مُرْض وغير مريح، ورغم ذلك يخيّم الشّعور بأنّ هذا المستوى على ضَحالته وضآلته ووضاعتِه ومساوئه هو الأفضل؛ لأنّه وضعٌ مألوف تمّ التعوّد عليه والركون إليه، والاستسلام التّام له، وأضحتْ هناك خشيةٌ من الخروج منه، فهو ـ على أيّ حال ـ يمثّل منطقة الأمان، عملًا بالمثل الدّارج «اللي تعرفه أحسن من اللي ما تعرفوش».

ومِن مظاهر المنهزم نفسيًا أنه:

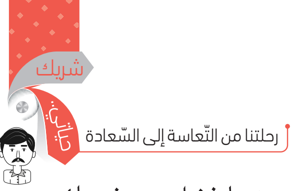
– يقوم اليومَ بما قام به بالأمس، وسوف يقوم في الغدِ بما قام به اليوم، وهكذا يكون اليوم كالأمس، والغد كاليوم، لا جديد، وتمضي الحياة برتابة، جديدُها كقديمها، وكأنّ عقارب الساعة قد توقّفت، وأنّ الزمن قد تجمّد.

– فاقدُ الثّقة في إمكانية إصلاح ما بينه وبين شريك حياته، فاقد الثقة في نفسه وفي قدرته على التغيير وفي إمكانية تحسّنه، ويستبدّ به اليأس القاتل وفقدان الأمل في تحسّن الأوضاع، ولذا ينطفئ لديه السّعي لإجراء أي تصويب أو تطوير أو تغيير أو تعديل أو تجديد.

– لم يعدْ قادرًا على رؤية أوْضح الفرص لإحياء علاقتِه من جديد، وفاقد القدرة على ملاحظة أيّ تغيير إيجابي يحدثه شريك حياته، وكذا أيّ تغيير في الظروف المحيطة به.

– يرفض أيّ اقتراح يزحزح ما هو عليه من تكلّس، ويتجنّب ويعارض أيّ تغيير يهدد ما اعتاده من تيبس.

– يتّجه نحو أناس آخرين وأنشطة أخرى، وأماكن أخرى؛ بحثًا عن



النّجاح مع أيّ شخص وفي أي نشاط وفي أي مكان بعدما فشل مع شريك حياته وفي بيته.

- يعبّر عن إحباطاته الخاصة بالعلاقة الزوجية علنًا.
- يشعر دومًا بالإعْياء والتعب، والإصابة بالعديد من الأمراض، ويكثر من التردّد على الأطباء.

إنّ المحافظة على الحياة الزوجية تحتاج لثقةٍ قويّة وليس لهزيمة نفسيّة، تحتاج لعزيمة فائرة واصبة وليس لنفسية خائرة واهنة، تحتاج لإيمانٍ عميق بقدسية هذه الحياة وأهمّيتها، تحتاج إلى التحلّي بالصّبر على المعوّقات والصبر على تنفيذ الحلول، تحتاج إلى امتلاك المقدرةِ على تحمّل الأذى وتجاوز الأزمات وتخطّي العقبات، تحتاج للتصدي لكلّ عوامل الضعف واليأس والإحباط، تحتاج للقيام بأعمالٍ كثيرة وكلماتٍ قليلة، تحتاج للتضحية بمال ووقت وجهد وعرق، تحتاج إلى جهاد بحرمان النفس من بعض ما تعوّدت عليه وألفته، والقيام بما يصلح ولو أبَتِ النّفسُ وقاومته.

٧- سوءُ الظّن

عادةً ما يحمّل الإنسانُ سيّئ الظّن الأقوالَ والأفعال أكثر ممّا تحتمل، فيظنّ أنّ كلّ كلمة تخرج من شريك حياته تكون ذات معنًى سلبيّ مستهدف مقصود، رغم أنّ لهذه الكلمة عددًا من المعاني والتّأويلات الأخرى الإيجابية، فهو لا يرى في تأويل أيّ حدث إلّا السواد، وما السّواد إلّا فيه هو، كقول البوصيري:

قد تنكرُ العينُ ضوءَ الشّمس من رمد   وينكرُ الفمُ طعمَ الماء من سقم

يعتقد سيّئو الظنّ أنّهم يدركون الأمور جيدًا، وأنّهم لا ينخدعون بسهولةٍ بما يسمعون أو يشاهدون، وكلّما ساء الظنّ تجاه شريك الحياة كلّما

قلّت القدرة على معرفة السّبب الحقيقي وراءَ أقواله وأفعاله بدقّة، وإذا استمرّ سوءُ الظنّ يسير بهذه الوتيرة فمِن المُمكن أن يصبح شريكُ الحياة أكثر سلبية أو أشدَّ انتقامًا أو أكثرَ تحرّيًا للسريّة أو أشدّ دهاءً ومكرًا في استجاباته، وبذا يصيرُ من العسير للغاية مُقاسمة الحياة بهدوءٍ مع شريك حياةٍ سيّئ الظن.

إنّ إحسان المرأة الظنَّ بزوجها يجعل الزّوج يُخرجُ أفضلَ ما فيه، والعكس، فإذا ساء ظنّ المرأة في زوجها بدا منه أسوأ ما فيه.

وإذا أحسنَ الرجلُ الظنّ في زوجته ازدادتْ ثقتها بنفسها، وازدادت صبرًا واجتهادًا في بيتها ومع صغارها. وإذا ساء ظنّ الرجل في زوجته أحالَ حياتها إلى دوّامات من الشّقاء، واللّهث حول إثبات عكسِ ما يظنّ، حتّى إذا ما زاد الأمر عن حدّه وفاقَ الطاقة وتخطّى القدرة أدارتِ الزوجة ظهرَها لزوجها متألمة غير نادمة.

إنّ إحسان الظنّ بشريك الحياة يعني عدمَ الانشغال بتفسيرِ وتحليل أقوال وأفعال شريك الحياة على نحو سلبي،

يعني تبنّي تفسيرات حَسنة لأقوال وأفعال شريك الحياة،

يعني التماسَ الأعذار وأخْذ المواقف على المَحامل الحسَنة لحين الاسْتيثاق من شريك الحياة بنفسه، فالأزواج السّعداء يَجدون دومًا تفسيراتٍ إيجابيّةً للأفعال التي يعترض عليها الأزْواج التّعساء ويأوّلونها بالسلب،

يعني عدمَ تشييد أفعال سلبية على تصوّرات وهمية،

يعني عدمَ إلصاق التّهم بشريك الحياة دون وجودِ قرائن لا تقبل شكًّا،

يعني صمّ الأذن عن سماع كلام الواشين، وصدّ العقل عن استقبال عبارات المشكّكين.



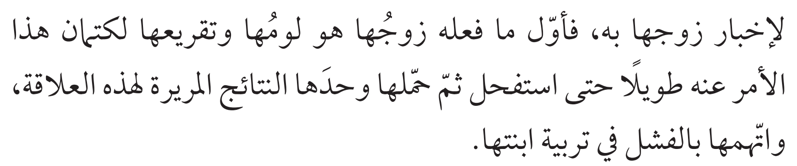
٨- الهمومُ، فنون

تتفنّن المرأة العصرية في جلْبِ الهموم على نفسها، ومِن ثمّ على زوجها وأولادها، فهي تنسلخ من روعة أنوثتها وتنمّي بداخلها خشونة الرجولة، فتتصرّف على غير طبيعتِها، وتعكّر بذلك صفوَ فطرتها، وتقوم بأدوار ليست أدوارها، فتقصّر في واجباتها الأصيلة، فينعكس ذلك سلبًا عليها وعلى زوجها وعلى أفراد أسرتها.

.. كيف هذا؟..

- انفرادُ المرأة باتّخاذ بعض القرارات دون الرّجوع إلى زوجها أو تكون على غير رغبته، سيجعلها تقوم بأعباء التنفيذ وحدها وهي كثيرة مُجهدة، وسيجعلها- أيضًا- تتحمّل عواقب نتائج هذه القرارات وحدها، وهذا أمرٌ لا تطيقه الغالبية العظمى من النّساء.

- قد تحجبُ الزوجة عن زوجها بعضَ المعلومات المتعلّقة ببعض سلوكيات الأولاد غير المنضبطة بدعْوى أنّ الزوج سيُسيء التصرّف بثورةِ غضب عارمة، أو بقسوة ضرب صارمة، أو بدعْوى أنّها تعلم عن الأولاد ما لا يعلمه زوجها، ولذا هي أفضلُ منه في التصرّف، فتتحمّل وحدها أعباء التّوجيه والتربية، كالأمّ التي علمت أنّ ابنتها المراهقة ذات السّتةَ عشَرَ عامًا قد تعلّق قلبها بأحد الشّباب، وأنّها على تواصلٍ عاطفيّ عميق معه، فآثرت أنْ تخفي هذا الأمر عن زوجها لئلّا يقسو على ابنتها بالضّرب والحبس بالبيت، ومنعها من الذّهاب إلى المدرسة وسحب جميع وسائل التواصل المتاحة منها، وبذلك تحمّلت وحدَها هذا الموضوع الثقيل، وعندما فشلت- بعدَ العديد من المحاولات المضنية التي استمرّت أسابيع وشهور وربما أكثر- اضطرّت



لإخبار زوجها به، فأوّل ما فعله زوجُها هو لومُها وتقريعها لكتمان هذا الأمر عنه طويلًا حتى استفحل ثمّ حمّلها وحدَها النتائج المريرة لهذه العلاقة، واتّهمها بالفشل في تربية ابنتها.

– قد تؤدّي المرأة أعمالَ زوجها لأنّه لا يعبأ بها أو يتكاسل عن أدائها أو يرفض أداءها لضيق وقت أو لعدم اقتناع، فتتحمّل ما هو فوقَ طاقتها أضعافًا مضاعفة، وتضطرّ إلى ترك بعض من واجباتها الأصيلة كأنثى وأمّ.

– لا تصرّح المرأة عمّا في صدرها من ضيقٍ تجاه زوجها، وتكدّس في داخلها ما يؤلمها موقفًا يتلوه موقف، ويومًا بعدَ يوم، حتّى يصير بصدرِها جبالٌ من الهموم، وفجأة تنفجر على أقلّ سبب، فتتطاير شظايا الانفجار في كلّ مكان لتصيب مَن تصيب.

– الإصرارُ على استخدام نفس الطّريقة الفاشلة التي لا تؤدّي إلى النتيجة المرجوّة، فالصراخ لن يجعل الأولاد يمكثون للاستذكار ومع ذلك يتكرّر الصّراخ عددًا من المرّات في اليوم الواحد وفي كلّ يوم، والإلحاح يتعب الزوج وقد لا يأتي بالنّتيجة المرجوّة، أو يأتي بها بعدَ كدرٍ في النفس وتعبٍ في الأعصاب، ولكنّ زوجته تلحّ مرارًا وتكرارًا كأن لا سبيلَ للوصول إلى ما تريد إلّا بهذا الإلحاح.

– طرح أسئلة على الزّوج تكون جميع أجوبتها متعبة مغضبة.

« هي تشعر أنّه يقضي وقتًا طويلًا للغاية مع أمّه وأبيه، وهي ترى أنّ قضاء هذا الوقت معهما زائدٌ عن الحدّ المعقول، وأنّها وأولادها لا يأخذون حقّهم ولا حظّهم منه، فإذا ما تأخّر في العودة إلى منزله سألته: هل كنت عند أمّك؟ فإنْ أجاب بنعمْ غضبت، وإنْ أجابها بلا فلن تصدّقه وستغضب أيضًا، فأيّ إجابة على هذا السؤال ستغضبها وتؤلمها، وكأنّها بطرحها هذا



السّؤال تسعى لما يغضبها وما يؤلمها.

« هو متزوّج من اثنتين، فإذا تأخّر عن موعد الرجوع إلى إحداهما ظنّت أنّ سبب تأخّره أنه كان مع الأخرى، فسألته التي تأخّر عليها حين مجيئه إليها: «هل كنت عندَها؟»»، فإذا أجاب بنعم غضبت وحزنت، وإنْ أجاب بلا فلن تصدّقه وتستنكر فعلته وستغضب أيضًا، فهي على أيّة حال سينتابها الغضب عند أي إجابة.

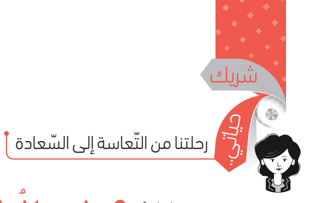
إذًا، فليس من الحكمة طرحُ هذا الصنف من الأسئلة، والذي لن تجدَ فيه المرأة الإجابةَ التي تريحها أبدًا، فكلّ الأجوبة متعبةٌ لها.

كما قد يبرّع الرجل في جلب الهمّ لنفسه ولزوجته أيضًا..

.. كيف هذا؟..

قليلٌ من وقتٍ يستثمره الرّجل في قول أو عمل يسعد زوجته ويُدخل عليها البهجة والسرور؛ سيُعفيه من الخوض في كثيرٍ من وقت، وثقيل من جهدٍ في أقوال وأعمال لإرجاع البهْجة والسرور إلى زوجته. فكلمةٌ حانيةً وقبلةٌ دافئة ووقتٌ رومانسيّ لإنماء الحبّ بين الرجل وزوجته؛ يرطّب الحياة الزوجية، ويلين نفسيّة الزوجة، ويعفي الرجل حين جفاف الحياة الزّوجية وجفاء الزوجة من خوْض جولاتِ إنقاذٍ وترميم تستهلك العمرَ والجهدَ، وربّما لا تأتي بالنتيجة المرجوّة، ورغم ذلك يبخلُ الرّجل بالكلمة الحانية والقُبلة الدافئة والوقتِ الرّومانسي لإنماء العلاقة وإزكائها، وكأنّه يتعمّد جلب الهمّ وإضاعة الوقت وإزهاق الجهد.

إنّه يهدّدها بالطّلاق أو تعدّد الزوجات فأفقدها الشّعور بالأمان، فاندفعت لتكتنز المال بغير علمه، وتلحّ عليه إلحاحًا يطير صوابه ليكتب باسمِها بعضًا من أملاكه، لقد جلبَ الرجلُ لنفسه بهذه التهديدات الوهميّة الغمومَ والهموم.



٩- نسيانُ الذّات

قد يضحّي أحدُ الزّوجين تضحيات جسامًا من أجل استمرار الحياة الزوجية على أيّة حال من أجل تربية الأولاد، من أجل الحفاظ على البيت قائمًا، من أجل تزويج البنات، من أجل الحفاظ على درجةٍ من الوجاهة الاجتماعية، وقد يوغل في التضحية حتّى أنّه ليضحي بإنسانيّته وبراحته النفسية، يضحي باحتياجاته ورغباته.

إنّ مَن يفعل ذلك فقد نسي نفسه، ومَن ينسى نفسه فسينساه غيره، وأوّل هؤلاء الغير هو شريك الحياة.

إنّ نسيان الذّات جريمة يرتكبها الإنسان بنفسه ضدّ نفسه، حتى تضعضعتْ هذه النّفس ولم تعدْ تقوى على فعل ما عليها من مهامّ ومسئوليات، فزاد الهمّ والغمّ، وخيّم الإحباط واليأس.

إنّ أولى النّفوس بالاهتمام هي نفسيّةُ المرء ذاته وصحّته ودينه وثقافته وعلاقاته ومصالحه حتى يستطيع الاضطلاع بمهامّه والقيام بمسئولياته على خير وجهٍ تجاه الآخرين، وعلى الأخصّ شريك حياته وأولاده.

١٠- العصبيّة

لقد ازدادت في هذا العصرِ الرّقمي الضغوطُ الخارجية والداخلية على الناس، كلّ الناس، وصارت البيوت تموج بالصّراخ والهياج على أتفه الأسباب، وأضحت العصبية سمتًا لإنسان هذا العصر.

ولكمْ قضتِ العصبيّة على هدوء الأسْرة واستقرار حالها، ولكم تسبّبت في تعقيد الأمور وازدياد المشاكل وتفاقم الخلافات، ولكمْ بترت



حوارًا زوجيًّا بعدما لوّثته بالكلمات والتلميحات والتصريحات والإشارات والإيحاءات والحركات السلبية.

يزداد أثرُ العصبيّة عمقًا حينما يكون الزّوجان عصبيّيْن، وما يكاد الحوار يبدأ بينهما إلّا وتشتعل الكلمات وتتأزّم المواقف.

.. فما الحل؟..

يجب على العصبيّ أن يدرّب نفسه على أخذ دقيقةٍ واحدة فقط يفكّر فيها فيما ينتوي قولَه أو فعله، دقيقة واحدة فقط، ليرى هل ما يريد قوله أو فعله إيجابيّ أم سلبيُّ الأثر؟ فإنْ كان إيجابيًّا فليقله أو يفعله، وإن كان سلبيًّا فليحبسه ويفكّر في قول أو فعل غيره. إنّ الفارق بين الحكيم والعصبيّ دقيقة واحدة، الحكيم منحها لنفسه بينما العصبي حرم نفسه منها.

وإنّه من الطّبيعي أثناءَ القيام بتدريب الدّقيقة الواحدة هذه سينجح العصبي تارة ويخفق تارةً أخرى، ومع الوقت سيزداد نجاحات هذا العصبي، وتتقلّص إخفاقاته ليصيرَ هذا العصبي حكيمًا في نهاية الأمر، ولو بعد حين.

١١- عدمُ الرّضا وكثرة الشكوى

لن يجدَ الإنسانُ من شريك حياته- وفيه- كلّ ما يتمنّى، فسيرضيه أمر وسيسخطه آخر، كما روى «مسلم» في صحيحه عن «أبي هريرة»- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «لا يفْرُك مؤمنٌ مؤمنة، إنْ كره منها خلقًا رضي منها آخر».

فيجبُ أن يوطّن الإنسان نفسه حينما يتزوّج على ذلك.

فالمرأة ترهق زوجَها إن لم ترضَ بحالها معه وبوضعه المادي، وستكثر من طلباتها وتلحّ عليه ليلبّي رغباتها التي لا تنقطع، فتدفعه تحتَ هذا الضغط إلى التكسّب على أيّ وجه، حرامًا كان أو حلالًا.

إنّ هذا السلوك لا يقتصر أثرُه على الإضرار بالأسرة واستقرارها فقط، ولكنّه يتّسع ليشمل هلاك الأمة بأسرها، كما حدثَ لبني إسرائيل من قبْل، فقد قال- صلّى الله عليه وسلّم- في حديث صحّحه الألباني: «إنّ أوّل ما أهلك بني إسرائيل أنّ امرأةَ الفقير كانت تكلّفه من الثياب والصّيغ ما تكلّفه امرأة الغني».

كما أنّ الرجل يضلّ طريقه حينما يلهث وراء كلّ ما يريد، ويدأب ليلًا ونهارًا لينال كلّ ما يشتهي، ويطأ في طريقه قيمًا أخلاقية ودينية، فلا يعبأ بصلةِ رحم ولا تحرّي حلال من حرام.

يجلب عدمُ الرّضا وكثرةُ الشكوى من ضيقِ الحال أو شعور بالفقر أو إحساس بالدّونية أبوابًا من الشّرور كقلّة الصبر والنّكد والغمّ والضيق والسخط والغضب.

في الحديث الذي رواه «البخاري» لم ترضَ امرأة «إسماعيل»- عليه السلام- من قبْلُ حينما قدمَ إليها «إبراهيم»- عليه السلام- متفقّدًا ولده «إسماعيل»- عليه السلام- فلم يجده. فسأل امرأتَه عنه، فقالت: خرجَ يبتغي لنا. ثمّ سألها عن عيشهم وهيئتهم؟ فقالت: نحنُ بِشَّر، نحن في ضيقٍ وشدّة. قال: فإذا جاء زوجُك أقرئي عليه السّلام، وقولي له يغيّر عتبة بابه. فلمّا جاء «إسماعيل» عليه السلام، قال: هل جاءكم مِن أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ ـ كذا وكذا ـ فسألنا عنك فأخبرته، وسألني: كيف عيْشُنا؟ فأخبرته: إنا في جهدٍ وشدّة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أنْ أقرأ عليك السلام، ويقول لك غيّر عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وقد أمرني أنْ أفارقك، الْحقي بأهلك، فطلّقها. وتزوّج «إسماعيل»- عليه السلام- بعد ذلك بامرأةٍ أخرى، فجاء «إبراهيم»- عليه السلام- ليزور ولده «إسماعيل»- عليه

السلام- فلم يجده، فقال لامرأته: أين إسماعيل؟ قالت: ذهب يصيد، ألَا تنزل فتطعَم وتشرَب؟ قال: وما طعامُكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللّحم وشرابنا الماء. قال: اللّهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم، وسألها عن عيْشهم وهيئتهم؟ فقالت: نحن بخير وسَعَة، وأثنتْ على الله. قال: إذا جاء زوجُك فاقرئي عليه السلام، ومُريه بأن يثبّت عتبة بابه. فلمّا جاء «إسماعيل»- عليه السلام- قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، شيخ حُسَنُ الهيئة ـ وأثنت عليه ـ فسألني عنك.. فأخبرته. فسألني: كيف عيْشُنا؟ فأخبرته: إنًّا بخير. قال: هل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السّلام، ويأمرك أن تثبّت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنتِ العتبة، أمرني أن أمسكك.

هكذا يصنع الرّضا وتفعل القناعة، ثباتُ زواج، واستقرارُ عيش، وهناءُ بال، بينما غير ذلك يجلب السخط والهوان ويورّث المذلّة والتفكّك.

إنّ النّظر إلى مَن هُم في مستوى مهنيّ أو اقتصادي أعلى، وإدمان اشتهاء مثل ما عند الناس يورث الحقد والحسد والحنق، ويدفع إلى طول السّعي واللّهث وضنك العيش، ويقلّل الشكر لله الرازق، لقد أنذرنا رسولُ الله- صلّى الله عليه وسلّم- بعواقبَ ذلك في الحديث المتّفق عليه أنّه قال: «انظروا إلى مَن هوَ أسفل منكم، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم؛ فهو أجدر ألّا تزدروا نعمةَ الله عليكم». إنّها حكمة بليغة من معلّم البشرية- صلّى الله عليه وسلّم- تعالج أمراضًا شاعت بين الناس وذاعت في كلّ العصور، خاصّة في هذا العصر الاستهلاكي، وقد صدق الشاعر حين قال:

إذا أردت عيشًا هنيئًا تستفيدُ به   في دينك ثـمّ في دنياك إقبالًا

فلتنظرَنّ إلى مَـن فوقك أدبًا   ولتنظرنّ إلى مَـن دونـك مالًا

كما أنّ القناعة والرضا تحرّر الإنسان من ربقة أطماعه وأسْرِ شهواته، مصداقًا لقول الكندي:

العبدُ حرّ ما قنع والحرّ عبدٌ ما طمع

١٢- الشكّ

تُبنَى الحياةُ الزوجية في الأصلِ على الثّقة المتبادلة بين الزّوجين، فهي ركنٌ ركين في استقرارها واستمرارها، تتزعزع الثّقة ويتخلخلُ رسوخُها حينما يتفوّه أو يتصرّف أحدُ الزّوجين بكلماتٍ وسلوكيات غير مسئولة كالكذب والخداع والخيانة، فيصيرُ غيرَ أهلٍ لهذه الثقة، فتزحف الشّكوك بأعاصيرها التي لا تهدأ، بل والتي يزيدها توالي الكذب والخداع والخيانة هياجًا.

ولكنْ هناك نوعٌ من الشكّ يكون وليدًا للظّنون والأوهام، فقد يستبدّ بالإنسان الشكّ في شريك حياته بلا برهان أو دليل، فيراقب حركاته وسكناته، ويحاصره في خلجاتِ نفسه ونظراته، ويحسب عليه خطواته، ويتعقّب نشاطاته ومكالماته واتصالاته وتواصلاته، ويضيّق عليه حركته، ويقلّص علاقاته، ويطارده بالتّهيؤات والتهديدات، ويكثر من إلصاق التّهم به، ويترجم أقواله وأفعاله إلى كلّ ما هو سلبيّ مدمّر.

وستستمرّ وتيرةُ الشّك في التّصاعد، ويتنامى بالتّوازي معها ضيقٌ وحنق شريك الحياة حتّى يصل إلى لحظة ينتهي فيها صبرُه وينفجر بعدها غضبُه، أو يولي ظهرَه لشريك الحياة بعدما يأسَ من تحسّن الأوضاع، فيتداعي البيت وينهار، ولكم قوّض الشكُّ بيوتًا كانت يومًا ما عامرة، وأتى بنيانها من القواعد.

وكثيرًا ما يلتبس لدى كثير من الناس، وخاصّة الشباب والفتيات المُقبلين والمُقبلات على الزواج- الإنسان الشكّاك، وذلك الغيور، فالفارقُ بينهما دقيق. فالغيور يسأل: «أين كنتِ؟»، وينتظر الإجابة، ثمّ يصمتُ

ليسمعها، ثمّ يصدّقها، أمّا الشّكاك فيسأل وكأنّه يحقّق: «أين كنتِ؟»، ولا يكاد يصغي للإجابة ثمّ لا يصدّقها ويقول: «أقسمي بالله أنكِ كنتِ هناك»، ورغم القسم فلن يصدّق، ويعيد السؤالَ بصيغة أخرى، وزاوية أخرى؛ باحثًا عن ثغرةٍ في الإجابة أو تغيرًا فيها.

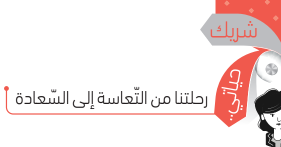
وقد يكون الإنسان الشّكاك شخصيةً بارانويّة حيث الشكّ ليس مرضًا عارضًا يمكنه التخلّص منه بالخضوع للعلاج النفسي؛ ولكنّه صار في الجبلّة والطبيعة، وأصبح الشكّ والشخصية سبيكةً واحدة لا يصلح معه حوارٌ منطقي جادّ ولا علاج شافٍ يعيد الشخصية الإنسانية إلى استوائها، (انظر الشّخصية البارانوية، ستأتي لاحقًا).

١٣- العناد

هو الإصرارُ على الرأي إصرارًا شديدًا مهْما كانت قوّة معارضة شريك الحياة لهذا الرّأي، والمضيّ قُدمًا في تنفيذه دون الالتفاتِ إلى ما يسبّبه هذا الإصرارُ من أذى في العلاقة الزّوجية، وكثيرًا ما يرافق العناد أنواعٌ شتّى من الجدل والتطاول والتجاهل.

مِن أسباب وجود العناد بين الزّوجين ما يلي:

أوّلًا: قد يكون العنادُ قد توغّل في الطبع، وصار يضرب بجذوره منذُ مراحل حياة الإنسان الأولى نتيجة تربية خاطئة فى الطّفولة. فقد يتشبّث الطفل/ الطّفلة برأيه أو برغبته صارخًا باكيًا أو مبتزًّا ملحًّا فيرضخ له الوالدان في كلّ مرّة، وينفّذان له ما يريد، ثمّ.. بمرور الوقت يتطوّر الأمر لتصبح رغباتُه وأهواؤه حقًّا من حقوقه، وعلى مَن حوله منحُها له، وأن يكون الجميع رهنًا لإشارته، فيصير العناد سلوكًا يوميًّا يلازمه بقية حياته.



ثانيًا: قد يحاول الإنسانُ التغلّب على مركّبات النّقص الموجودة في شخصيّته، فيتّخذ مسلك العناد والإصرار لكي يكتسب لنفسه شخصيّة ذات مظهر قوي.

ثالثًا: قد يكونُ العناد صورةً من صور التّعبير عن رفض أحدِ الزّوجين لشريك حياته، وعن عدم انسجامه معه.

رابعًا: قد يكون الطّبع المزاجيّ للإنسان أنّه على درجةٍ عالية من الإصرار والمثابرة، فيظنّ مَن حوله أنه عنيد لأنّه لا يستجيب لَمن يريده ويتمّم ما يفعله، إنّه ليس بعنيد، إنّه فقط لديه إصرارٌ على إتمام ما يفعل، ولا يريد الاستجابة لَمن ينادي عليه، مثابرة على ما يعمل، ولا يريد مَن يقطع عليه استرساله فيه، ولذا فهو ينفّذ ما في رأسه هو، وما وضعه في برنامجه هو، فيبدو عنيدًا.

وفي الغالب مَن يصمُ شريك حياته بالعنادِ يكون هو ـ في الواقع ـ الشّخص العنيد.

.. لماذا؟...

مِن حقّ الزّوجين أن يكون لكلٍّ منهما رأيُه المختلف وطريقتُه المختلفة عن رأي وطريقة شريك حياته، ومن حقّهما أن يتبادلا وجهاتِ النّظر ومناقشة بعضهما البعض، ولكنّ المناقشة يجب ألّا تفضي إلى جدلٍ عقيم الذي يوقف التّفاهم، ويسمّم الحوار الزّوجي، فإذا استمرّت المناقشات وقتًا طويلًا فسيضجرُ الزّوج ـ في الغالب ـ، ويبدي اعتراضًا على هذا الجدل الطويل، ويعتقد أنّ هذا الكمّ من النقاش زادَ عن الحدّ، وأنّ زوجته التي تريد الاستمرار في النقاش تتّسم بالعناد والتشبث بالرّأي، فيصدر قرارًا يحسم قضية المناقشة أو يوقفُ النقاش بطريقة ما من الطّرق، حينئذ ستنظرُ إليه زوجته على أنه هو العنيدُ المتشبّث برأيه.



.. كلاهما ينظر إلى الآخر على أنّه عنيدٌ متشبّث برأيه.

ويكمن الحلّ في أنْ يتناقش الزوجان في أيّة قضية بكلّ هدوء، في ظلّ من الاحترام والتقدير، وفي الوقت المناسب للاثنين، وبالجرعة التي تناسب أقلّهما صبرًا على الحوار، وإذا لم يتمّ التوصّل إلى اتّفاق هادئ ومريح بين الزوجين فعلى الزّوجة طاعة زوجها، والكفّ عن مزيد مناقشة، ولا حلّ آخر، وبذلك يتوقّف الجدال وينتهي الشعور بالعناد.

١٤- النّكد

إنّه التّعكير الدّائم لصفو الحياة الزوجية، والتّكدير المستمرّ لشريك الحياة، وفيه يُشنّ نوعٌ من الحروب النفسية القاسية، ترجع قسوتُه إلى أنّ الإنسان الذي مِن المفترض فيه أنْ يكون مصدرًا للرّاحة والسكون أمسى مصدرًا للتعب والألم، وأنّ الذي مِن المنتظر منه سعادة صار نبعَ تعاسة.

إنّها الشخصية النّكدية ـ رجلًا كان أو امرأة ـ هي التي يسيطر عليها الشّعور بالحزن والكآبة، والتركيز على الجانب المُظلم في الحياة، والميل إلى العبوس و»ضرب البوز»، وتكاد هذه الشخصية لا تعرف الابتسام، وكأنّ بها دافعًا خفيًّا لإزالة السّرور من نفسها، ومِن نفوس مَن حولها.

هي الشّخصية التي تكونُ على عكس ما يريد شريك الحياة، وعكس حالتِه المزاجية، فتبخل عليه بالسّعادة ورؤيته مبتسمًا، فإذا كانت حزينة فيجبُ على شريك الحياة أن يكون حزينًا، وإذا كانت سعيدة لا تشركه في سعادتها، وتظهر ما يؤلم وتخفي ما يبهج، تستكثرُ عليه وقتًا يقضيه مع أصدقائه يضاحكهم لأنّها الآن حزينة، أو سويعات يستثمرها لمزاولة هوايته لأنها الآن تريده لها، أو برهاتٍ تفيده في أخذ قسطٍ من راحة واسترخاء لأنّها الآن متعبة،

إنّها تقوم بتجميع الأحداث اليومية السلبية سواء كانت في الماضي أو الحاضر في أيّ زمان ومكان ومن أيّ مصدر، وتوافي شريك الحياة بنشرة أخبارٍ سوداء تحتوي على ملخّص سريع لأهمّ المشاكل والمصائب اليومية بطريقةٍ ماهرة تسرد خلالها الأحداث الكئيبة.

كما قد يكون ميلُ الإنسان للنّكد ما هو إلّا ردّ فعْل لوجود خللٍ ما في العلاقة الزوجية، ويعكس حالةً من فقدان الأمان والحرمان العاطفي والاستقرار النّفسي والشّعور بالقلق تجاه المستقبل، وعدم تلبية الاحتياجات المادية أو النفسية كالرعاية والاهتمام من قبل شريك الحياة.

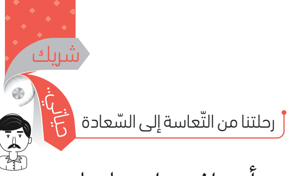
للتخلّص من النّكد والعيش بسلام يجبُ أن تكون هناك البسمةُ والضحكة واللّمسة والهمسة، بسمة تأخذ بها صدقة، وضحكة في براءة الطفلة، ولمسة كلّها لهفة، وهمسة تزيل كلّ جفوة، فالحياة أقصر من أن تصبح بها لحظات نَكِدة.

١٥- الأنانية

الإنسانُ الأناني لا يرى إلّا سعادته وراحته، والوفاء باحتياجاته الأساسية، دونَ النّظر إلى أنّ هناك شريكًا له في الحياة مِن حقّه أن يشعر هو الآخرُ بالسعادة والراحة والوفاء باحتياجاته الضرورية!!

مِن علامات الإنسان الأناني ما يلي:

- الإصرار على نيْل ما يحتاج إليه من شريك حياته غير عابئ بتلبية ما يحتاجه هذا الشريك.
- شعورُه بأنه يقوم بأعمال متعبة ومجهدة أكثر ممّا يقوم به شريك حياته.
- الإصرار على أنْ يفي شريك حياته بما طلبه منه وأراده، بغضّ النظر عن قدراته وإمكانياته.



- سعي أحدِ الزوجين لتحقيق أهدافه على حساب أهداف واحتياجات وقدرات شريك حياته.

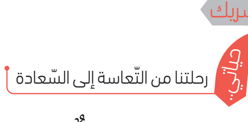
إنّ الأناني يعيش كأنه وحيدٌ، لا يشعر بغيره، ولا يهمّه إلّا نفسه، والنتيجة معروفة، مَن عاش وحده وهو بجوار غيره سيصبح ولوْ بعد حين وحده، ومَن لا يشعر بغيره لنْ يشعر به يومًا ما غيره، ومَن لا يهمّه إلّا نفسه فسيتركه مَن حوله يومًا ما وحيدًا مع نفسه.

١٦- الجشع

الإنسانُ الذي يتّصف بالجشع يكون كثيرَ الطّلبات، صعبَ الإرضاء، لا يعرف شبعًا ولا يعرفه رضا، ولا يريحه شيء، ولا يمتعه شيء، وأيّة خدمة يقدّمها له شريك حياته أو واجبٍ يبذله من أجله يعتبره غيرَ كاف، فالعناية به غير كافية، وتقديره غير كاف، والإنفاق عليه غير كاف، وجرعة الحبّ التي يتلقّاها منه غير كافية، والوقت الذي يمكثه معه غير كاف، والاهتمام الذي يأخذه منه غير كاف، و....، و....، و...

إنّ الذي يحيا بجوار هذا الجشع سوف يشعرُ بالإحباط لعجْزه عن ملاحقة هذا السّيل من الطلبات المتدفّقة، وقد لا يدري أيّ الطرق التي ينبغي أَنْ يسلكها ليرضيه، إنّ الإنسان الجشع لا يعطي شريكَ حياته أيّة فرصة ليلتقط أنفاسه، وبالتالي لن يشعرَ بجواره بطعم الراحة.

قد يصبر شريكُ الحياة على جشع الطّرف الآخر حرصًا على حبّه وجلبًا لودّه، أو لأنّه مازال في احتياج لهذا الشخص الجَشع في أمر ما من أمور حياته، ولكنّ صبره سينفدُ، وعطاؤه سيتضاءل يومًا بعد يوم، إنّ ما يفعله هذا الجشع به سيجعل ألم عدم قضاء احتياجات شريكه الجشع أقلّ وطأة من ألم استنفاده المستمرّ، فينتهي الصبر وينقطع العطاء ويختفي الحب ويختنق الودّ..



إنّها علاقةٌ بين طرفٍ مُجهِد على الدّوام وطرفٍ مُجهَد باستمرار، فكيف ستستمرّ هذه العلاقة؟ وإلى أين ستسير؟

١٧- البخل

قد لا تُنكَب المرأة في صفةٍ من صفاتِ زوجها قدرَ نكْبَتها حينما يبخلُ عليها في الإنفاق المادي والعاطفي، إنّ الزوج البخيل يحجبُ عن زوجته المالَ والوقتَ والعاطفة والحب.

إذا بخلَ الرّجل على زوجته ماديًّا، ولم يتكفّل بقضاء أساسيات حياتها وحياةِ أولادهما أجازت لها الشّريعة أن تأخذ من مالِه بالمعروف، كما أوصى بذلك النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- «هند بنت عتبة» زوجة «أبي سفيان» عندما اشتكت إلى النبي- صلّى الله عليه وسلّم- بخلَه عليها، فقال لها: «خذي من مالِه بالمعروف ما يكْفيك ويكفي بنيك»، رواه الشيخان.

إنّ المرأة تحبّ الرّجل الذي يفيض عليها من مالِه، ويغدق عليها من عواطفه، فكان الكرمُ مِن أحبّ صفات الرجل إلى زوجته.

كما أنّ الرّجل يحبّ زوجته التي تكرمُه في نفسها، وألّا تبخل عليه عندما يريدها، يحبّ زوجته التي تكرم مَن كان في ضيافتِه من أقربائه وأصدقائه سواء أولئك الذين تحبّهم أو أولئك الذين تبغضهم.

١٨- الابتزاز

إنّ العلاقة الزّوجية المبنيّة على الابتزاز هي علاقةٌ ملؤها الاحتيال والكيْد، هي كالعلاقة التّطفلية التي فيها طرفٌ مستفيد دومًا، وطرفٌ آخر متضرّر باستمرار، طرفٌ تسمنه العلاقة وطرفٌ تنحفه هذه العلاقة، فسيأتي

وقتٌ على هذا العائل إمّا أن يموتَ بعدما يهزل ويُسْتنزف أو أنْ ينتفضَ ويثور ويرفض هذا الطّفيل، ويفرّ منه أو يقضي عليه، لا يفلح زواجٌ أبدًا بين طرفيْن أحدهما يلعب دورَ الطّفيل والآخر يؤدّي دورَ العائل طوال الوقت.

والابتزازُ على نوعين:

أـ مادي: وهو التّحايل للحصول على أكبر نفع ماديّ من شريك الحياة، قد تزيد الزّوجة في مطالبها من زوجها؛ لأنّها بطَبْعِها مسْرِفة أو فوضويّة أو سفيهة، أو لها قائمة أوجهٍ وأولويات في الإنفاق تختلفَ عن تلك التي لزوجها، أو حتى متخوّفة من أنْ يذهب بعضٌ من مال زوجها إلى أمّه أو إخوته، أو كي لا يبقى لديْه فضلُ مال يتزوّج به من أخرى. إنّ استنزاف مال الزّوج بالإسراف أو سوء الإدارة أو السّفاهة أو لمحاولة استنقاذه من الآخرين بإيجاد منافذَ للإنْفاق؛ يبدّد مِن جهده ويضيع تعبه ويتلفُ أعصابه.

وهو قد يضغطُ عليها بشتّى صنوف الضّغوط لتساهم بنصيب أكبر من دخلها للإنفاق على البيت وقضاء احتياجات الأولاد، فيكلّفها ـ على غير فطرتها ـ بواجباتٍ لا تناسب أنوثتها ونفقاتٍ ليست من مسئولياتها.

ب ـ نفسي: هو التّحايل للحصول على دعم نفسيّ عاطفي من شريك الحياة. قد تلجأ المرأة مستغلّةً حبّ زوجها لها إلى التّمارض والمكر والكيد لتنالَ من زوجها جلّ ما تريد من عواطفَ ومشاعر ورعاية واهتمام بجَرْعات أكبر ممّا تناله، فهي تتمارَض لتجذبَه إليها، وتمكرُ لتبعده عن أمّه وأبيه وبقية أهله الذين يأكلون منه وقتًا ومالًا، وتكيد لتصرفَه عمّن يصاحبهم ويمارس هواياتِه معهم، دون أنْ تضع في اعتبارها أنّ ذلك قد يحدث عليه ضغوطًا قاسية.

كما قد يستغلّ الرجل حبَّ زوجته الجارف له لينالَ منها ما يشتهي، وذلك حينما يسلك الأساليب الناعمة من رومانسية موقوتة أو بالأساليب الخشنة كالتّهديد أو الوعيد أو التّمارض، دون أن يعبأ بما يحدثه ذلك لها من أذى.



١٩- المَنّ

لا يجبُ على الرّجل أن يمنّ على زوجته بالإنفاق عليها، أو يذكّرها دومًا بفضْله عليها حينما صرف من ماله على طعامها وشرابِها وكسائها وصحّتها، أو عندما احتواها في موقفٍ عصيب، فتلك كلّها من حقوقها عليه. إنّ المنّان يُذْهِب أجرَ ما صنع، ويجعل زوجته تفكّر كثيرًا قبل أن تطلبَ منه حاجتها أو دعمها، فتصير في حالةٍ يرثى لها، أتطلب ما تريد على هونٍ أم تسكت وتدسّ احتياجاتها في التراب؟!

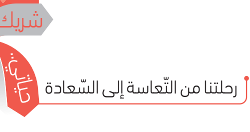
كما لا ينبغي على المرأة أن تمنّ على زوجها إذا قامت بخدمةٍ يريدها، أو أسدتْ إليه معروفًا، أو أنفقت عليه وعلى بيته من مالها.

وقد يلجأ الزّوجان ـ أو أحدهما ـ للمَنّ كوسيلةٍ لجلب الشّكر والمديح والتشجيع، أو للتعبير عن عدم تلقّي ردّ الفعل المرجو أو التقدير اللازم عقب أداء خدمةٍ أو تقديم واجبٍ أو بذل فضل أو...، أو...، فليس كلّ المنّ مَبْعثه عَوارٌ في الأخلاق بل قد يكون مجرّد ردّة فعل لا أكثر نتيجة عدم الحصول على المراد.

إنّ الحياة الزوجية قائمة على الفضل بين الزّوجين، وأنّه كلّما زاد الفضل زاد القرب والودّ، وكلّما خفتَ الفضل وزحف المنّ خيّم على البيت الجفاء.

٢٠- البَرْمجةُ الذّاتية السّلبية

إنّ إكثار وتكرارَ الإنسان الحديث عن أفكاره وتصوّراته السلبية الخاصّة بشريك حياته بينه وبين نفسه أو جهرًا أمام شريك حياته أو أمام الآخرين؛ قد يُحدث لديه برمجةً سلبيّة تتسبّب في تحوّل هذه الأفكار والتصورات مع



الوقت إلى قناعات راسخةٍ تفسد ما يدور بين الإنسان وشريك حياته من أقوالٍ وما يحدث بينهما من أفعال وما يربطهما من مشاعر، فينغلق الطّريقُ أمام الشعور بالسّعادة والراحة والإشباع، ويختفي الوئام وينزوي الاحترام ويزداد الشقاق.

إنّها دومًا تُكثر من ذكْر وتكرار أنّ زوجها ضعيفُ الإرادة أو واهنُ العزيمة، أو لا يفي بواجباته، أو ليس رجلًا كما تريد أو....، أو...، إنّ هذا التكرار المستمرّ طوال الوقت سيرسّخ عندها أنّه كذلك بالفعل، رغم أنّ الحقيقة المجردة قد لا تكون كذلك، أو أنّها ليست بهذه الدّرجة من السوء، ممّا يجعلها تعامله وكأنّ هذه الصفات المرْذولة حقائقُ واقعيةٌ ثابتة، حتى إذا بدت بوادرُ إصلاح، وتغيّرت بعضٌ من أقواله وأفعاله السّلبية للأفضل ساورتْها الشّكوك والظنون، وبالتالي حرمت نفسها من حتى الاستمتاع بهذا القدر الضئيل من التّغير الإيجابي.

وأنّه ما فتئ يذكرُ أنّ زوجته لا تجيد التصرّف في غيابه، ولا تتقن فنونَ تربية الأولاد، ولا تحسن معاملة والدته، ولا تهتمّ بنفسها، و...، و...، حتّى ترسّخت في ذهنه هذه الصّفات وتجذّرت، فإذا ما أحدثت زوجته تغيرًا للأفضل فلن يشعر به وكأنّ هذا التغير لم يُغنِ شيئًا.

وعلى النّقيض من ذلك كان التّركيزُ على إيجابيات شريك الحياة يولّد القناعة، وينقل الحياة إلى مستوى أفضل وأبقى، ويوفّر أجواءً أجمل وأرقى.

٢١- التّحسّب

المرأةُ بطبيعتها حسّاسة لكلّ ما يهدّد حياتها الزّوجية بالخطر، فهي حسّاسة لكلّ مَن تقترب من زوجها بطريقةٍ أنثوية خشيةً من دخول امرأة أخرى في

حياة زوجها، أو حسّاسة ممّن يحاول استمالةَ أولادها تجاهه، وكثيرًا ما تترجم هذه الحساسية بمزيد من القلق، حتّى لو كانت هذه التّهديدات مجرّد احتمال بعيدٍ يصعب أن يتحقّق، أو استقراءٍ مبنيّ على أحاسيس وفقط، أو على شواهدَ لها عددٌ من التّأويلات الإيجابية والسلبية، إنّها تخشى من حياةٍ زوجية تعِسَة بها الإهانة والتحقير والضرب، وتتحسّب من حدوث الطّلاق وهدم البيت وتفكيك أسرتها وتشتيت صغارها، تتحسّب من فشل صغارها في التعليم أو من تعلمهم التّدخين، أو مِن تعاطي المخدرات، أو من مرافقة أفراد من الجنسٍ الآخر، تتحسّب من التعرّض إلى أيّ عَوَز نفسي لا تستطيع تحمّله....، إلخ.

والرّجل وإنْ كان يبدو أقلّ حساسية من المرأة إلّا أنّه يتحسّب من التعرّض إلى أيّ ضائقة مالية لا يستطيع التخلص منها، يتحسّب من وقوع فشلٍ في تربية أولاده وتعليمهم...، إلخ.

إنّ التحسّب- غالبًا- ما سيستجلب ما يتمّ التحسّب منه، فالتخوّف من أمر سيجلبه، ولذلك كان التخوّف من تعدّد الزوجات سيأتي به، والتخوّف من الطلاق سيجلبه، والتخوّف من تعلّم الطفل التّدخين سيجعله يدخن، والتّخوف من مرافقة البنت لشاب أجنبيّ عنها سيتمّ هذه الرفقة، والتخوّف من الفقر سيستدعيه، والتخوّف من الفشل سيأتي به؛ لماذا؟..

لأنّ التحسّب والتخوّف من بعض الأمور سيجعلان الإنسان يمارس ضغوطًا على نفسه وعلى مَن حوله، ويؤدّي أساليبَ بها محاذيرُ كثيرة حتّى لا يحدث ما يتحسّب منه ويتخوّف، فإذا بهذه الضّغوط وهذه الأساليب ذات المحاذير الكثيرة هي التي تدفع لحدوث ما يتحسّب منه ويتخوّف.

- قد تلجأ المرأة حتى تستأثر بزوجها خالصًا لها وحدها وخوفًا من زواجِه بأخرى؛ إلى حصاره في حركته والتفتيش الدّائم في جيوبه ومحمولِه

وحاسوبه الشّخصي، والتّضييق عليه في كلماته وأفعاله، وإثقال كاهله بالنّفقات، وتقييده بكثرة الأطفال وطلباتهم التي لا تنتهي، إنّ هذا الحصار والتّضييق والإثقال والتّقييد من المُمكن أن يدفعوه إلى الفرار من البيتِ الذي أنهكَه بالفعل إنهاكًا مزمنًا، باحثًا عن امرأةٍ أخرى يكمل معها بقية حياته، ويؤسّس بيتًا جديدًا خال من هذه المنهكات المريرة.

- لأنّه يحبّها حبًّا جمًّا فكان يغير عليها غيرةً شديدة، ويخشى عليها من خلطتها بالرّجال، فهو يشكّ دومًا في نواياهم، فضيّق عليها الخناق في الخروج من المنزل فلا تخرج من بيتها إلّا معه، ومنعها من مزاولة أنشطة خيرية تحبّها، وحدّ من صلتها للرّحم، وقلّص من زياراتها الاجتماعية سنوات طوال لدرجة العدم، وحاصرها في تواصلاتها وكلماتها حتى اختنق الحبّ وتبخّر الودّ، وحلّ الضيق والبُغض المزمنين، فكرهتْه كرهًا دفعها لفراقه.

٢٢- وجودُ اضطراباتٍ في الشخصية

إنّ التّربية الصحيحة هي التي تجعل الإنسان سويًّا، والإنسانُ المحروم من التربية الصحيحة تحت أيّ سبب سيخرج ـ في كثيرٍ من الأحيان ـ إلى المجتمع وهو مُثقلٌ بالعَوَار في سلوكه، أو اضطرابات في شخصيته.

وفي العادة لا تظهر اضطراباتُ الشخصية بالإنسان ظهورًا واضحًا عند كثيرٍ من الناس إلّا بالعيش معه معيشة قريبة لصيقة، فتبدو ممّن لديه اضطرابٌ في الشخصية أقوال وسلوكيات وفلسفات وقناعات غريبة غير منطقية، أو تتّسم بالشك القاتل، أو بالمخادعة أو بالمبالغة اللامعقولة...، إلخ.

والحقيقة أنّ الحياة مع مَن لديه اضطراباتٌ في شخصيّته صعبة للغاية، وقد تتدنّى أحيانًا لتكون مستحيلة، ومِن أشهر هذه الاضطرابات ما يلي:



١- الشّخصيّة الوسواسية (المدقّق – العنيد – البخيل):

يلتزم الشّخص الوسواسيّ التزامًا صارمًا بالدقّة الشديدة والنّظام الحرْفي في كلّ شيء، يهتمّ بالتفاصيل الصغيرة ولا يدع أي شيء دون مناقشته وبحثِه بشكل مرهق، عنيد لا يتنازل عن شيء، ولا يتسامح في شيء، حريص ويصل حرصُه أحيانًا لدرجة البخل.

وعلاماته فى فترة الخطوبة أنّه يسأل عن كلّ التفاصيل، يعمل لكلّ شيء ألفَ حساب، ممسكٌ جدًّا فى الإنفاق، وفي الهدايا، مشغولٌ بحساب كلّ شيء. وبُخلُ الوسواسيّ لا يتوقّف عند المال فقط، بل يمتدّ بخلُه ليشمل النّواحي العاطفية أيضًا، فهو لا يعبّر عن مشاعره، ولا يدثّر شريك حياته بعواطفه، فالحياة عنده- ومعه- جافّة وعقلانيّة ومحسوبة بدقة.

والوسواسيّ - على الرغم من صفاته السّابقة - إنسانٌ منظّم، دقيق، ذو ضمير حيّ، يحاسبه على كلّ صغيرة وكبيرة، لديه شعورٌ عال بالمسئولية، يعتني بعمله عنايةً فائقة، وينجح فيه نجاحًا واضحًا لتفانيه فيه، يهتمّ بقضاء الاحتياجات الأساسية والمادية لأسرته في حدود رؤيته لهذه الاحتياجات، حريصٌ على استمرارية الأسرة وبقائها لأنّه لا يميل للتّغيير كثيرًا، لا يهتمّ بإقامةِ علاقات عاطفية خارج إطار الزّواج، فهو زوجٌ محترم ومسئول، على الرّغم من بخله وجفاف عواطفه.

يجب التّفرقة بين مريض الوسواس القهريّ والإنسان ذي الشخصية الوسواسية؛ فمريض الوسواس كان شخصًا طبيعيًّا ثمّ طرأ عليه المرض وتدهْورت حالتُه بشكل أعاقَ حياته الاجتماعية والعملية، وهو يستجيبُ بنجاح للعلاج بالعقاقير حتى يشفى تمامًا بإذن الله، أمّا الشخصية الوسواسية

فهي صفةٌ مزمنة ملازمة للشّخص، ظلّت تتنامى معه حتّى ترسخت بعدما بلغ من العمر ١٨ سنة، وأمستْ طبيعة شخصيّةً أقرب إلى نهجِ حياةٍ لا يكاد يجدي معها عقاقير.

٢- الشّخصية الاعتمادية (ابن أمّه أو بنت أمّها):

هذه الشّخصية لا تستطيع اتّخاذ قرار أو عمل أيّ شيء بمفردها، بل تحتاج دائمًا للآخرين في كلّ شيء، فليست لديها القدرة على المبادرة، أو القدرة على التنفيذ؛ وإنّما هي تعمل فقط بتوجيهٍ من الآخرين، وأحيانًا لا تعمل على الإطلاق، تنتظر من الآخرين العونَ والمساندة طوالَ الوقت دون بذل مجهودٍ يُذْكر، وتهتمّ بمعرفة الناس الذين من الممكن أن يقدموا لها المساعدات حالَ الاحتياج إليهم.

وهو إنْ كان شابًّا نجده يصطحب أمّه لتخطب له، وتتحدّث نيابة عنه طوال الوقت، وفي زياراته التالية لا يستطيع البتّ في أي شيء دون الرجوع لأمّه أو أبيه أو أخيه الأكبر، فلا بدّ من وجود أحد في حياته يعتمد عليه، وإن كانت فتاةً نجد أمّها تحرّكها كما تشاء، وتسيطر على علاقتها بخطيبها أو زوجها فتتدخّل في كلّ شيء بحياتها، وهي معها مسلوبةُ الإرادة فاقدة الرّأي.

وهذا الشّخص في حالة كوْنه زوجًا يحتاج مِن زوجته أن تقوم بكلّ شيء، وتتحمّل عنه مسئولية الأسرة، ويصبح هو في خلفيّة الصورة دائمًا، وهذا بالطبع يشكّل عبئًا ثقيلًا على زوجته، إضافةً إلى إحساسها المؤلم بضعف شخصية زوجها وسلبيته، ومع هذا نجد أنّ هذا الزوج بهذه الشخصية مطلوبٌ جدًّا من المرأة المسترجلة قويّة الشخصية؛ لأنّها تميل إلى أن تكون هي السيّد في العلاقة الزوجية.

أمّا إنْ كانت امرأة فتراها تذهب وتجيء إلى بيت أمّها، وتحادثها تليفونيًّا طويلًا، وتستشيرها في أدقّ تفاصيل حياتها ليشعرَ زوجها أنّه تزوّج من حماته،

وأنّه يعيش مع حماته، وأنّه يرى بصماتِ حماته على لسان زوجته وفكْرها وذهنها وحركتها.

٣- الشّخصية الاكتئابية (الحزين المهزوم اليائس):

هي شخصية كئيبةٌ لا ترى في الحياة إلّا الآلام والدّموع والبؤسَ والشقاءَ والمشاكل، وترى نفسها سيئة، والحياة سيئة، والمستقبل مظلم.

صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية نجده دائمًا ما يتحدّث عن المصاعب والمشكلات والمعوّقات والمآسي، سريع اليأس، غيرُ قادر على المبادرة أو المثابرة، بل ينهزم سريعًا أمام أيّة عقبات.

وتنتقل هذه المشاعر الكئيبة اليائسة إلى مَن يتعامل معه، فيشعر مَن معه بهذا البؤس واليأس، ويعيشان معًا في جوّ من الكآبة والهزيمةِ والتشاؤم. وفي هذا المناخ لا نتوقّع إنجازات كبيرة ذات قيمة؛ لأنّ الشخصية الاكتئابية تعيش حالةً من العدمية التي لا تسمح كثيرًا بالنجاح والتميز.

٤- الشّخصية النّوابية (تقلّبات المزاج الدّورية):

يظلّ صاحبُ هذه الشخصية لعدّة أيام أو أسابيع، أو حتى شهور، مرحًا منطلقًا نشيطًا ومليئًا بالحيوية والأفكار، ثمّ يتبع ذلك بفترةٍ ينقلب فيها حزينًا منطويًا يائسًا ومتردّدًا... وهكذا تستمرّ حياته بين تقلبات المرح والاكتئاب.

هذه الشخصية منتشرةٌ بين المبدعين والمفكّرين، وهي شخصية ثريّة وساحرة، ومتعدّدة الألوان والمستويات، ولكنها تحتاجُ مِن الطّرف الآخر جهدًا كبيرًا لمواكبة هذه التّغيرات النوابية المتردّدة من النقيض إلى النقيض.



٥- الشّخصية الفصاميّة (غريبُ الأطوار والأفكار):

لصاحب (أو صاحبة) هذه الشخصية ملابسُ وأفكارٌ وكلمات وسلوكيات غريبة غير متوافقة مع المجتمع الذي يعيش فيه، ولهذا يصفُه الناس بأنّه غريب الأطوار، فنجده مثلًا يهتمّ بشيء هامشي، ويعتبرُه قضيّة محورية مثل ثقب الأوزون أو مثلث برمودا أو أنواع معيّنة من الكائنات، أو الأطباق الطائرة، أو الظواهر الخارقة للعادة، وكثيرًا ما ينسب أغلب ما يدور من حوله إلى قوًى خفيّة كالسّحر والجنّ والكائنات الفضائية.

من السهل التعرّف عليه من خلال آرائه الغريبة واهتماماته الهامشية، وملابسه وكلامه وجلسته، وميله إلى العزلة حيث يعيش عالمًا خاصًّا به، يشكّله من أفكاره وتخيّلاته الذاتية، ومع هذا لا يفقدُ صلته تمامًا بالواقع؛ فهو يتّصل به على قدر حاجته الضّرورية منه.

٦- الشّخصية الاضطهادية البارنوية (الشّكاك المتعالي):

محورُ هذه الشخصية الشكّ في كلّ الناس، وسوء الظنّ بهم، وتوقّع العداء والإيذاء منهم، فكلّ الناس في نظر هذه الشّخصية أشرارٌ متآمرون، إنّه شخص لا يعرف الحبّ أو الرحمة أو التسامح، دائمُ الشّعور بالإضطهاد والخيانة والغدر ممّن حوله، وهذا الشّعور يولّد لديه كراهيةً وميولًا عدوانية ناحية كلّ مَن يتعامل معهم، ويتّخذ عدوانه صورًا كثيرة منها النقد اللّاذع والمستمرّ للآخرين، أو السّخرية الجارحة منهم، وفي نفس الوقت شديدُ الحساسية لأيّ أمر يخصّه، وكذا تجاه أيّ نقد يوجّه إليه من أحدٍ، فهو ـ فى نظر نفسه ـ لا يخطئ أبدًا.

إنّه لا يغيّر رأيه بالحوار أو النقاش، فلديه ثوابتُ لا تتغير، ولذلك فالكلامُ معه مُجهد للغاية ولا طائل من ورائه، وهو يسيئ تأويل كلّ كلمة، ويبحث فيها بين ثنايا الكلمات والعبارات عن النوايا السيئة.

هذا الشخص دائمُ الاتّهام لغيره، ومهْما حاول الطّرف الآخر إثبات براءته فلن ينجح، بل سيزيد من شكوكه وسوء ظنّه، ويردّ بقسوة على مَن يهاجمه، وأنّ محاولات التودّد والتقرب من الآخرين تجاهه تقلقه، وتزيد من ريبته وتفاقم شكوكه.

إنّه يسعى لامتلاكِ القوّة كامتلاك المال أو امتلاك المناصب أو غيرها، فإذا استقرّت أوضاعه المالية والاجتماعية ووصل الى ما يُريده فإنّه يشعر بالاستعلاء والفخر والعظمة، ويتعالى على الآخرين، وينظر إليهم باحتقار، ولذا كانت علاقاته الاجتماعية محدودة.

إذا انتاب الشكّ رجلًا فسنجده يحاصر زوجته بالأسئلة المريبة، ويطلب منها أن تقسم على صحّة ما تقول، وغالبًا لن يصدّقها، فنسمعه يسألها كثيرًا وكأنّه محقّق أو مخبر: «أين ذهبت؟ مع مَن تكلّمت؟ ماذا تقصدين بكلامك؟ أقسمي بالله أنك لم تفعلي كذا وكذا».. ويجعلها دائمًا في موقفِ المتّهمة المدافعة عن نفسها، ومهْما حاولت إثبات براءتها فلن تنجح، بل سيزيد من شكوكه وريْبه، ينقّب وراءها ويتجسّس على مكالماتها، ويتعقّب سجلّ محادثاتها بالمحمول وتواصلاتها بالإنترنت، ويقلّص من نزولها من المنزل إلى درجةٍ كبيرة.

وإذا استبدّ الشكّ بامرأة فسوفَ تحاصر زوجها في كلّ حركاته وسكناته ونظراته وخلجات نفسه، وتشكّك في تصرفاته وأقواله ومشاعره، وتفسّرها على غير وجهها الصّحيح، وتتعقّب أخباره، وتفتّش دومًا في ملابسه وبين أوراقه وأدراج مكتبه وباقي أغراضه، وتعبثُ بهاتفه المحمول وحاسوبه

الآلي الشّخصي، وتتعقّب أخباره، وتتنصّت على مكالماته، وتنقّب في رسائله، وتتجسّس على تواصلاته بشتّى الوسائل الحديثة منها والقديمة؛ أملًا في الحصول على أدلّة تدينه بالخيانة وتثبت بها شكوكها وظنونها، فتشكّ فيه إذا التفت فرأى امرأة تسير، وتشكّ فيه إذا رفع سماعة الهاتف فخفض صوته، وتشكّ فيه إذا غاب لسفَر، وتشكّ فيه إذا تشاغل عنها فى بعض الأحيان، وتترك نفسَها أسيرةَ تصوّرات عجيبة وزوجُها في نظرها كذاب ومخادع، فتضعُه موضع المتّهم على أيّة حال لا ينفعه برهانُ براءة ولا دليل نزاهة، فتحيل حياتها وحياته وحياة مَن حولها جحيمًا لا يطاق.

والسّمات البارانوية ربّما نجدها بشكل ما فى العديد من العوانس والمطلّقين والمطلّقات، وفي الأشخاص ذوي الميول المتطرفة.

والحياة الزّوجية مع هذه الشخصية بهذه المواصفات تكون أمرًا صعبًا للغاية، وفي أحيان كثيرة تكون مستحيلة، فلن يجد الطّرف الآخر أيّ فرصة معها للسّعادة، فالوقت كلّه مُستنزف في تحقيقاتٍ واتهامات ودفاعاتٍ وطلبِ دلائل براءة ودلائل وفاء.... إلخ، ويا ليت أيّ من ذلك يصلح.

٧- الشّخصية النّرجسية (الطاووس المتفرّد):

النّرجسيّ شخصٌ مُعجَب بنفسه أشدّ الإعجاب، يرى نفسه أجملَ وأذكى وأرْوع البشر، يعتقد أنّه شخصية استثنائية تتفرّد بكلّ صفات التفوّق، وبالتّالي من حقّه أن يكون محورَ الكون، والكلّ ينبغي أن يدور حوله يؤدّون له واجبات الولاء والطاعة ويهيّئون له فرصَ النّجاح والتفوّق، ويمتدحون صفاته الفريدة.

صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشّخصية شديدُ الاهتمام بمظهره وبصحّته وبشياكته، يتحدّث عن نفسه كثيرًا وعن إنجازاته وطموحاته، مغرورٌ الى

درجة كبيرة، لا يرى أحدًا بجواره، يستخدم الآخرين لصالحه وخدمة أهدافه ثمّ يلقي بهم بعد ذلك في سلّة المهملات، ليس لديه مساحةٌ للحبّ، فهو لا يحبّ إلّا نفسه، وإذا اضطرّ للتظاهر بالحبّ فإنّ حبّه يخلو من أيّ عمق وأي دفء، وهو حسود، ويظنّ أنّ الآخرين يحسدونه دائمًا، متَعَجْرف في سلوكه وكلامه، ويميل كثيرًا للتباهي والشّهرة والظهور، كما ينزع إلى التهكّم والسّخرية من الآخرين ليحطّ من شأنهم ويُعْلي من شأن نفسه، كما يهتمّ بمظهر الأشياء أكثر من اهتمامه بجوهرها.

ربّما يستطيع مِن خلال تقديره العالي لذاته أن يحقّق نجاحات شكلية ظاهرية تدعم لديه شعوره بالتميز، ولكن الحياة معه تكون غاية فى الصعوبة؛ فهو غيرُ قادر على منْح شريك حياته أيّ قدرٍ من الحبّ، بل هو يستغلّ هذا الشريك لصعود نجمه وتألقه، ثمّ يلقيه بعد ذلك جانبًا إذا وجد أنّه استنفدَ أغراضه.

٨- الشّخصية الحدّيّة (المتقلّب فى مشاعره وعلاقاته وقراراته وعمله):

صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية شديدُ التقلّب بين مشاعره المختلفة وبشكل عنيف، وفي لحظات قصيرة، يغضب بسرعة.. ويهدأ بسرعة.. ويفرح بسرعة.. ويحزن بسرعة.

تتميّز هذه الشخصية باضطرابِ هويّتها وصورتها عن ذاتها، فهي لا تعرف مَن تكون.. أو ماذا تريد.. لديها إحساس بالفراغ والملل، تغيّر من اهتماماتها وخططها بشكل مضطرب، اندفاعيّة، ولا تتحكّم في نفسها عندما لا تعطَى الاهتمام الذي تريد، تنتهج سلوكياتٍ مؤذيةً لنفسها مثل السّلوك الجنسي غير المقبول أو تجربة المواد الإدمانية أو الشّره الطعامي أو القيادة المتهوّرة للسيارة، أو...، أو...، تتّسم بعدم الاتّزان الانفعالي، ولها ردودُ فعْل انفعالية شديدة، وتبدي غضبًا شديدًا لا يتناسب مع أسبابه، ولا تتحكّم

بسوراته، أو قد تكون غاضبة باستمرار، وتشعر بالخواء الداخلي المزمن، والخوف الشديد من أن تكون منبوذة متروكة فتسعى سعيًا محمومًا لتجنّب ذلك، وظهور أفكار شكّ عابرة مرتبطة بضغوط نفسية أو حالات من التفكك المؤقّت للذاكرة أو الانفعالات أو الشخصية.

هذه الشخصية تدمّر أشياء كثيرة مهمّة فى حياتها أثناء لحظاتِ غضبها، ولذلك يمكن أن تخسر صديقًا عزيزًا أو زوجًا مخلصًا أو عملًا مهمًّا في أيّ وقت، ولأتْفه الأسباب، وهذا يجعل علاقاتِها مع الآخرين لا تستمرّ كثيرًا، وتراها تنتقل من عمل لآخرَ، ولا تستقرّ على أمر.

وصاحبُ ـ أو صاحبة ـ هذه الشخصية يمرّ كثيرًا بفتراتِ اكتئاب، ويمكن أن تراوده أفكارٌ انتحارية أو إلحاق الأذى بجسمه، وبعضهم يلجأ لتعاطي المخدّرات في محاولةٍ للسيطرة على تقلّباته الانفعالية، واضطراب علاقاته الإنسانية واختلال مسارات عمله.

٩- الشّخصية السّيكوباتيّة (النّصّاب المُحتال المخادع الساحر):

يتّصف السّيكوباتي بأنه كذّاب، مخادع، مُحتال، نصّاب، عذب الحديث، يبذل وعودًا كثيرة، ولا يفي بأيّ منها، لا يحترم القوانين أو الأعراف أو التقاليد، وليس لديه ولاءٌ لأحد، فكلّ ولائه لملذّاته وشهواته، ويجيدُ تسخير الجميع للاستفادة منهم واستغلالهم، وأحيانًا ابتزازهم.

لا يتعلّم مِن أخطائه، ولا يشعر بالذّنب تجاه أحد، ولا يعرف الحبّ، ولكنّه بارع فى الإيقاع بضحاياه حيث يوهمهم به، ويُغريهم بالوعود الزّائفة، ويعرف ضعفهم ويستغلّهم، عند مقابلته ربّما تنبهر بلطفه وقدرتِه على استيعاب مَن يحادثه وبمرونته في التّعامل وشهامته الظّاهرية المؤقّتة ووعوده البرّاقة، ولكن حين التعامل معه لفترةٍ كافية أو سؤال أحد المقرّبين منه عن

تاريخه تجدُ حياته شديدةَ الاضطراب، ومليئةً بتجارب الفشل والتخبّط والأفعال اللاأخلاقية، وربّما يكون قد تعرّض للفصل من دراسته، أو من عمله، أو دخل السّجن بسبب قضايا نصبٍ أو احتيال أو انتحال شخصيات أو تعاطي مخدّرات.

وهذا النّموذج يعرفه أصحاب الخبرة في الحياة، ولكن تنخدعُ به الفتيات الصّغيرات، فهو ينصب الفخّ لفتاة ـ قد تكون قليلة الحظّ من الجَمال ـ ويوهمها بالحبّ، ومِن خلال هذا الوهْم يبتزّها ويستنزفها ماديًّا أو جنسيًّا، ويدفعها للصّراع مع أهلها لإرغامهم على الموافقة على الزّواج منه، وإذا حاولوا أن ينصحوها بالابتعاد عنه لما يعرفونه عنه من انحرافٍ تزداد هي عنادًا وتمسّكًا به، وإذا وافقَ الأهل مضطرّين تحت ضغط ابنتهم المخدوعة وإلحاحها وتمسّكها به؛ فإنه سرعان ما يتهرّب منها ويغدرُ بها، وإذا حدث وتزوّجها فإنه يذيقُها الأمرّيْن بسبب نزَواته وانحرافاته وفشله وعدم تقديره للمسئولية.

١٠- الشّخصية الهستيريّة (الدّرامية الاستعراضيّة الزّائفة):

هذه الشّخصية نجدها أكثرَ بين الفتيات والنساء، وهي شخصيّة مثيرة للجدل، ومحيّرة، وتشكّل هي والشخصية السّيكوباتية أهمّ الشّخصيات التي كتبتْ فيهنّ الأشعار، وعنهنّ الرّوايات، فهي شخصيّة تضع مَن يتعامل معها في حيرة وتناقض.

تراها- غالبًا- شخصيّة جميلة أو جذّابة، تغري بالحبّ ولا تعطيه، تغوي ولا تشبع، تعدُ ولا تفي، تظهر حرارة عاطفية شديدة في حين أنّها باردة، تبدي الفتاة إغواءً جنسيًّا يهتزّ له الرجال، في حين أنّها في الحقيقة تعاني من البرود الجنسي، وتكره العلاقة الجنسية وتنفرُ منها.

تعرفها مِن اهتمامها المفرط بمظهرها، فهي تلبس ملابسَ ذات ألوان زاهية صارخة تجذب الأنظار، يفتقر كلامها للتّفاصيل والدقّة، وتتحدّث بشكل درامي وكأنّها على المسرح، وتبالغ في كلّ شيء لتجذب اهتمام مستمعيها، ولها علاقات متعدّدة، تبدو حميميّة في ظاهرها ولكنّها على غير حقيقتها، قادرة على التلويح بالحبّ وبالصّداقة، ولكنّها غير قادرة على أيّ منها.

وفي بدايات العلاقة تراها شديدةَ الحماس، وترفع الطّرف الآخر في السّماء، ولكن ـ وبعد وقت قصير ـ يفترُ حماسها وتنطفئ عواطفُها الوقتيّة الزّائفة، وتهبط بمّن أحبّته إلى الأرض.

وهي أنانية لا تهتمّ إلّا بنفسها، ولا تستطيع الاهتمامَ بزوجها أو بيتها أو أبنائها، لذلك فهي زوجة فاشلة وأمّ فاشلة، تقضي معظمَ الوقت في شراء الملابس والمجوهرات والإكسسوارات، وفي التزيّن ورؤية نفسها في المرآة، واستعراض كلّ هذا في المناسبات والحفلات.

إنّها شخصية هشّة غيرُ ناصجة، عندما تواجه أيّ ضغط خارجي لا تتحمّله فيحدث لها أعراض هستيرية (إغماء، تشنج، شلل هستيري، فقد النّطق، أو ذلك) بهدف جذبِ التّعاطف والاهتمام ممّن حولها، وإذا لم ينفع ذلك فهي تهدّد بالانتحار بطريقة درامية، وربّما تحاوله بعد أن تكتب خطابًا رومانسيًّا أو تهديديًّا.

يتعلّق بها الكثيرون لجَمالها وشياكتها، وأحيانًا لجاذبيتها وإغرائها، ولأنّها غير قادرة على حبّ حقيقي، وكوْنها متقلبة وسطحيّة وخادعة ومخدوعة في نفس الوقت؛ تصير الحياة الزوجية معها في غاية الصعوبة.

١١- الشّخصية الإدمانيّة (الباحث عن اللذّة):

هذا الشّخص وكأنّ لديه قرونَ استشعار يبحث بها عن اللذّة في أيّ

مكان، وفي أيّ شيء، وحين أيّ موقف، وعند أيّ فرصة، فالحصول على اللذّة هو الدّافع الأساسي لسلوكه وحركته، ولذلك نراه يجرّب سائر أنواع العلاقات العاطفية والجنسية بحثًا عن تلك الأكثر لذّة والأكثر متعة، متعلقًا بكثيرٍ من المشروبات أو المأكولات، متيّمًا بالتدخين وبفنجان القهوة وبسيجارة الحشيش أو البانجو، أو أيّ مادّة إدمانية أخرى، وكثير التعاطي للمهدّئات والمسكّنات والمنشّطات، ويجرب سائر أنواع المخدّرات والمسكرات، ويفاضل بينها وينشغل بها، فهو أوّلًا وأخيرًا ذوّاقة للأشياء وللجنس الآخر، وربّما لذات الجنس، ولا يعرف الوفاء لأيّ شيء، ولا لأي شخص، والمرأة بالنسبة له لا تعدو كوْنها موضوعًا جنسيًّا استمتاعيًّا مثل أيّ شي يستمتع به ثمّ يلقيه بعيدًا بعد فراغه منها واستهلاكه لها، ولا يشعرُ بالمسئولية الدائمة تجاه أحد، حياته شديدة التقلب شديدة الاضطراب، وبالتّالي لا تدومُ معه حياة مستقرة.

وهو رغم ذلك عذبُ الحديث وجذّاب بالنسبة للجنس الآخر، ويوهمه بأنّه عازم على ترك إدمانه، وأنّ الحبّ هو الدواء العظيم له، وتنخدع الضّحية وتعتقد أنّها ستقوم بدورٍ سحريّ فى علاج وهداية هذا الشابّ الطيب الذي ظلمته الحياة وظلمه النّاس ولم يتفهّموه، وتصرّ على إتمام الخطوبة والزّواج منه رغم معارضة أهلها لما يعرفونه عنه من سلوك إدماني، وبعد ذلك تحدثُ الكارثة وتكتشف المخدوعةُ أنّ الإدمان في دمِه وليس في يده، وأنّ ترك الإدمان هو وهْمٌ باللسان يُقال، ولن يكون واقعًا تترجمه الأفعال.

وعلاماتُ هذه الشّخصية غير ثابتة ولا واضحة، ولكنْ هناك مؤشرات توقظ الإحساس بالتخوّف منه مثل التدخين بشراهة، استعمال أنواع متعدّدة من المخدّرات والمسكرات، وليس شرطًا أن يكون مدمنًا لها جميعًا، وتعدّد علاقاته العاطفية والجنسية، واضطراب مسار عمله.



المراجع

أسامة يحيى أبو سلامة. شريك حياتي، أريد حلًّا. دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع. ٢٠١٥م.

أسامة يحيى أبو سلامة. شريك حياتي، لننقذ زواجنا. دار التوزيع والنشر. ٢٠١٢م.

أسامة يحيى أبو سلامة. شريك حياتي، من فضلك افهمني. دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع. القاهرة. ٢٠٠٨م

أسامة يحيى أبو سلامة. شريك حياتي، هيا نتفق. دار التوزيع والنشر. القاهرة. ٢٠١١م.

أسامة يحيى أبو سلامة. لكي أكون أروع شريك حياة. دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع. القاهرة. ٢٠١٤م.

بول كولمان. ثلاثون سرًّا للأزواج السعداء.

جاري تشابمان. لغات الحبّ الخمس. مكتبة جرير. الرياض. ٢٠١٠م.

جون كبليو جاكوبس، الحبّ هو كلّ ما تحتاج إليه وبضع كذباتٍ أخرى عن الزّواج، كيف تنقذ حياتك الزوجية قبل فوات الأوان، مكتبة جرير، الرياض، ٢٠١٠ الزّواج الذي يدوم.

سناء أبو زيد، بارك الله لكما. دليلك إلى السعادة الزوجية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة



سناء محمد سليمان. أزمة منتصف العمر لدى المرأة والرجل بين اليأس والأمل. عالم الكتب. القاهرة ٢٠٠٦م.

سيد قطب، في ظلال القرآن. دار الشروق، القاهرة.

فيليب ماكجرو. الحبّ بذكاء.

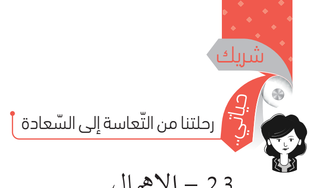
لايس وليزلي باروت. أحبّك أكثر. مكتبة جرير. الرياض. ٢٠٠٧م.

مارجري د. روزين، الأسرار السّبعة للزواج السعيد، مكتبة جرير، الرياض، ٢٠٠٧م.

محمد القاضي. جدّد زواجك. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. ٢٠١٢م.



فهرس المحتويات


شريك
حياتي
رحلتنا من التّعاسة إلى السّعادة